

الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب
بن قيم الجوزية

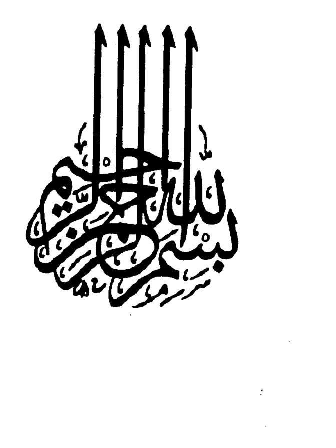



حادي الأرواح
إلى بلاد الأفراح

اسم الكتاب: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
اسم المؤلف: ابن قيم الجوزية
اعتنى به: د.محمد محمد تامر
عدد الصفحات: ٣٣٦
الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٤٥٤٥ / ٢٠٠٦

مكتبة الأصولي للنشر والتوزيع
دمنهور خلف عمر أفندي
ت: ٠٠٢/٠٤٥/٣٣١١١٣٨ ـ م: ٠٠٢/٠١٠٥٤٠١٣٢٤





مُقَدّمَة

الحمد لله الكريم المنان، جزيل الفضل عظيم الإحسان، أعدَّ الجنة لمن أطاعه من بنى الإنسان، وأعدّ النار لمن عصاه من الإنس والجان، وادخر للمؤمنين من النعيم والسرور والحبور في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهنيئًا لمن كان من أهلها وكان مأواه جنات الرضوان، والحسرة على من تنكب الصراط المستقيم واستبدل بطريق الرحمن سبيلَ الشيطان، فأصبح من أهل النيران، والصلاة والسلام على خير من عَبَدَ ربَّه ووحَّده وذكره ودعا إليه بأوضح بيان، سيدنا محمد النبي الأميّ صاحب الوسيلة والفضيلة، وأكرم الخلق على الله صلاة وسلامًا دائمين متلازمين على مرّ الأزمان.

وبعد،،،

فبين يديك عزيزى القارئ كتاب جليل قد لا تجد له مثالاً بين الكتب، يطوف بك في جنات النعيم، ويحلق بروحك في الحياة الأبدية الخالدة بجوار رب العالمين، ليشحذ الهمم ويحفز العزائم لتنال السعادة الكبرى، وتفوز بجنة عرضها السموات والأرض حيث النعيم الدائم والظل الممدود والماء المسكوب والأنهار والأطيار، والحور العين، ولذيذ المطاعم والمشارب، كل ذلك في نعيم متجدد وشباب لا يزول وقوة لا تضعف، وسرور لا يعقبه حزن، ومتعة لا تشوبها ألم، وحياة لا يقطعها موت، وبهجة لا يكدرها حزن ولا سأم ولا مرض، في أطيب عيش وأكرم صحبة، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وفوق ذلك رضا رب العالمين، ورؤية ربنا أكرم الأكرمين التى ما أُعطى أهل الجنة - على ما هم فيه من نعيم - أكرم ولا أعظم ولا أطيب منها.

وقد استفاض المصنف - رحمه الله- في وصف الجنة وما فيها، بعد أن أثبت بالأدلة الشرعية والعقلية وجودها وعدم فنائها، فتكلم عن أبوابها، ومكان الجنة، ودرجاتها، وثمنها، وأسمائها، وأنواعها وخزنتها، وأول مَنْ يدخلها من الأمم، وتربتها ونورها وغرفها وقصورها ونعيمها، وطعام أهلها وشرابهم، وأزواجهم في الجنة، وسماع أهل الجنة ما يزيد في نعيمهم ومطاياهم، وسوق الجنة ورؤية ربهم تبارك وتعالى وهى أفضل ما يُعطى أهل الجنة.

هذا وقد حرص ابن القيم - رحمه الله - كعادته في التصنيف على أسلوبه المعروف بالسهل الممتنع الذى تفرَّد به، وقد استعرض فصول كتابه بإتقان بالغ مع قوة الحجة القوية وحضور الدليل وجزالة اللفظ، وسعة الإدراك كل ذلك من خلال نظرة السلف وعقيدة أهل السنة التى هى أقرب الفرق للحق وأبعدهم عن الزيغ والانحراف .

ولم يكتفِ المصنفُ - رحمه الله - بسرد الكلام عن الجنة وما فيها بل راح يتوقف أمام مواطن الخلاف التى تنازعت فيها الفرق وكثر حولها الكلام مثل وجود الجنة الآن، وأبدية النار أو فنائها، ورؤية الله تعالى في الجنة، والرد على الفرق التى جانبها الصواب في ذلك .

ونحن إذ نقدم لهذا الكتاب الجليل لا يسعنا إلا أن نحمد الله تعالى أن يسر لنا إخراجه ووفقنا لوضعه بالصورة اللائقة به، سائلين الله تعالى أن ينفع به كل مسلم يطالعه فلعله يقربه من ربه خطوة، أو يحمله على فعل حسنة أو اجتناب سيئة ليصل بإذن مولاه إلى جنات النعيم .

والحمد لله رب العالمين



وبه الإعانة

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا، خلقها لهم قبل أن يخلقهم وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم وحفها بالمكاره وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا، وأودعها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهي خير البُشْر على لسان خير البَشَر، وكمل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا.

والحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل؛ إذ لم يخلقهم عبثا، ولم يتركهم سدى ولم يغفلهم هملا، بل خلقهم لأمر عظيم وهيأهم لخطب جسيم وعمر لهم دارين فهذه لمن أجاب الداعي ولم يبغ سوى ربه الكريم بدلا، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأسا ولم يعلق بها أملا.

والحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة منه، وفضلا، فهذا عدله وحكمته، وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، أرسله رحمة

للعالمين وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين وحجة على العباد أجمعين بعثه للإيمان مناديا وإلى دار السلام داعيا وللخليقة هاديا ولكتابه تاليا وفي مرضاته ساعيا وبالمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين.

فسبحان من شرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فدعا إلى الله وإلى جنته سرا وجهارا، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهارا، إلى أن طلع فجر الإسلام، وأشرقت شمس الإيمان، وعلت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها، فأشرق وجه الدهر حسنا وأصبح الظلام ضياء واهتدى كل حيران، فلما كمل الله به دينه وأتم به نعمته، ونشر به على الخلائق رحمته، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده، وجاهد في الله حق جهاده خيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه، والقدوم عليه فاختار لقاء ربه محبة له وشوقا إليه فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى والمحل الأرفع الأسنى وقد ترك أمته على الواضحة الغراء، والمحجة البيضاء فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وحد الله وعبده وعرفنا به ودعا إليه.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثا، ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم، وعرض على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقا ووجلا وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعا وطاعة، وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلا، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس وغاب عنهم داعي العقل وشملتهم الغفلة وغرتهم الأماني الباطلة، والخدع الكاذبة، فخدعهم طول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، فهم في

لذات الدنيا وشهوات النفوس، كيف حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضوانا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[الروم: ٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الحشر: ١٩].

والعجب كل العجب من غفلة مَنْ لحظاته معدودة عليه وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ويسار به أعظم من سير البريد ولا يدري إلى أي الدارين ينقل، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته، لا لما سبق من جناياته وسلف من تفريطه حيث لم يقدم لحياته، فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو، وقال: قد أنبئنا الله أنه هو الغفور الرحيم وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم.

فصل

ولما علم الموفَّقُون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رءوسهم، فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفذ بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام أو كطيف زار في المنام مشوب بالنغص ممزوج بالغصص إن أضحك قليلا أبكى كثيرا، وإن سر يوما أحزن شهورا آلامه تزيد على لذاته وأحزانه أضعاف مسراته وأوله مخاوف وآخره متالف فيا عجبا من سفيه في صورة حليم ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السموات والأرض بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارا عربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحورا مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهارا من خمر لذة للشاربين بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم، وسماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا، وسيق المجرمون إلى جهنم وردا، ونادى المنادي على رءوس الأشهاد، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام، وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفي لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع وأنه لا خير له في حياته، وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكا كبيرا لا تعتريه الآفات ولا يلحقه الزوال وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون، وبالحور العين يتنعمون وبأنواع الثمار يتفكهون ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ١٧-٢٤] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد فما قلب ولا استام! إلا أفراد من العباد فواعجبا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين.

شعر في وصف الجنة

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ... وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة ... وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها ... وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذي هو موعد المز ... يد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيلك الوادي يهيم صبابة ... محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم

ولله أبصار ترى الله جهرة   فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة   أمن بعدها يسلو المحب المتيم

ولله كم من خيرة إن تبسمت   أضاء لها نور من الفجر أعظم

فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت   ويا لذة الأسماع حين تكلم

ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت   ويا خجلة الفجرين حين تبسم

فإن كنت ذا قلب عليل بحبها   فلم يبق إلا وصلها لك مرهم

ولا سيما في لثمها عند ضمها   وقد صار منها تحت جيدك معصم

تراه إذا أبدت له حسن وجهها   يلذ به قبل الوصال وينعم

تفكه منها العين عند اجتلائها   فواكه شتى طلعها ليس يعدم

عناقيد من كرم وتفاح جنة   ورمان أغصان به القلب مغرم

وللورد ما قد ألبسته خدودها   وللخمر ما قد ضمه الريق والفم

تقسم منها الحسن في جمع واحد   فيا عجبا من واحد يتقسم

لها فرق شتى من الحسن أجمعت   بجملتها إن السلو محرم

تذكر بالرحمن من هو ناظر   فينطق بالتسبيح لا يتلعثم

إذا قابلت جيش الهموم بوجهها   تولي على أعقابه الجيش يهزم

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا   فهذا زمان المهر فهو المقدم

ولما جرى ماء الشباب بغصنها   تيقن حقا أنه ليس يهرم

وكن مبغضا للخائنات لحبها   فتحظى بها من دونهن وتنعم

وكن أيما ممن سواها، فإنها   لمثلك في جنات عدن تأيم

وصم يومك الأدنى لعلك في غد   تفوز بعيد الفطر والناس صوم

وأقدم ولا تقنع بعيش منغص   فما فاز باللذات من ليس يقدم

وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها   ولم يك فيها منزل لك يعلم

فحي على جنات عدن فإنها   منازلنا الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى   نعود إلى أوطاننا ونسلم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى   وشطت به أوطانه، فهو مغرم

وأي اغتراب فوق غربتنا التي   لها أضحت الأعداء فينا تحكم

وحي على السوق الذي فيه يلتقي المحـ   بون ذاك السوق للقوم يعلم

فما شئت خذ منه بلا ثمن له   فقد أسلف التجار فيه وأسلموا

وحي على يوم المزيد الذي به زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحي على واد هنالك أفيح وتربته من إذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ومن خالص العقيان لا تتفصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا لمن دون أصحاب المنابر يعلم
فبينا هموا في عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة فيضحك فوق العرش، ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يسلّم
يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما تريدون عندي إنني أنا أرحم
فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا فأنت الذي تولى الجميل وترحم
فيعطيهم هذا ويشهد جمعهم عليه تعالى الله فالله أكرم
فيا بائعا هذا ببخس معجل كأنك لا تدري بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فصل

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه وتفصيله وتبويبه، فهو للمحزون سلوة وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب إلى أجل مطلوب، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس، ممتع لقارئه مشوق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد وفرائد القلائد على ما لعل المجتهد في الطلب لا يظفر به فيما سواه من الكتب، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات، والآثار الموقوفات، والأسرار المودعة في كثير من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثير من المشكلات، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات، إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانا وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانا، فهو مثير ساكن العزمات، إلى روضات الجنات، وباعث الهمم العليات، إلى العيش الهني في تلك الغرفات.

وسميته «**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**»، فإنه اسم يطابق مسماه، ولفظ يوافق معناه، والله يعلم ما قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت، فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة بما أعد الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة وهم أولياء

الرسول وحزبه، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه، لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام، والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهيا، أو بحثا جدليا، أو خيالا صوفيا، أو تناقضا كلاميا، أو قياسا فلسفيا، أو حكما سياسيا، فمن قدم عليها شيئا من ذلك فباب الصواب عليه مسدود، وهو عن طريق الرشاد مصدود.

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤا كريما لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا بإحسان، وإن كان غيره، فالله المستعان.

فما كان من صواب، فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله، وقد قسمت الكتاب سبعين بابا:

الباب الرابع والستون: في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وإن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها .

الباب الخامس والستون: في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا إليهم سبحانه لا إله إلا هو .

الباب السادس والستون: في تكليمه سبحانه لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم .

الباب السابع والستون: في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد .

الباب الثامن والستون: في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها .

الباب التاسع والستون: وهو باب جامع فيه فصول منثورة .

الباب السبعون: في المستحق لهذه البشارة دون غيره والله سبحانه وتعالى هوَ المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم مدينا لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم، وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه، وأن ينفع به من انتهى إليه إنه خير مسئول وأكرم مأمُول، وهو حسبنا ونعم الوكيل .



الباب الأول
في بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة، فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها.

قالوا: ومن المعلوم أن ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعا على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه، فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء.

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها.

قال أبو الحسن الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المضلين جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله لا يردون من ذلك شيئًا، وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبه ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله تعالى على عرشه كما قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وكما قال ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وأن له وجها كما قال ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن

أسماء الله تعالى لا يقال: إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن لله علما كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقالوا: إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئا علم الله أنه لا يفعله وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره.

ويؤمنون بقضاء الله وقدره وخيره وشره وحلوه ومره ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله كما قال، ويلجئون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت والفقر إلى الله في كل حال.

ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في الوقف واللفظ، فمن قال باللفظ أو بالوقف، فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق، ويقولون إن الله تعالى يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله تعالى محجوبون قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا، وإن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ولا يكفّرون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر.

وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون، وإن ارتكبوا الكبائر والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وإن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن

محمدًا رسول الله كما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان، ويقرون بأن الله مقلب القلوب، ويقرون بشفاعة رسول الله وأنها لأهل الكبائر من أمته وبعذاب القبر، وأن الحوض حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله لعباده حق والوقوف بين يدي الله تعالى حق، ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق.

ويقولون: أسماء الله هي الله تعالى ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قومًا من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله.

وينكرون الجدال والمراء في الدين، والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله، ولا يقولون: كيف ولا لِم، لأن ذلك بدعة ويقولون إن الله تعالى لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشرك، وإن كان مريدًا له ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه.

ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ويقدمون أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليًا رضي الله عنهم، ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ: «أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر»[1] كما جاء في الحديث عن رسول الله، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به الله، ويقرون أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]، وإن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء، كما قال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر ويثبتون المسح على الخفين سنة، ويرونه في الحضر والسفر ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٣٢١)، ومسلم، حديث (٧٥٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له؟».

يخرج عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ويصدقون أن في الدنيا سحرة، وأن الساحر كافر -كما قال الله تعالى- وأن السحر كائن موجود في الدنيا، ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم.

ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات مات بأجله وكذلك كل من قتل قتل بأجله، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراما، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد، وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله تعالى ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه وإخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازدراء على الناس والعجب.

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين، وعليه نتوكل وإليه المصير.

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسسا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها وبالله التوفيق.

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝﴾ [النجم: ١٣-١٥] وقد رأى النبي سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره: «**ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال: ثم دخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**» [(١)].

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٣٤٢)، ومسلم، حديث (١٦٣).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله قال: **«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة»** (١).

وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب، قال: **«خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار»**، فذكر الحديث بطوله وفيه: **«فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها»**، وذكر الحديث (٢).

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله: **«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقولان له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة قال نبي الله فيراهما جميعا»** (٣).

وفي صحيح أبي عوانة الإسفراييني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح: **«ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال: هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال اسكن»** (٤).

وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال: شهدنا مع النبي جنازة فقال رسول الله ﷺ: **«أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل يعني محمدًا، فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده رسوله فيقولون له: صدقت، ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذا آمنت به، فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له اسكن»** وذكر الحديث (٥).

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (١٣٧٩)، ومسلم، حديث (٢٨٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود، حديث (٤٧٥٣)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٣)، حديث (١٠٧)، وهو صحيح. وانظر صحيح الجامع (١٦٧٦)، صحيح الترغيب (٣٥٥٨).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (١٣٣٨)، ومسلم، حديث (٢٨٧٠).

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣)، حديث (١١٠١٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٦١٣)، حديث (١٤٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤١٧)، حديث (٨٦٥)، وهو صحيح. وانظر الصحيحة (٣٣٩٤)، ظلال الجنة (٨٦٥).

وفي صحيح مسلم عن عائشة، قالت: خسفت الشمس في حياة رسول الله، فذكرت الحديث إلى أن قالت: ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة**» وقال رسول الله ﷺ: «**رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم حتى لقد رأيتني آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا حين رأيتموني تأخرت**»[1].

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه قال: «**أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت فقال: «إني رأيت الجنة وتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء**»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «**بكفرهن**»، قيل: أيكفرن بالله، قال: «**يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»[2].

وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ﷺ في صلاة الخسوف قال: «**قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ودنت مني النار حتى قلت: أي رب وأنا معهم، فإذا امرأة - حسبت أنه قال - تخدشها هرة، قلت: ما شأن هذه قالوا: حبستها حتى ماتت جوعًا لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل**»[3].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال: «**عرض على كل شيء تولجونه فعرضت عليَّ الجنة حتى تناولت منها قطفًا فقصرت يدي عنه وعرضت عليَّ النار فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها**» وذكر الحديث[4].

وفي صحيح مسلم عنه في هذا الحديث «**ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه لقد جيء بالنار، وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها وحتى رأيت فيها صاحب المحجن[5] يجر قصبه[6] في النار وكان يسرق الحاج بمحجنه، فإذا فطن له قال: إنما**

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (١٢١٢)، ومسلم، حديث (٩٠١).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (١٠٥٢)، ومسلم، حديث (٩٠٧).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٥). (٤) أخرجه مسلم، حديث (٩٠٤).
(٥) المحجن: عصا معوجة الطرف. (٦) قصبه: أمعاءه.

تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه، ثم بدا لي أن لا أفعل فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه» [١].

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو في هذه القصة: «والذي نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم»، وذكر الحديث [٢].

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال: «يا أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رءوسكم، فإني أراكم من أمامي ومن خلفي وايم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار» [٣].

وفي الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة» [٤]، وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة. ومثله حديث كعب بن مالك أيضا عن النبي ﷺ: «أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة أو شجر الجنة» [٥]، رواه أهل السنن وصححه الترمذي.

وسيأتي في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك.

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال اذهب، فانظر إليها وإلى ما أعددت

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٩٠٤).
(٢) أخرجه أبو داود، حديث (١١٩٤)، والنسائي، حديث (١٤٩٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٥٩)، حديث (٦٤٨٣)، وهو صحيح، وانظر صحيح النسائي.
(٣) أخرجه مسلم، حديث (٤٢٦)، والنسائي، حديث (١٣٦٣).
(٤) أخرجه النسائي، حديث (٢٠٧٣)، وابن ماجه، حديث (٤٢٧١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٥٥)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٤٠)، حديث (٥٦٨)، وهو صحيح. وانظر صحيح الجامع (٢٣٧٣)، والمشكاة (١٦٣٢).
(٥) أخرجه الترمذي، حديث (١٦٤١)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٨٦)، حديث (٢٧٢١٠)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٧١)، حديث (٢٤١٠)، وهو صحيح. وانظر صحيح الجامع (١٥٥٩)، صحيح الترغيب (١٣٦٨).

لأهلها فيها فذهب فنظر إلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر الجنة فحفت بالمكاره، فقال: فارجع، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال اذهب، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضا ثم رجع، فقال: وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها» [1] .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة **«حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات»** [2] .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: **«اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: يا رب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون؟ فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء وأنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها»** [3] .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: **«اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف»** [4] .

وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن بشير ورفع الحديث قال: **«ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا رب قد طاب ثمري واطردت أنهاري واشتقت إلى أوليائي فعجل إلي بأهلي، وتقول النار: اشتد حري وبعد قعري وعظم جمري فعجل إلي بأهلي»** [5] .

وفي صحيح البخاري من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: **«بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف [6] قال: قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده، فإذا طينه المسك الأذفر»** [7] .

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث (٤٧٤٤)، والترمذي، حديث (٢٥٦٠)، والنسائي، حديث (٣٧٦٣)، وهو حديث حسن صحيح، وانظر: صحيح الجامع (٥٢١٠)، مشكاة المصابيح (٥٦٩٦)، والحديث عزاه المصنف لصحيح مسلم ولم أجده فيه.

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٤٨٧)، ومسلم، حديث (٢٨٢٣).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٤٩)، ومسلم، حديث (٢٨٤٦).

(٤) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٦٠)، ولم أجده عند مسلم.

(٥) لم أجده.

(٦) **المجوف**: المفرغ من الداخل.

(٧) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٨١).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصرًا ودارًا، فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو، فقيل: لعمر بن الخطاب، فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته، قال: فبكى عمر، وقال: أيغار عليك يا رسول الله؟!»[1]، وسيأتي حديث بلال، وقول النبي ﷺ: «ولم؟ ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك[2] بين يدي»[3]، وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى.

وقال عبد الله بن وهب: أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن أنس بن مالك، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم صلاة الصبح، ثم مد يده، ثم أخرها فلما سلم قيل له: يا رسول الله! لقد صنعت في صلاتك شيئًا لم تصنعه في غيرها؟! قال: **«إني رأيت الجنة فرأيت فيها دالية قطوفها دانية حبها كالدباء فأردت أن أتناول منها فأوحى إليها أن استأخري فاستأخرت، ثم رأيت النار بيني وبينكم حتى رأيت ظلي وظلكم فأومأت إليكم أن استأخروا فأوحى إلي: أقرهم، فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا، فلم أر لي عليكم فضلا إلا بالنبوة»**[4].

فإن قيل: فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها الآن بقصد آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها بأكله من الشجرة والاستدلال بها في غاية الظهور؟.

قيل: الاستدلال بذلك، وإن كان عند العامة في غاية الظهور، فهو في غاية الغموض لاختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة أو كانت جنة في الأرض في شرفها؟ ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا وما احتج به كل فريق على قولهم وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته.

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٣٩٤)، والحديث في البخاري برقم (٧٠٢٤).

(٢) **خشخشتك**: صوت حركتك، والخشخشة: حركة لها صوت كصوت السلاح.

(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٣٦٨٩)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤)، حديث (٢٣٠٤٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٧)، حديث (١١٧٩)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٦)، حديث (٢٧١٧) من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه. وهو حديث صحيح. وانظر صحيح الجامع (٧٨٩٤)، وصحيح الترغيب (٢٠١).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٥٠)، حديث (٨٩٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٣)، حديث (٨٤٠٨)، وهو صحيح. وانظر صحيح ابن خزيمة بتحقيق الألباني (٢).

الباب الثاني

في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها، هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض؟

قال منذر بن سعيد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، فقالت طائفة: أسكن الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وقال آخرون: هي جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد، قال: وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به، وقال أبو الحسن الماوردي في تفسيره: واختلف الناس في الجنة التي أسكناها على قولين:

أحدهما: أنها جنة الخلد.

الثاني: أنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها ابتلاء وليست هي جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: أنها في السماء، لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن.

الثاني: أنها في الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم - عليه الصلاة والسلام - والله أعلم بصواب ذلك هذا كلامه.

وقال ابن الخطيب في تفسيره المشهور: واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية هل كانت في الأرض أو في السماء؟ وبتقدير أنها كانت في السماء فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى.

فقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الأصبهاني: هذه الجنة في الأرض وحملا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة:٦١] واحتجا عليه بوجوه.

القول الثاني: وهو قول الجبائي: إن تلك الجنة التي كانت في السماء السابعة.

القول الثالث: وهو قول جمهور أصحابنا: أن هذه الجنة هي دار الثواب.

وقال أبو القاسم الراغب في تفسيره: واختلف في الجنة التي أسكنها آدم، فقال بعض المتكلمين: كان بستانًا جعله الله تعالى له امتحانًا ولم يكن جنة المأوى، وذكر بعض الاستدلال على القولين، وممن ذكر الخلاف أيضا أبو عيسى الرماني في تفسيره واختار أنها جنة الخلد، ثم قال: والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل وأكثر أصحابنا،

وهو قول أبي علي وشيخنا أبي بكر وعليه أهل التفسير واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة وجعله قولاً رابعًا فقال .

والقول الرابع : أن الكل ممكن والأدلة متعارضة فوجب التوقف وترك القطع .

قال منذر بن سعيد : والقول بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه ، قال : وقد رأيت أقوامًا نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأماني ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولاً ولا شاذًا مشهورًا .

وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله قالوا : إن جنة آدم ليست جنة الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤساء المخالفين ، وإنما قلت هذا ليعلم أني لا أنصر مذهب أبي حنيفة وإنما أنصر ما قام لي عليه الدليل من القرآن والسنة .

هذا ابن زيد المالكي يقول في تفسيره : سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هي؟ فقال : السكوت عن الكلام في هذا أفضل ، وهذا ابن عيينة يقول في قوله عز وجل : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه :١١٨] قال : يعني في الأرض ، وابن نافع إمام وابن عيينة إمام ، وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما .

وهذا ابن قتيبة ذكر في كتاب «المعارف» بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه قال : ثم تركهما ، وقال أثمروا وأكثروا وأملئوا الأرض وتسلطوا على أنوان البحور وطير السماء والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها فأخبر أن في الأرض خلقه وفيها أمره ، ثم قال : ونصب الفردوس ، فانقسم على أربعة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات ، ثم ذكر الحية فقال : وكانت أعظم دواب البر ، فقالت للمراة إنكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة ، ثم قال بعد كلام ، ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض التي منها أخذ ، ثم قال : قال وهب : وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن في شرقي أرض الهند ، قال : واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به واديًا من أودية اليمن في شرقي عدن فكمن فيه ، وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس في قوله : ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ [البقرة :٣٦] : هو كما يقال هبط فلان أرض كذا وكذا .

قال منذر بن سعيد : فهذا وهب بن منبه يحكي أن آدم عليه السلام خلق في الأرض وفيها سكن وفيها نصب له الفردوس ، وأنه كان بعدن ، وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذي كان يسمى فردوس آدم ، وتلك الأنهار بقيت في الأرض لا اختلاف بين المسلمين في ذلك فاعتبروا يا أولي الألباب وأخبر أن الحية التي كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ، ولم يقل

من أعظم دواب السماء فهم يقولون : إن الجنة لم تكن في الأرض ، وإنما كانت فوق السماء السابعة .

ثم قال : وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب ، لأنه لا شمس فيها .

ثم قال : وأخرجه إلى الأرض التي أخذ منها ، يعني أخرجه من الفردوس الذي نصب له في عدن في شرقي أرض الهند ، وهذه الأخبار التي حكى ابن قتيبة إنما تنبئ عن أرض اليمن ، وعن عدن وهي من أرض اليمن ، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه السلام بعدن ، ثم أكد ذلك بأن قال : التي لأربعة أنهار التي ذكرناها منقسمة عن النهر الذي كان يسمى فردوس آدم .

قال منذر : وقال ابن قتيبة : عن ابن منبه ، عن أبي هريرة قال [1]: (واشتهى آدم عند موته قطفًا من الجنة التي كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة ، وهو في الأرض فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته) . فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقًا يطلبون لأبيهم ثمر جنة الخلد في الأرض .

قال : ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ولو كانت جنة الخلد فيها ، ونحن استدللنا من القرآن ، وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان ، فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف في هذه المسألة ، ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ونبين لهم ما لهم وما عليهم .

الباب الثالث

في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة

قالوا : قولنا هذا هو الذي فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعًا .

قالوا : وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربعي عن حذيفة ، قالا : قال رسول الله ﷺ : «**يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام ، فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم**» ، وذكر الحديث [2] .

---

(١) لم أجده من حديث أبي هريرة ، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٣/ ٤٠٤) ، حديث (٦٤٩٢) ، وابن سعد في الطبقات (١/ ٣٣) عن أبي بن كعب موقوفًا .

(٢) أخرجه مسلم ، حديث (١٩٥) .

قالوا: وهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها هي بعينها التي يطلب منه أن يستفتحها .

وفي الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى، وقول موسى «**أخرجتنا ونفسك من الجنة**» [١]، ولو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من بساتين فلم يخرجوا من الجنة، وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة: «**وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟**» وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا .

قالوا: وقد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[البقرة: ٣٥-٣٦] .

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين:

أحدهما: من لفظة اهبطوا، فإنه نزول من علو إلى أسفل .

والثاني: قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾[البقرة: ٣٦] ، عقب قوله ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾[البقرة: ٣٦] فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض، ثم أكد هذا بقوله في سورة الأعراف قال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[الأعراف: ٢٥] ، ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده .

قالوا: وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون إلا في جنة الخلد فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[طه: ١١٨-١١٩] ، وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً، فإن الرجل ولو كان أطيب منازلها لا بد أن يعرض له شيء من ذلك وقابل سبحانه بين الجوع والعُرى والظمأ والضحى، فإن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر، والظمأ حر الباطن، والضحى حر الظاهر، فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعري والضحى، وهذا شأن ساكن جنة الخلد .

قالوا: وأيضا فلو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[طه: ١٢٠] ، فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية، وأن ملكها يبلى .

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٦١٤)، ومسلم، حديث (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة» . فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى ثلاثًا» .

قالوا: وأيضًا هذه القصة في سورة البقرة ظاهرة جدًا في أن الجنة التي أخرج منها فوق السماء، فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [البقرة: ٣٤-٣٧].

فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة فلهذا أتى فيه بضمير الجمع، وقد قيل: إن الخطاب لهما وللحية، وهذا ضعيف جدًا إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم، ولا في السياق ما يدل عليها، وقيل: الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، وهما داود وسليمان، وقيل: لآدم وحواء وذريتهما.

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول، لأنها بين قول لا دليل عليه بينما يدل اللفظ على خلافه فثبت أن إبليس داخل في هذا الخطاب وأنه من المهبطين فإذا تقرر هذا، فقد ذكر سبحانه الإهباط ثانيًا، بقوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] والظاهر أن هذا الإهباط الثاني في غير الأول، وهو إهباط من السماء إلى الأرض، والأول أهباط من الجنة وحينئذ فتكون الجنة التي أهبط منها أولاً فوق السماء جنة الخلد، وقد ظن الزمخشري أن قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨]، خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما، قال: والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣] قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩]، وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم.

ومعنى قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦]، ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضًا، وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية، فإن العداوة التي ذكرها الله تعالى: إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو، وأما آدم وزوجته، فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته والعداوة بين الإنسان والشيطان. وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس، وهو ثلاثة فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه مع أن اللفظ والمعنى

يقتضيه؟ فلم يصنع الزمخشري شيئًا .

وأما قوله تعالى في سورة طه : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه : ١٢٣]، وهذا خطاب لآدم وحواء وقد جعل بعضهم لبعض عدوًا فالضمير في قوله اهبطا منها إما أن يرجع إلى آدم وزوجه أو إلى آدم وإبليس ولم يذكر الزوجة، لأنها تبع له، وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمتخاطبين بالإهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر، وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين :

أحدهما : أمره تعالى لا لآدم وزوجه بالهبوط .

والثاني : إخباره بالعداوة بين آدم وزوجته وبين إبليس، ولهذا أتى بضمير الجمع في الثاني دون الأول، ولا بد أن يكون إبليس داخلاً في حكم هذه العداوة قطعًا كما قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه :١١٧] ، وقال للذرية ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر :٦] .

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية، ، وأما الإهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع وتارة بلفظ التثنية وتارة بلفظ الإفراد كقوله في سورة الأعراف : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا﴾ [طه :١٢٣] ، وكذلك في سورة ص، وهذا لإبليس وحده وحيث ورد بصيغة الجمع، فهو لآدم وزوجه وإبليس إذ مدار القصة عليهم وحيث ورد بلفظ التثنية، فإما أن يكون لآدم وزوجه إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية، وإما أن يكون لآدم وإبليس إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الذرية فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما، وقد حكيت القولين في ذلك .

والذي يوضح أن الضمير في قوله : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه :١٢٣] لآدم وإبليس، أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه، فقال : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه :١٢١-١٢٣] ، وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعًا، فإن المقصود إخبار الله تعالى للثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنس فقط . وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة فعلم أن حكم الزوجة كذلك، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبي الإنس وأمهم فتأمله وبالجملة، فقوله : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣]، ظاهر في الجمع فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله : اهبطا من

غير موجب، قالوا: وأيضا فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب، فقد صار هذا الاسم علمًا عليها بالغلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها فحيث ورد لفظها معرفًا انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين.

وأما إن أريد به جنة غيرها، فإنها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة في الأرض.

فالأول كقوله: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الكهف: ٣٢].

والثاني كقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف: ٣٩].

والثالث كقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧].

قالوا: مما يدل على أن جنة آدم هي جنة المأوى ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى الأشعري قال: (إن الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير) [١].

قالوا: وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها كما روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، قال: **«يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى قال: أي رب ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال: بلى، قال: أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة، قال: بلى»** [٢].

قال: فهو قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وله طرق عن ابن عباس، وفي بعضها **«كأن آدم قال لربه إذا عصاه: رب إن أنا تبت وأصلحت، فقال له ربه: إني راجعك إلى الجنة»** [٣]، فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد، ونحن نسوق حجج الآخرين.

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (٨/ ٤٥)، حديث (٣٠٢٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٢)، حديث (٣٩٩٦)، والطبري في تفسيره (١/ ١٧٥) عن أبي موسى موقوفًا.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٤٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٤)، حديث (٤٠٠٢)، وهو صحيح الإسناد، وانظر التوسل للألباني (ص ١١٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٤٣).

الباب الرابع
في سياق حجج الطائفة التي قالت:
ليست جنة الخلد وإنما هي جنة في الأرض

قالوا: هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها.

قالوا: قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه بصفاتها، ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئا بصفته، ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها.

قالوا: فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التي أعدت للمتقين بأنها دار المقامة، فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التي دخلها ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها، ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء، لا دار تكليف وأمر ونهي، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء، ووصفها بأنها دار لا يعصي الله فيها أبدًا وقد عصى آدم ربه في جنته التي دخلها، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة، ودار القرار ولم يستقر فيها، وقال في داخلها ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر :٤٨] وقد أخرج منها الأبوان، وقال: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾[فاطر :٣٥] وقد ند فيها آدم هاربًا فارًا، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه، وهذا النصب بعينه، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس، وقد سماها الله سبحانه وتعالى مقعد صدق وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه.

وقد قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة :٣٠] ولم يقل: إني جاعل في جنة المأوى، فقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[البقرة :٣٠] ومحال أن يكون هذا في جنة المأوى.

وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه :١٢٠] ، فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى فكيف لم يرد عليه ويقول له: كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته؟ ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول

إبليس ولا مال إلى نصيحته، ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد.

قالوا: ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس، فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور؟ حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له، وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه، وإما أن تكون في أذنه، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين؟ وأيضا: فبعد أن قيل له: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[الأعراف: ١٣] أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره، وهل هذا يلائم قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[الأعراف: ١٣]، فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبرًا فما التكبر بعد هذا؟

فإن قلتم: فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين، وهو في الأرض وهما فوق السماء في عليين، فهذا غير معقول لغة ولا حسًا ولا عرفًا، وإن زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل، إذ كيف يرتقي بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة؟ ولو في بطن الحية؟ وإذا قلتم: إنه دخل في قلوبهما ووسوس إليهما فالمحذور قائم، وأيضا: فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلامًا سمعاه شفاهًا فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف: ٢٠]، وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ولما كان آدم خارجًا من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف: ٢٢] ولم يقل عن هذه الشجرة فعندما قال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف: ٢٠] لما أطمعهما في ملكها والخلود في مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريبا لها وإحضارًا لها عندهما وربهما تعالى قال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف: ٢٠] ولما أراد إخراجهما منها فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التي نهيا عنها، وأيضا: فإنه سبحانه قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر: ١٠] ووسوسة اللعين من أخبث الكلم فلا تصعد إلى محل القدس.

قال منذر: وقد روي عن النبي ﷺ: «أن آدم عليه السلام نام في جنته»[1] وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين، فإن النبي ﷺ سئل: أينام أهل الجنة في الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت»[2] والنوم وفاة وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال ودار السلام

(١) لم أجده مرفوعًا، وروي موقوفًا على مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٣٢٤) عن مجاهد في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[النساء: ١]. قال: حواء من قصيري آدم وهو نائم فاستيقظ فقال: «أثا» بالنبطية: «امرأة».

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٨٢)، حديث (٩١٩)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٨٣)، حديث (٤٧٤٥)، وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٣٨): «إسناده صحيح»، وانظر الصحيحة (١٠٨٧).

مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت.

قلت: الحديث الذي أشار إليه المعروف، أنه موقوف من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: **«خلقت حواء من قصيري آدم، وهو نائم»** [١].

وقال أسباط عن السدي: (أسكن آدم - عليه السلام - الجنة وكان يمشي فيها وَحِشًا ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها من أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي) [٢].

وقال ابن إسحاق عن ابن عباس: (ألقى الله على آدم عليه السلام السنة، ثم أخذ ضلعًا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحمًا، وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة يسكن إليها، فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال: لحمي ودمي وروحي فسكن إليها) [٣].

قالوا: ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم في الأرض ولم يذكر في موضع واحد أصلا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر، لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه، فإنه كان معراجًا ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات.

قالوا: وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء وقد أخبر ملائكته أنه جاعله في الأرض خليفة؟ وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها؟ قال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] قالوا: ولم يكن معنا في المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه، ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل، فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها.

وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفات ظاهرة كقول من قال: يجوز أن يصعد إليها صعودًا عارضًا لا مستقرًا، وقول من قال: أدخلته الحية، وقول من قال: دخل إليها في أجوافها، وقول من قال: يجوز أن تصل وسوسته إليهما، وهو في الأرض وهما فوق السماء ولا يخفى ما في ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد، وهذا بخلاف قولنا، فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السموات حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره في إخراجه منها والله أعلم.

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٣٠).

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلاً ينتهي إليه، وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله آدم - عليه السلام - ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه، فقال ربه: يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقال: السلام عليكم قالوا: وعليك السلام» إلخ، «ثم رجع إلى ربه فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، فقال الله له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة، ثم بسطها، فإذا فيها آدم وذريته، فقال: يا رب ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره فإذا فيهم رجل أضوءهم، قال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود قد كتبت له عمرا أربعين سنة قال: يا رب زده في عمره قال: ذلك الذي كتبت له قال: أي رب، فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة، قال: أنت وذلك، قال: ثم اسكن الجنة ما شاء الله، ثم اهبط منها فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه، قال: فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت قد كتبت لي ألف سنة قال: بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته، قال: فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود»**[1] قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روي من غير وجه، عن أبي هريرة.

قالوا: فهذا صريح في أن آدم عليه السلام لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها، وإنما خلق في دار الفناء التي جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلاً معلومًا وفيها اسكن.

فإن قيل: فإذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمرًا مقدرًا وأجلاً ينتهي إليه، وأنه ليس من الخالدين فكيف لم يعلم كذب إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾[طه: ١٢٠] وقوله: ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[الأعراف: ٢٠].

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء بل هو المكث الطويل كما سيأتي.

الثاني أن إبليس لما حلف له وغره وأطمعه في الخلود نسي ما قدر له من عمره، قالوا: وأيضًا، فمن المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٣٣٦٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٦٣)، حديث (١٠٠٤٦)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٠)، حديث (٦١٦٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣٢)، حديث (٢١٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥٢٠٩)، المشكاة (٤٦٦٢).

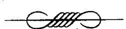
هذه الأرض وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون، فقيل: هو الذي له صلصلة ليبسه، وقيل: هو الذي تغيرت رائحته من قولهم صل اللحم إذا تغير، والحمأ: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصبوب، وهذه كلها أطوار للتراب الذي هو مبدؤه الأول كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من الأرض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه! وهذا ما لا دليل لكم عليه ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به.

قالوا: من المعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي المتغير الرائحة الذي قد أنتن من تغيره، وإنما محل هذه الأرض التي هي محل المتغيرات الفاسدات، وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة، فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء.

قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ.

قالوا: فإذا جميع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض وجعله خليفة في الأرض، وإن أبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف، وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولا يخاف ولا ينام، وأن الله حرمها على الكافرين وإبليس رأس الكفر، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض وفكر فيه المنصف الذي رفع له علم الدليل فشمر إليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب، والله الموفق.

قالوا: ولم يكن في المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله سبحانه الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد، فهذا أيضًا بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها، والله أعلم.



الباب الخامس

في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا: أما قولكم: إن قولنا هو الذي فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بأخبار الرسل، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد التي أعدها الله للمؤمنين بعينها، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً، وقد أوجدناكم من كلام السلف ما يدل على خلافه، ولكن لما وردت الجنة مطلقة في هذه القصة ووافقت اسم الجنة التي أعدها الله لعباده في إطلاقها وبعض أوصافها، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هي بعينها، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئًا، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة، ونحن إذا رجعنا إلى فطرتنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات.

وأما استدلالكم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقول آدم: وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم؟ فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقباح للخطيئة التي قد تقدمت منه في دار الدنيا، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة كما في اللفظ الآخر إني نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها، فأين في هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام؟ وكذلك قول موسى له: أخرجتنا ونفسك من الجنة، فإنه لم يقل له: أخرجتنا من جنة الخلد.

وقولكم: أنهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التي في الأرض فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله وهي كالسجن بالنسبة إليها، واشتراكهما في كونها في الأرض لا ينفي تفاوتهما أعظم تفاوت في جميع الأشياء.

وأما استدلالكم بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة:٣٦] عقيب إخراجهم من الجنة فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض، غايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه، وهذا غير منكر، فإنها كانت جنة في أعلى الأرض فأهبطوا منها إلى الأرض وقد بينا أن الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوهما فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوهما متمكنًا منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام، فالآية أيضا من أظهر الحجج عليكم ولا تغني عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التي قدرتموها وقد تقدمت.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[البقرة:٣٦] ، فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض، فإن الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى، فأُهْبِطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور، والجنة التي أُسْكِنَها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى، والأرض التي أُهْبِطُوا إليها هي محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره.

وأما قولكم: إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا فجوابه أن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي أُهْبِطُوا إليها، فمن أين لكم أنها لا تكون في الأرض التي أُهْبِطُوا منها؟ وأما قولكم: إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية، فلو كانت الجنة فيها لَعُلِمَ كذب إبليس في قوله ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾[طه:١٢٠] فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن اللفظ إنما يدل على الخلد، وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له، فإنه في اللغة: المكث الطويل، ومكث كل شيء بحسبه، ومنه قولهم: رجل مخلد إذا أسن وكبر ومنه قولهم: لاثا في الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال، قال:

إلا رمادًا هامدًا دفعت ... عنه الرياح خوالد سحم

ونظير هذا اطلاقهم القديم على ما تقادم عهده، وإن كان له أول كما قال تعالى: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩] ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[يوسف:٩٥] ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝﴾[الأحقاف:١١] وأفك قديم، وقد أطلق تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس، وأطلقه النبي ﷺ على قاتل نفسه.

الوجه الثاني: أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك، وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى وأوحى إليه وأنزل عليه صحفا كما في حديث أبي ذر، لكن هذا بعد إهباطه إلى الأرض بنص القرآن، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾[طه:١٢٣] وكذلك في سورة البقرة: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾[البقرة:٣٨] الآية، وأما قولكم: إن الجنة وردت معرفة باللام التي للعهد فتنصرف إلى جنة الخلد، فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعًا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[القلم:١٧] .

وقولكم: إن السياق ههنا دل على أنها جنة في الأرض، قلنا: والأدلة التي ذكرناها دلت

على أن جنة آدم عليه السلام في الأرض فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح، وأما استدلالكم بأثر أبي موسى: «**إن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة وزوده من ثمارها**» فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن إلا تزوده منها، وهذا لا يقتضي أن تكون جنة الخلد وقولكم: إن هذه تتغير وتلك لا تتغير، فمن أين لكم أن الجنة التي أُسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار؟ وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم**» [1] أي لم يتغير ولم ينتن، وقد أبقى سبحانه وتعالى في هذا العالم طعام العزير وشرابه مائة سنة لم يتغير.

وأما قولكم: إن الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن يعيده إلى الجنة فلا ريب أن الأمر كذلك، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها بل إذا أعاده إلى جنة الخلد، فقد وفى سبحانه بضمانه حق الوفاء ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] وقد جعل الله سبحانه المظاهر عائدًا بإرادته الوطء ثانيا أو بنفس الوطء أو بالإمساك وكل منها غير الأول لا عينه، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها.

الباب السادس

في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم

قالوا: أما قولكم: إن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول واستقرار ودوام، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة، وقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة، وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به في يوم القيامة فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا؟ وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد، قالوا: وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة وأنها لم توجد في جنة آدم عليه السلام من العري والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها، فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام، ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها، فإن

(١) أخرجه البخاري، حديث (١٤٧٠).

نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها، وهذا لا ينفي أن يكون فيها بين أبوي الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافي بين الأمرين.

وأما قولكم: أنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف، وأما وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل على امتناعه ألبتة، كيف؟ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن أنت»** [1] الحديث.

وغيره ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة بل هذا هو الواقع، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمي ذلك تكليفًا أو لم يسم.

الوجه الثاني: أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها، وإنما كان حجرًا عليهما في شجرة واحدة من جملة أشجارها، إما واحدة بالعين أو بالنوع، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات فلا دليل عليه، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها، فهو حق، ولكن لا يدل على مطلوبكم، وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم، فإنما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون، وأما قبل ذلك فلا.

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء فلعمر الله أنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم، وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هنالك صعودًا عارضًا لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه، وإن لم يكن ذلك المكان مقعدًا له مستقرًا كما كان، وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي، وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه مع قوله تعالى ﴿ٱهْبِطُواْ

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٦٨٠)، ومسلم، حديث (٢٣٩٥).

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة :٣٦] فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط، فهذا محتمل والله أعلم، وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه، فجوابه: أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة، وأما إخباره سبحانه أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها فهذا يوم القيامة.

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض فلا ريب في ذلك، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها! وقد جاء في بعض الآثار: «**أن الله سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحًا فجعل إبليس يطوف به، ويقول: لأمر ما خلقت فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك، فقال: لئن سلطت عليه لأهلكنه ولئن سلط عليّ لأعصينه**»[1]، مع أن قوله سبحانه ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة :٣١-٣٣] يدل على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك، ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ثم يعيده إلى الأرض، فقد أصعد المسيح إلى السماء، ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة، وقد أسري ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السموات، فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم، والله أعلم.

الباب السابع

في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطرارًا أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران :١٨٥] فتموت الحور العين التي فيها والولدان، وقد أخبر سبحانه أن الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها، وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلاف ولا نسخ.

قالوا: وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة**

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٠٣) عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، وأخرج مسلم، حديث (٢٦١١) بنحوه عن أنس مرفوعًا: «لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يُطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك».

التربة عذبة الماء وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» [(١)] قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه أيضا من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: من قال: **«سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»** [(٢)] قال: هذا حديث حسن صحيح.

قالوا: فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغًا منها لم تكن قيعانًا ولم يكن لهذا الغرس معنى.

قالوا: وقد قال تعالى: عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوبًا أو بنى له بيتًا: انسج لي ثوبًا وابن لي بيتًا، وأصرح من هذا قول النبي ﷺ: **«من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة»** [(٣)] متفق عليه.

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية، وهذا ثابت عن النبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمرو بن عنبسة قالوا: وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبني للعبد ما دام يعمل، فإذا فتر عن العمل فتر الملك عن العمل. قالوا: ولقد روى ابن حبان في صحيحه والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قبض الله ولد العبد قال: يا ملك الموت قبضت ولد عبدي قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده قال: نعم، قال: فما قال؟ قال: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد»** [(٤)].

وفي المسند من حديثه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتًا في الجنة»** [(٥)].

قالوا: وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم، فهذا ابن مزين قد ذكر في

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٣٤٦٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٧٣)، حديث (١٠٣٦٣)، والصغير (١/ ٣٢٦)، حديث (٥٣٩)، وهو حديث حسن. وانظر صحيح الجامع (٥١٥٢)، صحيح الترغيب (١٥٥٠)، والصحيحة (١٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٨٢٦)، والطبراني في الصغير (١/ ١٨١)، حديث (٢٨٧)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (١٥٤٠)، الصحيحة (٦٤).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٤٥٠)، ومسلم، حديث (٥٣٣).

(٤) أخرجه الترمذي، حديث (١٠٢١)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤١٥)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٢١٠)، حديث (٢٩٤٨)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٦٨)، حديث (٦٩٣٨)، وهو حسن، وانظر صحيح الجامع (٧٩٥)، والصحيحة (١٤٠٨).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤١٣)، والبزار في مسنده (٨/ ١٧٠)، حديث (٣١٩٧)، وأخرجه مسلم، حديث (٧٢٨) من حديث أم حبيبة.

تفسيره عن ابن نافع، وهو من أئمة السنة أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هي؟ فقال: السكوت عن هذا أفضل، والله أعلم.

الباب الثامن

في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة

قد تقدم في الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية فنقول: ما تعنون بقولكم: إن الجنة لم تخلق بعد؟ أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد. بل هي بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدم بعضها وسيأتي بعضها، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة، وهو باطل قطعًا. أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها؟ وجميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئًا بعد شيء؟ وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورًا أخر، فهذا حق لا يمكن رده وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر، وحديث ابن مسعود الذي ذكرتموه وحديث أبي الزبير عن جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة، وأن الذكر ينشئ الله سبحانه لقائله منه غراسًا في تلك الأرض، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة والعبد كلما وسع في أعمال البر وسع له في الجنة، وكلما عمل خيرًا غرس له به هناك غراس وبنى له بناء وأنشئ له من عمله أنواع مما يتمتع به، فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك، وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية.

قال البخاري في صحيحه: يقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]: إلا ملكه، وقال: إلا ما أريد به وجهه.

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: فأما السماء والأرض فقد زالتا، لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار، وأما العرش: فلا يبيد ولا يذهب، لأنه سقف الجنة، والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ

هَالِكٌ﴾ [القصص: ٨٨] يعني ميت ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، لأنه حي لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت. انتهى كلامه.

وقال في رواية أبي العباس. أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصطخري ذكره أبو الحسين في كتاب الطبقات قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، وساق أقوالهم إلى أن قال: وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدًا، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبدًا، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، وأن الله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الحصا والتراب والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم بها، فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] ونحو هذا من متشابه القرآن فقل: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان.

وقال في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي، قال الخلال

حافظ إمام في زمانه معروف بالتقدم في العلم والمعرفة كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ويسأله عن الرجال من أهل بلده .

وقال : أملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة في السنة ، ثم قال في أثنائها : وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر ، قال النبي ﷺ : **«دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا ورأيت الكوثر** [١] ، **واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا»** [٢] فمن زعم أنهما لم يخلقا ، فهو مكذب برسول الله وبالقرآن كافر بالجنة والنار يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

وقال في رواية عبدوس بن مالك العطار وذكر رسالة في السنة قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ : **«اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا»** [٣] .

فمن زعم أنهما لم يخلقا ، فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار .

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التي لا تظفر بها في غير هذا الكتاب ألبتة ، ونحن اختصرنا الكلام في ذلك ولو بسطناه لقام منه سفر ضخم والله المستعان وعليه التكلان ، وهو الموفق للصواب .



---

(١) لم أجده هكذا ، وأخرج البخاري ، حديث (٣٦٧٩) ، ومسلم ، حديث (٢٣٩٤) من حديث جابر قال : قال النبي ﷺ : «رأيتني دخلت الجنة . . . ورأيت قصرًا بفنائه جارية فقلت : لمن هذا؟ فقال : لعمر» . وروى البخاري أيضًا ، حديث (٦٥٨١) ، والترمذي ، حديث (٣٣٥٩) من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف . قلت : ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك . . .» .

(٢) انظر الحديث الآتي .

(٣) أخرجه البخاري ، حديث (٦٥٤٦) ، والترمذي حديث (٢٦٠٣) من حديث عمران بن حصين . وأخرجه مسلم ، حديث (٢٧٣٧) من حديث ابن عباس مرفوعًا بلفظ : «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» .

الباب التاسع
في ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر :٧٣] وقال في صفة النار: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر :٧١] بغير واو، فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو، وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين، وقالت طائفة: أخرى: الواو زائدة والجواب الفعل الذي بعدها كما هو في الآية الثانية، وهذا أيضا ضعيف، فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة، وقالت طائفة ثالثة: الجواب محذوف وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر :٧٣] عطف على قوله: ﴿جَاءُوهَا﴾[الزمر :٧١] ، وهذا اختيار أبي عبيد والمبرد والزجاج وغيرهم، قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم، قال أبو الفتح ابن جني: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به.

بقي أن يقال: فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة وذكره في آية أهل النار؟ فقال: هذا أبلغ في الموضعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيفجأهم العذاب بغتة؛ فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه، فإنها دار الإهانة والخزى فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول، وأما الجنة، فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول: «أنا لها» فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجدًا لربه، فيَدَعَهُ ما شاء الله أن يَدَعَهُ، ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأله حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيمًا لخطرها وإظهارًا لمنزلة رسوله وكرامته عليه، وإن مثل هذه الدار هي دار ملك الملوك ورب العالمين، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها، وما ركبه من الأطباق طبقا بعد طبق وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم، وهذا أبلغ وأعظم

في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء، فجنة الله غالية بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولهذه الدار، فليعد عنها إلى ما هو أولى به وقد خلق له وهيئ له.

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة، كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا ويفرح بعضهم ببعض، وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرًا يلعن بعضهم بعضا ويتأذى بعضهم ببعض، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتيكة من أن يساقوا واحدًا واحدًا فلا تهمل تدبر قوله: ﴿زُمَرًا﴾. وقال خزنة أهل الجنة لأهلها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام: ٥٤] فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه أي سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قال: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] خالدين أي سلامتكم ودخولها بطيبكم، فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود، وأما أهل النار، فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتكبيتهم لهم بقولهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الزمر: ٧١] فاعترفوا وقالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ فبشروهم بدخولها والخلود فيها وإنها بئس المثوى لهم وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

وقول خزنة النار لأهلها: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ [النحل: ٢٩] تجد تحته سرًا لطيفًا ومعنى بديعًا لا يخفى على المتأمل، وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء وأشده حرًا وأعظمه عما يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ويدنو من الغم والخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب، فقيل: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ﴾ [النحل: ٢٩] صغارًا لهم وإذلالاً وخزيًا، ثم قيل لهم لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة، ولكن وراءها الخلود في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعده الله لأوليائه فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها، وتأمل قوله سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾ [ص: ٥٠-٥١] كيف تجد تحته معنى بديعًا، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي، وأما النار، فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ [الهمزة: ٨] أي مطبقة مغلقة

ومنه سمي الباب وصيدًا وهي ﴿مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝﴾ [الهمزة: ٨-٩] قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب.

قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد، وأيضًا فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاءوا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت، وأيضًا إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا.

وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة:

فقال الكوفيون: التقدير: مفتحة لهم أبوابها والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيقولون: مررت برجل حسن العين أي عينه، ومنه قوله تعالى ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات :٣٩] أي مأواه.

وقال بعض البصريين: التقدير مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير وما اتصل به، وقال: هذا التقدير في العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء، لأن الهاء والألف اسم والألف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه.

قالوا: وأيضًا لو كانت الألف واللام بدلاً من الضمير لوجب أن يكون في ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ضمير الجنات ويكون معنى مفتحة هي، ثم أبدل منها الأبواب ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل، فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد فلما ارتفع الأبواب دل على أن مفتحة خال من ضمير والأبواب مرتفعة به، وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني كما تقول مررت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه ونونت حسنًا لم يجز، فالألف واللام إذا للتعريف ليس إلا، فلابد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو جنات عدن ولا ضمير في اللفظ، فهو محذوف تقديره الأبواب منها، وعندي أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير، تغني عنه، وإجماع العرب على قولهم حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك. وقد قالوا: أن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان، وكذلك المضاف إليه يكون بدلاً من التنوين، والتنوين بدل من الإضافة بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا أن معنى البدل معنى المبدل منه، بل قد يكون في كل منهما معنى لا يكون في الآخر، فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام في الأبواب

أغنت عن الضمير لو قيل أبوابها، وهذا صحيح، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة، فلما كان الضمير عائدًا على الموصوف نفي توهم الاستقلال وكذلك لام التعريف، فإن كلاً من الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسرة، وهذا يعين ما دخل عليه، وقد قالوا في زيد نعم الرجل، إن الألف واللام أغنت عن الضمير والله أعلم.

وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعرابًا اعترض عليه فيه فقال ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ معرفة كقوله ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب، ومفتحة حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل، وفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال، هذا إعرابه فاعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضي تعريفها، وأما قوله ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ [مريم: ٦١] فبدل لا صفة وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مآب على قوله، لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به، فإن القائل قائلان:

أحدهما: أنه لا يكون إلا في المعارف كقول البصريين.

والثاني: أنه يكون في المعارف والنكرات بشرط المطابقة كقول الكوفيين وأبي على الفارسي، وقوله: إن في مفتحة ضمير الجنات فالظاهر خلافه، وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه، وقوله: إن الأبواب بدل اشتمال، فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لابد فيه من الضمير، وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظًا به، وأن يكون مقدرًا وهنا لم يلفظ به فلابد من تقديره أي الأبواب منها، فإذا كان التقدير: مفتحة لهم هي الأبواب منها كان فيه تكثير للإضمار، وتقليله أولى.

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله قال: «**في الجنة ثمانية أبواب؛ باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**» [(١)]، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين في شيء من الأشياء** [(٢)] **في سبيل الله دعى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان**» فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ ما على من دعي من تلك الأبواب من

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٥٧)، ومسلم، حديث (١١٥٢).
(٢) المراد بالزوجين: إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد.

ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: «نعم وأرجو أن تكون منهم» [(١)]. وفي صحيح مسلم، عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» [(٢)] زاد الترمذي بعد التشهد: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» [(٣)] زاد أبو داود والإمام أحمد «ثم رفع نظره إلى السماء فقال» [(٤)].

وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فتح له أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» [(٥)].

وعن عتبة بن عبد الله السلمي، قال: سمعت رسول الله صلى اله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث [(٦)] إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» [(٧)] رواه ابن ماجه وعبد الله بن أحمد عن ابن نمير ثنا إسحق بن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة.



(١) أخرجه البخاري، حديث (١٨٩٧)، ومسلم، حديث (١٠٢٧).
(٢) أخرجه مسلم، حديث (٢٣٤).
(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٥٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦١٦٧)، تمام المنة (ص ٩٦، ٩٧).
(٤) أخرجه أبو داود، حديث (١٧٠)، وهي زيادة ضعيفة، وانظر ضعيف الجامع (٥٥٣٧).
(٥) أخرجه ابن ماجه، حديث (٤٦٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٣٠)، حديث (١٣٨١٨)، والحديث ضعيف بهذا السياق، وانظر الضعيفة (٤٥٧٨)، وهو صحيح دون ذكر: «ثلاث مرات» وهو عند مسلم من حديث عمر رضي الله عنه.
(٦) لم يبلغوا الحنث: أي لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجري عليهم القلم فيكتب عليهم الحِنْث وهو الإثم. انظر النهاية (١/ ٤٤٩).
(٧) أخرجه ابن ماجه، حديث (١٦٠٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٨٣)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١١٩)، حديث (٢٩٤)، والشاميين (٢/ ١٤١)، حديث (١٠٧٠)، وهو حديث حسن. وانظر صحيح الجامع (٥٧٧٢)، وصحيح الترغيب (١٩٩٣).

الباب العاشر
في ذكر سعة أبوابها

عن أبي هريرة قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة إليه فنهش نهشة، وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»، ثم نهش أخرى، وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال: «**ألا تقولون كيف؟**» قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «**يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر**» فذكر حديث الشفاعة بطوله، وقال في آخره: «**فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربي فيقيمني رب العالمين مقامًا لم يقمه أحدًا قبلي ولن يقيمه أحد بعدي، فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين**(١) **من مصارع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة**».

وفي لفظ: «**لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى**»(٢) متفق على صحته، وفي لفظ خارج الصحيح بإسناده: «**أن ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر**»(٣).

وعن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد أذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يصبها صاحبها، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها، فانقلبوا بخير ما بحضرتكم، ولقد ذكر لنا: أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم، وهو كظيظ من الزحام»(٤)، فهذا موقوف والذي قبله مرفوع، فإن كان رسول الله ﷺ هو الذاكر له كان هذا ما بين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم، وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله ﷺ لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم.

ولكن قد روى الإمام أحمد في مسنده من طريق حماد بن سلمة قال: سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا وليأتين عليه**

---

(١) المصراع: الباب الواسع ذو الدفتين.
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٧١٢)، ومسلم، حديث (١٩٤).
(٣) أخرجه مسلم، حديث (١٩٤)، ولفظه: «إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة».
(٤) أخرجه مسلم، حديث (٢٩٦٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٦١).

يوم وله كظيظ» [١] .

وقد رواه ابن أبي داود أنبأنا إسحاق بن شاهين أنبأنا خالد عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه **«يرفعه ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين»** [٢] .

وروينا في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: **«إن ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة»** [٣] وحديث أبي هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة والله أعلم .

وروى أبو الشيخ أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس أنبأنا يعقوب بن حميد أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبي بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي ﷺ قال: **«الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثًا، ثم إنهم ليضطغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»** [٤] رواه أبو نعيم عنه .

وهذا مطابق للحديث المتفق عليه **«إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى»**، فإن الراكب المجد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهارًا يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه، وأما حديث حكيم بن معاوية، فقد اضطرب رواته فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عامًا، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين .

وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عامًا على طريقة دراج، عن أبي الهيثم قال الإمام أحمد: أحاديث دراج مناكير، وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف، وقال النسائي: ليس بالقوي، فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته، على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف، فيكون كحديث عتبة بن غزوان .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ١٥٦)، حديث (٤١١)، وهو حديث حسن، وانظر صحيح الجامع (٢٣٠١) .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٠١)، حديث (٧٣٨٨)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩)، حديث (١١٢٥٧)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٥٩)، حديث (١٢٧٥)، وعبد بن حميد (ص ٢٨٩)، حديث (٩٢٦)، وهو حديث صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢١٩٠)، والصحيحة (١٦٩٨) .

(٤) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤٨)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٤٠٧)، حديث (٥٥٥٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٢٩)، حديث (١٥٥٠)، وهو حديث ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٢٣١٣)، ضعيف الترمذي .

الباب الحادي عشر
في صفة أبوابها وأنها ذات حَلَق

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾، قال: أبواب ترى.

وذكر أيضا عن خليد عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها انفتحي انغلقي [١].

وقال أبو الشيخ: أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسي أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد بن أبي الحواري أنبأنا عبد الله بن غياث عن الفزاري قال: (لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة، وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء).

وقد روى سهيل بن أبي صالح عن زياد النمري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر» [٢].

وفي حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن علي بن زيد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها» [٣]، وهذا صريح في أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع، وروى سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي» ويذكر عن علي رضي الله عنه (من قال: لا إله إلا الله الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر واستجلب به الغني واستقرع به باب الجنة) [٤].

فصل

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٢) عن خليد عن الحسن.
(٢) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٤٠)، حديث (٥٠) عن أنس مرفوعًا بلفظ: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»، وأخرجه مسلم، حديث (١٩٦) عن أنس مرفوعًا بلفظ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة».
(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٣١٤٨)، والدارمي في سننه (١/ ٤٠)، حديث (٥٠)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٦٨)، حديث (٣٩٨٩)، والحميدي (٢/ ٥٠٦)، حديث (١٢٠٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٤٥٩)، والصحيحة (١٥٧٠).
(٤) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٥٤).

بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض.

ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم كما في المسند من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثًا، ثم إنهم ليضغطون حتى تكاد مناكبهم تزول**» (١).

وفيه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي**» (٢) الحديث وسيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى.

وقال خلف بن هشام البزار: ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائي، عن أبي إسحاق عن عاصم بن حمزة عن علي بن أبي طالب قال: (إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض، ثم قرأ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا يترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رءوسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبدًا، ثم قرأ: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] فيدخل الرجل، وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول أنت رأيته فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكئ على سريره فينظر إلى أساس بيته، فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته فلولا أنه خلق له لالتمع بصره فيقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣])(٣). والله أعلم.



(١) تقدم وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث (٤٦٥٢)، وهو ضعيف، وانظر الضعيفة (١٧٤٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٤، ٣٥)، حديث (٣٤٠٠٤)، وابن المبارك في الزهد (ص ٥٠٩)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٨١).

الباب الثاني عشر
في ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا في معجم الطبراني أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري وعبد الله بن الصقر السكري، قالا: أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا عبد الرحمن بن المغيرة ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حرام حدثني عبد الرحمن بن عياش الأنصاري حدثنا دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق.

قال دلهم: وحدثنيه أيضًا أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلى الرسول ﷺ قال: قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال: «**لعمر إلهك أن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا**» وذكر الحديث بطوله [١].

وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب، لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عامًا ولا يمكن حمله على باب معين لقوله: «**ما منهن بابان**» والله أعلم.

الباب الثالث عشر
في مكان الجنة وأين هي؟

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾ [النجم :١٣-١٥] وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك، لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات :٢٢] قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هو الجنة [٢] وكذلك تلقاه الناس عنه، وقد ذكر ابن المنذر في تفسيره وغيره أيضًا عن مجاهد قال: هو الجنة والنار [٣]، وهذا يحتاج إلى تفسير، فإن النار في أسفل السافلين ليست في السماء ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيح عنه، وقاله أبو صالح عن ابن عباس: الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، وعلى هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت في السماء من عند الله.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٥-٦٠٧)، حديث (٨٦٨٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٦) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، يقول: الجنة في السماء، وما توعدون من خير أو شر.

(٣) لم أجده من قول مجاهد، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٦١)، حديث (٧٤٢١) عن الضحاك في قوله: «﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال: الجنة والنار».

قال الحارث بن أبي أسامة: حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف، قال: سمعت عبد الله بن سلام يقول: «**إن أكرم خليقة الله أبو القاسم، وإن الجنة في السماء**»[١] رواه أبو نعيم عنه قال: ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعًا، ثم ساقه من طريق ابن منيع قال ثنا عمرو الناقد ثنا عمرو بن عثمان ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعا، ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ثنا محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال: (الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة وجهنم في الأرض السابعة)[٢] .

وقال ابن منده: ثنا أحمد بن إسحاق قال ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء عن عبد الله قال: (الجنة في السماء الرابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء، والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء)[٣] .

وقال مجاهد: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سموات، قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة. رواه ابن منده عن أحمد بن إسحاق عن الزبيري عن إسرائيل عن ابن أبي يحيى عن مجاهد. وأما الأثر الذي رواه أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عيسى بن يونس عن نوير بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو قال: (الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر في كل عام مرة، وإن أرواح المؤمنين في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة)[٤] .

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره، ولا تناقض فيه فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه وتعالى بالشمس في كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات، جعله الله تعالى مذكرًا بتلك الجنة وآية دالة عليها، كما جعل هذه النار مذكرة بتلك وإلا فالجنة التي عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهي فوق الشمس أكبر منها.

وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين**

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١١٨)، حديث (٣٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦١٢)، حديث (٨٦٩٨)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٣١)، حديث (٣٦٦).

(٢) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (١٣٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١١٠٢)، حديث (٦٠٠) عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «الجنة في السماء السابعة العليا...».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣١)، حديث (٣٣٩٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٩٠).

السماء والأرض» [١] ، وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع والله أعلم . والحديث له لفظان هذا أحدهما ، والثاني : **«إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله»** [٢] وشيخنا يرجح هذا اللفظ ، وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح : **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»** [٣] أي من جملة أسمائه هذا القدر فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين .

ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس ، وسقفه العرش كما قال في الحديث الصحيح : **«إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»** [٤] .

قال شيخنا أبو الحجاج المزي : والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أي وسقفه عرش الرحمن . فإن قيل : فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها ، فإن الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه .

قيل : لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفا له دون ما تحته من الجنات ، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئًا فشيئًا درجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن : **«اقرأ وارق ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»** [٥] ، وهذا يحتمل شيئين أن يكون منزلته عند آخر حفظه ، وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه والله أعلم .



---

(١) لم أجده في مسلم ، وأخرجه البخاري ، حديث (٢٧٩٠) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٥) ، حديث (٨٤٠٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٧١) ، حديث (٤٦١١) ، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٥) عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» .

(٢) انظر الحديث السابق .

(٣) أخرجه البخاري ، حديث (٦٤١٠) ، ومسلم ، حديث (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة .

(٤) أخرجه البخاري ، حديث (٢٧٩٠) ، وقد تقدم وهو تكملة لحديث «إن في الجنة مائة درجة . . .» .

(٥) أخرجه أبو داود ، حديث (١٤٦٤) ، والترمذي ، حديث (٢٩١٤) من حديث عبد الله بن عمرو ، وأخرجه ابن ماجه ، حديث (٣٧٨٠) من حديث أبي سعيد ، وهو صحيح ، وانظر صحيح الجامع (٨١٢٢) ، والصحيحة (٢٢٤٠) .

الباب الرابع عشر
في مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة: ثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»** رواه الإمام أحمد في مسنده ولفظه **«مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»** [(١)] .

وذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له: (أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله قال: بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح) [(٢)] .

وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال: **«لا إله إلا الله»** .

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة [(٣)] قال: **«إن السيوف مفاتيح الجنة»** [(٤)] .

وفي المسند من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلك على باب من أبواب الجنة»**، قلت: بلى قال: **«لا حول ولا قوة إلا بالله»** [(٥)] .

وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال ﷺ: **«مفتاح الصلاة الطهور»** [(٦)] ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق ومفتاح

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٢)، حديث (٢٢١٥٥)، والبزار في مسنده (٧/ ١٠٤)، حديث (٢٦٦٠)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٥٢٦٤)، الضعيفة (١٣١١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في الجنائز . . . ، معلقًا بصيغة التمريض، ووصله البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٩٥) ت (٢٦١)، وابن حجر في تغليق التعليق (٢/ ٤٥٣).

(٣) هكذا بالأصل. والصحيح: يزيد بن شجرة كما في سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٦٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٢٠٧).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٦٠)، حديث (٢٥٦٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٢٥٦)، حديث (٩٥٣٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢٠٧)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٤٦)، حديث (٦٤١) جميعًا عن مجاهد عن يزيد بن شجرة به، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (١٣٧٧)، والصحيحة (٢٦٧٢).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٩٧)، حديث (١٠١٨٩)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٢٨)، حديث (٢٢٠٤٩)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٧٣)، حديث (١٢٨)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٦١٠)، والصحيحة (١٧٤٦).

(٦) أخرجه أبو داود، حديث (٦١)، والترمذي، حديث (٣)، وابن ماجه، حديث (٢٧٥) من حديث علي رضي الله عنه، وهو حديث صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥٨٨٥).

الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له الإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلوب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة والإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحًا وبابًا يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسولهﷺ والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحًا للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم، وجعل الغني مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح النفاق، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم، وأخذ المال من غير حله وجعل الاعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله له الملك، وله الحمد وله النعمة والفضل، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون.



الباب الخامس عشر
في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝﴾ [المطففين: ١٨-٢١] فأخبر الله تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويهًا بكتاب الأبرار وما وقع لهم به وإشهارًا له وإظهارًا بين خواص خلقه كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهًا باسم المكتوب له وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده.

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان وأبو عوانة الإسفراييني في صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة فجلس رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير، وهو يلحد له فقال: **«أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات، ثم قال: «إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن فجلسوا منه مد بصره، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادي مناد من السماء أن صدق**

عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة تنزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى وتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: ها هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه في النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة» [١] ورواه أبو داود بطوله بنحوه، فهذا التوقيع والمنشور الأول.

فصل

وأما المنشور الثاني: فقال الطبراني في معجمه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٩٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٨٠)، حديث (٦٧٣٧)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٦٧٦)، وصحيح الترغيب (٣٥٥٨).

الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية» [١].

وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسي أنبأنا زاهر الثقفي أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراقي حدثنا محمد بن إسحاق بن منده أنبأنا محمد بن علي البلخي حدثنا محمد بن خشام حدثنا العباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن سعيد ثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي أن النبي ﷺ قال: «يعطى المؤمن جوازًا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية» [٢].

قلت: وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته، ثم يعطي هذا المنشور يوم القيامة فالله المستعان.

الباب السادس عشر

في توحد طريق الجنة وانه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم، وأما طرق الجحيم فأكثر من إن تحصي ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل النار كقوله تعالى، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩] أي: ومن السبيل جائر عن القصد وهي سبيل الغي، وقال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١].

وقال ابن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، وقال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطًا عن يمينه، وعن يساره، ثم قال: «هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]» الآية [٣]، فإن قيل:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٧٢)، حديث (٦١٩١)، والأوسط (٣/ ٢٢٤)، حديث (٢٩٨٧)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٤٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٢٨)، حديث (١٥٤٧)، وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ....».

(٢) أخرجه أبو يعلى في الإرشاد (١/ ٤٢٣)، حديث (١٠٧)، والخطيب في تاريخه (٧/ ٩٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٢٨، ٩٢٩)، حديث (١٥٤٨)، وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ... قال الدارقطني: تفرد به سعدان عن التيمي. قال ابن الجوزي: سعدان مجهول وكذلك محمد بن خشام».

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٣)، حديث (١١١٧٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٣٥)، حديث (٤١٤٢)، والدارمي في سننه (١/ ٧٨)، حديث (٢٠٢)، والبزار في مسنده (٥/ ٢٥١)، حديث (١٨٦٥)،

فقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[المائدة: ١٥-١٦] .

قيل: هي سبل تجمع في سبيل واحد وهي بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعظم؛ فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان، وهو شعبة كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره، وطريق الجنة هي إجابة الداعي إليها ليس إلا .

وقد روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: «جاءت ملائكة إلى النبيﷺ فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله مثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان الدار الجنة والداعي محمد، فمن أطاع محمدًا، فقد أطاع الله ومن عصى محمدًا، فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس»(١) ورواه الترمذي عنه ولفظه خرج علينا رسول اللهﷺ يومًا فقال: **«إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً فقال: اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول، فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها»**(٢) .

وصحح الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود قال: صلى رسول اللهﷺ العشاء، ثم انصرف فأخذ بيدي حتى خرج بي إلى بطحاء مكة فاجلسني، ثم خط خطًا، ثم قال: **«لا تبرحن خطك، فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم، فإنهم لا يكلمونك»**، ثم مضى رسول اللهﷺ حيث أراد فبينا أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط أشعارهم

وابن حبان في صحيحه (١/ ١٨٠)، حديث (٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦١)، حديث (٢٩٣٨)، وهو صحيح، وانظر تخريج الطحاوية (ص ٥٨٧) .

(١) أخرجه البخاري، حديث (٧٢٨١) .

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٨٦٠)، وأصله في البخاري، حديث (٧٢٨١)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٤٦٥)، والصحيحة (٣٥٩٥) .

وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى بشرًا وينتهون إليّ لا يجاوزُون الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان آخر الليل، لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس فقال: «لقد رآني منذ الليلة»، ثم دخل علي في خطي فتوسد فخذي فرقد وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ فبينا أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذي إذا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم ما بهم من الجمال فانتهوا إلى مجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه، ثم قالوا: ما رأينا عبدا قد أوتي مثل ما أوتي هذا النبي، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلاً مثل سيدٍ بنى قصرًا، ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يجبه عاقبه - أو قال: عذبه -، ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال: «سمعت ما قال هؤلاء وهل تدري من هم؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «هم الملائكة فتدري ما المثل الذي ضربوه؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده، فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عذبه» (١).

الباب السابع عشر
في درجات الجنة

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ [النساء: ٩٥-٩٦] قال: هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عامًا (٢)، وقال ابن المبارك: أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤] قال: بعضهم أفضل من بعض فيرى الذي قد فضل به فضله ولا يرى الذي هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس (٣).

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة، ثم أوقعه ثانيًا بدرجات فقيل: الأول: بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني: بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٨٦١)، والدارمي في سننه (١/ ١٩)، حديث (١٢)، وهو حديث حسن صحيح، وانظر صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٧١)، حديث (٢٤٦).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وفي الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **«أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»** قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: **«بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»** [١] ولفظ البخاري في: **«الأفق»**، وهو أبين، والغابر: هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب، وفي التمثيل به- دون الكوكب المسامت للرأس، وهو أعلى-.

فائدتان:

أحدهما: بعده عن العيون.

والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله، والله أعلم.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء»** [٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا فرات [٣] أخبرني فليح عن هلال يعني ابن علي - عن عطاء، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«أن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون - أو ترون - الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات»**، قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: **«بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»** [٤].

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخاري في صحيحه وفي هذا الحديث **«الغارب»** وفي

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٥٦)، ومسلم، حديث (٢٨٣١).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٥٦)، ومسلم، حديث (٢٨٣٠).
(٣) هكذا بالأصل. والصواب: فزارة بن عمرو كما في المسند.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٩)، حديث (٨٤٥٢)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٠٧، ٣٧٠٨).

حديث أبي سعيد الخدري «الغابر» وقوله: الطالع صفة للكوكب، وصفه بكونه غاربًا وبكونه طالعًا.

وقد صرح بهذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سلمان عن هلال بن علي، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات، قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»** (١)، وهذا على شرط البخاري أيضًا.

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي، فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عز وجل»** (٢).

في المسند من حديث أبي سعيد الخدري أيضًا عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم»** (٣).

وفي المسند عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: **«يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»** (٤)، وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة، وأما حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»** (٥)، فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج، وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفي ضمن كل درجة دونها.

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول الله صلى اله عليه وسلم يقول: **«من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقًا على الله أن يغفر له، هاجر أو قعد حيث ولدته أمه»**، قلت: يا رسول الله ألا أخرج فأوذن الناس؟ قال: **«لا ذر الناس يعملون، وإن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين**

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٥٦)، وهو صحيح، وانظر الحديث السابق.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٧)، حديث (١١٨٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٣١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٩)، حديث (١١٢٥٤)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٩٠١)، والضعيفة (١٨٨٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٠)، حديث (١١٣٧٨)، وهو صحيح، وانظر صحيح ابن ماجه.

(٥) تقدم تخريجه.

منها مثل ما بين السماء والأرض وأعلى درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» (١) رواه الترمذي هكذا بلفظه .

وروى أيضًا من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : «**إن في الجنة مائة درجة**» (٢)، ثم ذكر نحو حديث معاذ .

وفيه أيضًا من حديث عطاء، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام**» (٣) قال : هذا حديث حسن غريب ، وفيه أيضًا من حديث أبي سعيد يرفعه «**إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم**» (٤) ورواه أحمد بدون لفظة (في) كما تقدم وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة (في) وبدونها ، وإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجتها ، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير في السرعة والبطء والنبي ﷺ ذكر هذا تقريبًا للأفهام ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثني أبو هانئ التجيبي سمعت أبا علي التجيبي سمعت أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض أو بعد ما بين السماء والأرض**»، قلت : يا رسول الله : لمن؟ قال : «**للمجاهدين في سبيل الله**» (٥).



(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٢٩)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (١٩١٣، ٣٢٢٩).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٢٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٢)، حديث (٧٩١٠)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٤٢٤٥)، وصحيح الترغيب (٣٧١٠).
(٤) تقدم تخريجه وهو ضعيف.
(٥) لم أجده من حديث أبي سعيد وقد تقدم من حديث أبي هريرة.

الباب الثامن عشر
في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبيﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي»**[١] .

وقال أحمد: أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: **«إذا صليتم فسلوا الله لي الوسيلة»** قيل: يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: **«أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو»**[٢] هكذا الرواية: **«أن أكون أنا هو»** ووجهها أن تكون الجملة خبرًا عن اسم كان المستتر فيها، ولا يكون أنا فصلاً ولا توكيدًا بل مبتدأ.

وفي الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه قال. قال رسول اللهﷺ : **«من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة»**[٣] .

هكذا لفظ الحديث: (مقاما) بالتنكير ليوافق لفظ الآية ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة فوصف بما توصف به المعارف، وهذا ألطف من جعل (الذي وعدته) بدلاً فتأمله، وفي المسند من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ : **«الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة»**[٤] .

وذكره ابن أبي الدنيا، وقال فيه **«درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها فسلوا الله أن يؤتينيها على رءوس الخلائق»**، وقال أبو نعيم أنبأنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٣٨٤)، وأبو داود، حديث (٥٢٣)، والترمذي، حديث (٣٦١٤)، والنسائي، حديث (٦٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٥)، حديث (٧٥٨٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٢١٦)، حديث (٣١٢٠)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٣٦٠)، حديث (٣٦٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٦٣٦)، والمشكاة (٥٧٦٧).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٦١٤)، ولم أجده عند مسلم.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٣)، حديث (١١٨٠٠)، والطبراني في الأوسط (١/ ٨٩)، حديث (٢٦٣)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧١٥١)، الصحيحة (٣٥٧١).

عمرو بن مسلم حدثنا عبد الله بن عمران العابدى حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩][1] قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأسًا.

وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه، قال لبيد: بلى كل ذي رأي إلى الله واسل، ومعني الوسيلة: من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نورًا، وقال صالح بن عبد الكريم قال لنا فضيل بن عياض: أتدرون لم حسنت الجنة، لأن عرش رب العالمين سقفها، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: (نور سقف مساكنكم نور عرشه)، وقال مروان بن بكير عن أشعث عن الحسن: (إنما سميت عدن، لأن فوقها العرش ومنها تفجر أنهار الجنة وللحور العدنية الفضل على سائر الحور) والقربى والزلفى واحد، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل، وقال الكلبي: اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة.

وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعونهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه، ولما كان رسول أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر النبي ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان، وأيضًا فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه وقوله: (حلت عليه) يروى عليه وله، فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ومن رواه بعلى فمعناه وقعت عليه شفاعتي، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٥٢-١٥٣)، حديث (٤٧٧)، والصغير (١/ ٥٣)، حديث (٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤٠).

الباب التاسع عشر
في عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده
وثمنها الذي طلبه منهم وعقد التبايع
الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] فجعل سبحانه ههنا الجنة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد.

أحدها: إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد باداة إن.

الثاني: الإخبار بذلك بصيغة المرضى الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه، وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدًا لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة على التي للوجوب أعلامًا لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقًا عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضًا بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار، ولا يعرض له ما يفسخه..

العاشر: أنه أخبرهم إخبارًا مؤكدًا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن، وهو الجنة، وقوله: ﴿بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ أي عاوضتم و ثامنتم به.

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذي وقع العقد وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره العابدون له بما يحب الحامدون له على ما يحبون وما يكرهوه السائحون، وفسرت السياحة بالصيام، وفسرت بالسفر في طلب العلم وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة،

والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال، ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي اللاتي لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات وليست سياحتهن جهادًا ولا سفرًا في طلب علم ولا إدامة صيام، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره، وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يحب والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه بأوصاف كماله، وسياحة اللسان في أفضل ذكره، وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب وجعل الإسلام والإيمان قرينين، فهذا علانية، وهذا في القلب كما في المسند عنه ﷺ **«الإسلام علانية والإيمان في القلب»** [١].

وجعل القنوت والتوبة قرينين هذا فعل ما يحب، وهذا ترك ما يكره.

وجعل الثيوبة والبكارة قرينين فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبها، وهذه روضة أنف لم يرتع فيها، بعد وجعل الركوع والسجود قرينين، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلامًا بأن إحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر، وجعل ذلك قرينًا لحفظ حدوده، فهذا حفظها في نفس الإنسان، وذلك أمر غيره بحفظها، وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها، فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها، فانظر إلى المشتري لها من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو، وانظر إلى ما جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس، والله سبحانه المشتري لها، والثمن لها جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه:

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»** [٢] قال: هذا حديث حسن غريب، وفي كتاب صفة الجنة لأبي نعيم من حديث أبان عن أنس قال: جاء أعرابي إلى

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٣٤)، حديث (١٢٤٠٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٩)، حديث (٣٠٣١٩)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٣٠١)، حديث (٢٩٢٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٢٢٨٠)، وتخريج الطحاوية (ص ٣٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٤٥٠)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٤٢٥)، حديث (١٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٣)، حديث (٧٨٥١)، والبيهقي في الشعب (١/ ٥١٢)، حديث (٨٨١)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦٢٢٢)، وصحيح الترغيب (٣٣٧٧)، والصحيحة (٢٣٣٥).

رسول الله ﷺ فقال: ما ثمن الجنة؟ قال «**لا إله إلا الله**» وشواهد هذا الحديث كثيرة جدًّا.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة فقال: «**أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**»، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا أبدًا ولا أنقص منه فلما ولى قال: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[(١)] .

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «**نعم**»[(٢)] [(٣)] .

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات، وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٤)] .

وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٥)] .

وفي الصحيحين، عن أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من ربي فأخبرني - أو قال فبشرني - أنه من مات من أمتك لا يشرك شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى، وإن سرق قال: وإن زنى، وإن سرق**»[(٦)] .

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**»[(٧)] .

وفي لفظ: «**أدخله الله الجنة على ما كان من عمل**».

وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه أعطى أبا هريرة نعليه فقال: «**أذهب**

(١) أخرجه البخاري، حديث (١٣٩٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأنَّ من تمسك بما أمر به دخل الجنة، حديث (١٤).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (١٣٩٧)، ومسلم، حديث (١٤).
(٣) أخرجه مسلم، حديث (١٥).
(٤) أخرجه مسلم، حديث (٢٦).
(٥) أخرجه أبو داود، حديث (٣١١٦)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٣)، حديث (٢٢٠٨٧)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦٤٧٩)، المشكاة (١٦٢١).
(٦) أخرجه البخاري، حديث (١٢٣٧)، ومسلم، حديث (٩٤).
(٧) أخرجه البخاري، حديث (٣٤٣٥)، ومسلم، حديث (٢٨).

بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة» [١].

وقال: روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: ثمن الجنة لا إله إلا الله [٢].

وروى أبو نعيم من حديث أبي الزبير عن جابر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يدخل أحدًا منكم الجنة عمله ولا يجيره من النار ولا أنا إلا بتوحيد الله تعالى»** [٣] وإسناده على شرط مسلم وأصل الحديث في الصحيح.

فصل

وههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها، وإن كان سببًا، ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ونفى رسول الله دخولها بالأعمال بقوله: **«لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»** [٤] ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال، ويدل على هذا حديث أبي هريرة الذي سيأتي إن شاء الله تعالى: **«أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم»** [٥] رواه الترمذي.

والثاني: أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله، وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله: **«سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحدًا منكم لن ينجو بعمله»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»** [٦]

(١) أخرجه مسلم، حديث (٣١).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٩٩)، حديث (٣٥٣١٣).
(٣) أخرجه مسلم، حديث (٢٨١٧)، وفيه: «... ولا أنا إلا برحمة من الله».
(٤) بهذا اللفظ: أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٦)، حديث (٧٤٧٣) من حديث أبي هريرة، وأصله في الصحيحين.
(٥) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤٩)، وابن ماجه، حديث (٤٣٣٦)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٨٣١)، الضعيفة (١٧٢٢).
(٦) أخرجه البخاري، حديث (٦٤٦٤)، ومسلم، حديث (٢٨١٨).

ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به، والله سبحانه وتعالى المستعان.

الباب العشرون

في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربهم عز وجل

قال الله تعالى: حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٤] والمعنى: وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة، وقالت طائفة: معناه وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك، وليس بسهل حذف الاسم والحرف معًا، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك، وحينئذ فيتكافأ التقديران ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسل، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل، فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل، وذلك أيضًا يتضمن التصديق بهم وأنهم بلغوهم وعده فصدقوا به وسألوه أن يؤتيهم إياه، وهذا هو الذي ذكره السلف والخلف في الآية، وقيل: المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل والأول أعم وأكمل.

وتأمل: كيف تضمَّن إيمانهم به؟ والإيمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق وعده والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم؛ فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه، وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده مع أنه فاعل لذلك ولا بد.

وأجاب: بأن هذا تعبد محض كقوله: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وقول الملائكة: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧] وخفي على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها الرغبة إليه سبحانه وتعالى، وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به، وأن لا يلحقه ما يحبطه، فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التي ينجز لهم بها وعده فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية.

وأما قوله: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم

على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة، وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين هو من الأسباب التي توجب بها لهم المغفرة، فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه وجعلها أسبابًا لإرادته كما جعلها أسبابًا لوقوع مراده، فمنه السبب والمسبب، وإن أشكل عليك ذلك، فانظر إلى خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه، فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التي خلقها وشاءها؛ فالكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون بالله، ونظير هذه الآية في سؤاله ما وعد به قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۞ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾ [الفرقان: ١٥-١٦] يسأله إياه عباده المؤمنون ويسأله إياه ملائكته لهم، فالجنة تسأل ربها أهلها وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين، وفي هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها فلا يجوز- تعطيلها عن آثارها وأحكامها فالرب تعالى جواد له الجود كله يحب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه، فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله، وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه، وهو يغضب إذا لم يسأل.

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يغضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحب الملحين في الدعاء، وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه في الحديث «**من لم يسأل الله يغضب عليه**» [(١)] فلا إله إلا هو، أي جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

قال أبو نعيم الفضل: حدثنا يونس هو ابن أبي إسحاق حدثنا يزيد بن أبي مرثد قال: قال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثًا إلا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار بالله ثلاثا قالت النار اللهم أجره من النار**» [(٢)] رواه الترمذي

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٣٣٧٣)، وابن ماجه، حديث (٣٨٢٧) من حديث أبي هريرة، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٤١٨)، والصحيحة (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٧٢)، والنسائي حديث (٥٥٢١)، وابن ماجه، حديث (٤٣٤٠)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥٦٣٠، ٦٢٧٥)، صحيح الترغيب (٣٦٥٤).

والنسائي وابن ماجه عن هناد بن السري، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق عن يزيد به .

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما سأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلانا يسألني فأدخلنيه»** (١)، وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا جرير عن يونس، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار: إن عبدك فلانًا استجار مني فأجره ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة! يا رب إن عبدك فلانا سألني فأدخله الجنة»** (٢)وإسناده على شرط الصحيحين . وقال أبو داود في مسنده حدثنا شعبة حدثني يونس بن حبان سمع أبا علقمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال أسأل الله الجنة سبعًا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة»** (٣).

وقال الحسن بن سفيان حدثنا المقدمي حدثنا عمر بن علي عن يحيى بن عبد الله عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار، فإنهما شافعتان مشفعتان، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب عبدك هذا الذي سألنيك فأسكنه إياي، وتقول النار: يا رب عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فأعذه»**.

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون حسبنا أن يجيرنا من النار، فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر، ثم رفع يديه، وقال: اللهم أجرني من النار أومثلي يجترئ أن يسألك الجنة، ومنهم عطاء السلمي كان لا يسأل الجنة فقال له صالح المري: إن أبان حدثني عن أنس أن النبي ﷺقال: **«يقول الله عز وجل: انظروا في ديوان عبدي، فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته، ومن استعاذ بي من النار أعذته»** (٤).

فقال عطاء: كفاني أن يجيرني من النار ذكرها أبو نعيم .

وقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي ﷺقال للفتي - يعني الذي شكاه -: **«كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟»** قال: أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار وأني لا أدري ما دندنتك ولادندنة معاذ فقال النبي ﷺ: **«أني ومعاذًا حولها ندندن»** (٥).

(١)أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٥٤)، حديث (٦١٩٢)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٢٥٠٦).
(٢)انظر الحديث السابق .
(٣)أخرجه الطيالسي في مسنده (ص ٣٣٦)، حديث (٢٥٧٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٧١)، وقال: «رواه البزار، وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف».
(٤)أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٧٥).
(٥)أخرجه أبو داود، حديث (٧٩٣)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣١٦٣).

وفي سنن أبي داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»** [١] رواه عن أحمد بن عمرو العصفري حدثنا يعقوب بن إسحاق حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد فذكره.

وقد تقدم في أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث: **«ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان تقول الجنة: يا رب قد طابت ثماري واطردت أنهاري واشتقت إلى أوليائي فعجل إليّ بأهلي»** الحديث فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم إليها جذبًا والنار كذلك.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما كما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا أيوب بن أبي شبيب الصنعاني قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حدثني عبد الله بن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تنسوا العظيمتين»**، قلنا: وما العظيمتان يا رسول الله؟ قال: **«الجنة والنار»**.

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حرب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم، فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم عن الآخرة»** [٢].

الباب الحادي والعشرون
في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى وأسماء كتابه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار.

الاسم الأول «الجنة»، وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستره ووقايته

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث (١٦٧١)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٦٣٥١)، ضعيف الترغيب (٥٠٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٠)، حديث (٤٤٩)، والأوسط (٤/ ٧٣)، حديث (٣٦٤٣)، وهو ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٢٠).

الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجان وهي الحية الصغيرة الرقيقة، ومنه قول الشاعر:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت   فلو جن إنسان من الحسن جنت

أي لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك، ومنه سمي البستان جنة، لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع، والجنة بالضم: ما يستجن به من ترس أو غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾[المجادلة :١٦] أي يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم، ومنه الجنة بالكسر كما قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾[الناس: ٦] وذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[الصافات :١٥٨] قالوا: وهذا النسب قولهم: الملائكة بنات الله، ورجحوا هذا القول بوجهين:

أحدهما: أن النسب الذي جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه ولا بين الجن وبينه.

الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[الصافات :١٥٨] أي قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب، والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء، وأن الجنة هم الجن نفسهم كما قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾[الناس: ٦] وعلى هذا ففي الآية قولان: أحدهما قول مجاهد قال: قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر: فمن أمهاتهم قالوا: سروات الجن [1]، وقال الكلبي: قالوا: تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة، وقال قتادة: قالوا: صاهر الجنى.

والقول الثاني: هو قول الحسن قال: أشركوا الشياطين في عبادة الله، فهو النسب الذي جعلوه، والصحيح: قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم، فإنهم لما قالوا الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسبًا بهذا الإيلاد، وجعلوا هذا النسب متوالدًا بينه وبين الجن، وأما قوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[الصافات :١٥٨] فالضمير يرجع إلى الجنة أي قد علمت الجنة إنهم للحساب قاله مجاهد أي لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾[المائدة :١٨] فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة، وهذا التقدير في الآية أبلغ في إبطال قولهم من التقدير الأول فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (١٤١).

فصل

الاسم الثاني «دار السلام» وقد سماها الله بهذا الاسم في قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام :١٢٧] . وقوله : ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [يونس :٢٥] وهي أحق بهذا الاسم ، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهلها ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ [يونس :١٠] ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس :٥٧-٥٨] وسيأتي حديث جابر في سلام الرب تبارك وتعالى عليهم في الجنة ، وكلامهم كلهم فيها سلام أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل كما قال تعالى : ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا﴾ [مريم :٦٢] ، وأما قوله تعالى ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة :٩٠-٩١] فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه وقالوا أقوالا : لا يخفى بعدها عن المقصود وإنما معنى الآية والله أعلم : فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين أي فسلامه لك كائنًا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وإنكارها ومن النار وعذابها فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله : أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، وهذا أول البشرى التي للمؤمن في الآخرة .

فصل

الاسم الثالث «دار الخلد» وسميت بذلك ، لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا كما قال تعالى : ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود :١٠٨] ، وقال ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص :٥٤] ، وقال ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد :٣٥] ، وقال ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر :٤٨] وسيأتي إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى .

فصل

الاسم الرابع «دار المقامة» قال تعالى : حكاية عن أهلها ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [فاطر :٣٤-٣٥] .

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود أقاموا فيها أبدًا لا يموتون ولا يتحولون منها أبدًا .

قال الفراء والزجاج: المقامة مثل الإقامة يقال : أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقامًا .

فصل

الاسم الخامس «جنة المأوى» : قال تعالى : ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[النجم :١٥] والمأوى : مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به .

وقال عطاء : عن ابن عباس هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة .

وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء .

وقال كعب : جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء .

وقالت عائشة رضي الله عنها وزر بن حبيش : هي جنة من الجنان .

والصحيح : أنها اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات :٤٠-٤١] ، وقال في النار : ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات :٣٩] ، وقال : ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾[العنكبوت :٢٥] .

فصل

الاسم السادس «جنات عدن» : فقيل : هي اسم لجنة من الجنان ، والصحيح : أنه اسم لجنة الجنان ، وكلها جنات عدن قال تعالى : ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[مريم :٦١] ، وقال تعالى : ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[فاطر :٣٣] ، وقال تعالى : ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾[التوبة :٧٢] والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن ، فإنه من الإقامة والدوام ، يقال : عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد توطنته ، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه .

قال الجوهري : ومنه جنات عدن أي إقامة ، ومنه سمي المعدن بكسر الدال ، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ومركز كل شيء معدنه والعادن الناقة المقيمة في المرعى .

فصل

الاسم السابع «دار الحيوان» : قال تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[العنكبوت :٦٤] والمراد : الجنة عند أهل التفسير قالوا : وإن الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان لهي دار الحياة التي لا موت فيها .

فقال الكلبي : هي حياة لا موت فيها .

وقال الزجاج : هي دار الحياة الدائمة وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة .

قال أبو عبيدة وابن قتيبة : الحياة الحيوان ، قال أبو عبيدة : الحياة والحيوان والحي بكسر

الحاء واحد.

قال أبو علي: يعني أنها مصادر فالحياة فعلة كالجلبة والحيوان كالنزوان والغليان والحي كالعي قال العجاج:

كنا بها إذا الحياة حي

أي: إذا الحياة حياة.

وأما أبو زيد فخالفهم، وقال: الحيوان ما فيه روح والموتان والموات ما لا روح فيه، والصواب: أن الحيوان يقع على ضربين:

أحدهما: مصدر كما حكاه أبو عبيدة.

والثاني: وصف كما حكاه أبو زيد، وعلى قول أبي زيد الحيوان مثل الحي خلاف الميت، ورجح القول الأول بأن الفعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات، فإن بابها فعلان كسكران وغضبان، وأجاب من رجح القول الثاني بأن فعلان قد جاء في الصفات أيضًا قالوا: رجل ضميان للسريع الخفيف وزفيان.

قال في الصحاح: ناقة رفيان سريعة وقوس رفيان سريعة الإرسال للسهم فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[العنكبوت: ٦٤] معنيين:

أحدهما: أن الحياة الآخرة هي الحياة، لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها أي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار فيكون الحيوان مصدرًا على هذا.

الثاني: أن يكون المعنى أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت.

فصل

الاسم الثامن «الفردوس» قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[المؤمنون: ١٠-١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾[الكهف: ١٠٧-١٠٨] والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على أفضلها وأعلاها كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات وأصل الفردوس: البستان والفراديس والبساتين.

قال كعب: هو البستان الذي فيه الأعناب.

وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم يقال: كرم مفردس أي معرش.

وقال الضحاك هي الجنة الملتفة بالأشجار، وهو اختيار المبرد، وقال: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب وجمعه الفراديس قال: ولهذا

سمي باب الفراديس بالشام وأنشد لجرير :

فقلت للركب إذ جد المسير بنا يا بعد نيرين من باب الفراديس

قال مجاهد: هو البستان بالرومية واختاره الزجاج فقال هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية قال: وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين قال حسان :

وإن ثـواب الـلـه كـل مـخـلـد جنان من الفردوس فيها يخلد

فصل

الاسم التاسع «جنات النعيم» قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان :٨] ، وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن .

فصل

الاسم العاشر «المقام الأمين» قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان :٥١] .

والمقام: موضع الإقامة .

والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النغص وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد و﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝﴾ [التين: ٣] الذي قد أمن أهله فيه مما يخالف منه سواهم وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان :٥١] .

وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان :٥٥] فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك وأمن من الموت فلا يخافون فيها موتًا .

فصل

الاسم الحادي عشر والثاني عشر «مقعد الصدق وقدم الصدق» قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر :٥٤-٥٥] فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال: مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحملة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه وموضع هذه اللفظة في كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق في الحديث والصدق في العمل والصديق الذي يصدق قوله بالعمل والصدق

بالفتح الصلب من الرماح ويقال للرجل الشجاع إنه لذو مصدق أي صادق الحملة، وهذا مصداق هذا أي ما يصدقه ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالة ومنه صدقني القتال وصدقني المودة ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق.

وذلك كله للحق الثابت المقصود الذي يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذي لا شيء تحته، وهو لا يتضمن أمرًا ثابتًا قط.

وفسر قوم: (قدم صدق) بالجنة وفسر بالأعمال الصالحة التي تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك والتحقيق أن الجميع حق، فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أي بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله وادخر لهم جزاءها يوم لقائه ولسان الصدق، وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع وأنه إثناء بحق لا بباطل ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنا على الله، وهو دخوله وخروجه بالله ولله وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجًا من أمر، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق والله المستعان.

الباب الثاني والعشرون

في عدد الجنات وأنها نوعان: جنتان من ذهب وجنتان من فضة

الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جدًا كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت رسول الله ﷺ عليه وسلم فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال: **«يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»**[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**[2] وقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦] فذكرهما، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٦٢] فهذه أربع.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٢٨٠٩).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٨٧٨)، ومسلم، حديث (١٨٠).

وقد اختلف في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين: فقالت طائفة: ﴿مِن دُونِهِمَا﴾ أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنى ﴿مِن دُونِهِمَا﴾ تحتهما قالوا: وهذا المنقول في لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا أي دونه في المنزلة كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وفي الصحاح: دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، ثم قال: ويقال: هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

أحدها: قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن :٤٨]وفيه قولان:

أحدهما: أنه جمع فنن، وهو الغصن.

والثاني: أنه جمع فن، وهو الصنف، أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن :٥٠]وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن :٦٦].

والنضاخة: هي الفوارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة، لأنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن :٦٨]ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل، واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت طائفة: الزوجان: الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس، وفيه نظر لا يخفى، وقالت طائفة: الزوجان: صنف معروف وصنف من شكله غريب، وقالت طائفة: نوعان، ولم تزد والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر وذلك، لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن :٥٤]، وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها وفي الأخريين قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن :٧٦]وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن :٥٤]أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك في الأخريين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن:٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الأخريين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]، وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنه أعلى جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين: مقربين وأصحاب يمين، ذكر جنتي المقربين، ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهري.

فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما، فإن قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان؟ قيل: هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثاني بوجهين:

أحدهما: من جهة النقل.

والثاني: من جهة المعنى.

فأما الذي من جهة النقل، فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هما بستانان في رياض الجنة**».

وأما الذي من جهة المعنى، فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية جزاء اجتناب المحارم.

فإن قيل: فكيف قال في ذكر النساء «**فيهن**» في الموضعين ولما ذكر غيرهن قال: «**فيهما**».

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠]، ثم أعاده في الجنتين الأخريين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى والله أعلم.

الباب الثالث والعشرون
في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان بيده وغرسها بيده تفضيلًا لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان دارًا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمدًا ﷺ، ومن السموات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر الحرم: شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلاة إلى غير ذلك، فهو سبحانه وتعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص :٦٨] .

وقال الطبراني في معجمه: حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث، قال الطبراني: وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم تره عين أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء :٧٨] فيشهده الله تعالى وملائكته**»[1] .

قال الحسن بن سفيان: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال: حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبي هند عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر**»[2] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٨٩)، حديث (٨٦٣٥)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٤٢)، حديث (٧٥٦)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٥٥): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار بنحوه وفيه زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث».

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ١١)، حديث (٥٥٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٩٥)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٥٨٢)، والضعيفة (١٧١٩).

وقد ذكر الدارمي والنجار وغيرهما من حديث أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث»، قالوا: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث؟ قال: «الذي يقر السوء في أهله»**[١]، قلت: المحفوظ أنه موقوف.

قال الدارمي: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران حدثنا مجاهد قال: قال عبد الله بن عمر: (خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان)[٢].

وحدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: (إن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث: خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده)[٣].

حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: (لم يخلق الله بيده غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي، قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١])[٤].

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا يعقوب القمي حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال: (خلق الله جنة الفردوس بيده، فهو يفتحها كل يوم خميس فيقول: ازدادي طيبًا لأوليائي. ازدادي حسنًا لأوليائي)[٥].

وذكر الحاكم عن مجاهد قال: (إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح في كل سحر فينظر الله إليها فتقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١])[٦].

وذكر البيهقي من حديث البغوي: حدثنا يونس بن عبيد الله البصري حدثنا عدي بن

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٥)، حديث (١٠١٧١)، والدارقطني في الصفات (ص ٢٦-٢٧)، حديث (٢٨)، وهو مرسل.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٩)، حديث (٣٢٤٤)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٢٩)، حديث (٧٣٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٥)، حديث (١٠١٧١)، وهو صحيح، وانظر مختصر العلو للألباني.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٢٩)، حديث (١٢٢٣)، والطبري في تفسيره (١٨/ ١).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٥١٢)، حديث (١٤٥٨)، والطبري في تفسيره (١٨/ ١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٨).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٦).

الفضل عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها بيده، وقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فقال: طوبى، لك منزل الملوك**» [١].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن أبي المثنى البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا بشر بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران، ثم قال لها: انطقي، قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل**» [٢]، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفًا وإظهارًا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره - وبالله التوفيق - فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان.

وقد روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «**سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر**» [٣] ومصداقه من كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].



(١) ذكره الديلمي في مسند الفردوس (١/ ١٧٨)، حديث (٦٦٤).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٠)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٩٢)، والضعيفة (١٢٨٥).
(٣) أخرجه مسلم، حديث (١٨٩)، والترمذي، حديث (٣١٩٨).

الباب الرابع والعشرون
في ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

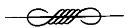
قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه.

وروى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بلى أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»** (١).

وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه **«من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فل هلم»**، قال أبو بكر: يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه فقال النبي ﷺ: **«إني لأرجو أن تكون منهم»** وفي لفظ: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: **«نعم أرجو أن تكون منهم»** (٢).

لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها سأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك فأخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله وكأنه قال هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعي يوم القيامة من أبوابها كلها؟

فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس، قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان، وهو اسم مشتق من الرضا وسمى خازن النار مالكًا، وهو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.



(١) أخرجه مسلم، حديث (١٩٧).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (١٨٩٧)، ومسلم، حديث (١٠٢٧).

الباب الخامس والعشرون
في ذكر أول من يقرع باب الجنة

وقد تقدم من حديث أنس ورواه الطبراني بزيادة فيه قال: «**فيقوم الخازن فيقول: لا أفتح لأحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك**»، وذلك أن قيامه إليه خاصة إظهارًا لمزيته ومرتبته ولا يقوم في خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته، وهو كالملك عليهم وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، عنه ﷺ أنه قال: «**أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أن امرأة تبادرني فأقول لها: ما لك ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى**» [(١)].

وفي الترمذي من حديث ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجبًا إن لله من خلقه خليلاً ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال آخر: ما ذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليمًا، وقال آخر: فعيسى كلمه الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله فخرج عليهم ﷺ فسلم، وقال: «**سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله، وهو كذلك وموسى نجي الله، وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته، وهو كذلك وآدم اصطفاه الله، وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**» [(٢)].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر يطوف عليَّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون**» [(٣)].

رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٢/ ٧)، حديث (٦٦٥١)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (١٥١٢)، والضعيفة (٥٣٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٣٦١٦)، والدارمي في سننه (١/ ٣٩)، حديث (٤٧)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترمذي.

(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٣٦١٠)، والدارمي في سننه (١/ ٣٩)، حديث (٤٨)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٤٧)، حديث (١٦٠)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٣٠٩)، والمشكاة (٥٧٦٥).

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أكثر الناس تبعًا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة»** (١).

الباب السادس والعشرون
في ذكر أول الأمم دخولا الجنة

وفي الصحيحين من حديث همام بن منبه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»** (٢) أي لم يسبقونا إلا بهذا القدر فمعنى بيد تعني سوى وغير وإلا ونحوها.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه»** (٣).

وفي الصحيحين من حديث طاوس، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولاً الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»** (٤).

وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي»** (٥) قال الدارقطني غريب عن الزهري ولا أعلم من روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث ولا رواه إلا عمرو بن أبي سلمة عن زهير. فهذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجنة فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته.

وأما أول الأمة دخولاً فقال أبو داود في سننه: حدثنا هناد بن السرِّي عن عبد الرحمن بن

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٣٤٨٦)، ومسلم، حديث (٨٥٥).

(٣) أخرجه مسلم، حديث (٨٥٥).

(٤) أخرجه البخاري، حديث (٨٩٨)، ومسلم، حديث (٨٥٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٨٩)، حديث (٩٤٢)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٢٩)، وهو منكر، وانظر ضعيف الجامع (١٤٢٨)، والضعيفة (٢٣٢٩).

محمد المحاربي عن عبد السلام بن حرب، عن أبي خالد الدالاني، عن أبي خالد مولى آل جعدة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي»** فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: **«أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي»**[1] وقوله: (وددت أني كنت معك) حرصًا منه على زيادة اليقين، وأن يصير الخبر عيانًا كما قال إبراهيم الخليل: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠]، وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه: حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحي أنبأنا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة»**[2]، فهو حديث منكر جدًا قال الإمام أحمد: داود بن عطاء ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث.

الباب السابع والعشرون
في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم

في الصحيحين من حديث همام بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيًا»**[3].

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء»**[4].

---

(١) ضعيف: وقد تقدم في باب صفة أبواب الجنة وأنها ذات حلق.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فضل عمر رضي الله عنه، حديث (١٠٤)، وهو منكر، وانظر ضعيف الجامع (٢١٤٩)، والضعيفة (٢٤٨٥).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٥)، ومسلم، حديث (٢٨٣٤).

(٤) أخرجه البخاري، حديث (٣٣٢٧)، ومسلم، حديث (٢٨٣٤).

وروى شعبة بن قيس عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول من يدعي إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء**» [١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرض علي أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله وفقير فخور**» [٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه واللفظ له من حديث أبي عشانة المعافري أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون أول من يدخل الجنة؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا فيقول: عبادي لا يشركون بي شيئًا تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٤]» [٣].

ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم قسم سعيدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠] واختلف في تقريرها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من باب التوكيد اللفظي ويكون الخبر قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١].

والثاني: أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثاني خبر له على حد قولك: زيد أي زيد

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٩)، حديث (١٢٣٤٥)، والأوسط (٣/ ٢٤٠)، حديث (٣٠٣٣)، والصغير (١/ ١٨١)، حديث (٢٨٨)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٩١)، حديث (٤٣٧٤)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٢١٤٧)، والضعيفة (٦٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (١٦٤٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٢٥)، حديث (٩٤٨٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٤)، حديث (١٤٢٩)، والطيالسي في مسنده (ص ٣٣٤)، حديث (٢٥٦٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٨)، حديث (٢٢٤٩)، البيهقي في الكبرى (٤/ ٨٢) حديث (٧٠١٩)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٣٧٠٣)، وضعيف الترغيب (٤٦٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٧)، حديث (٦٦٥٠)، والبزار في مسنده (٦/ ٤٢٦-٤٢٧)، حديث (٢٤٥٧)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ١٣٨)، حديث (٣٥٢)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٠٠)، حديث (١٠٣٨٠)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣١٨٣).

الذي سمعت به هو زيد كقول الآخر: أنا أبو النجم وشعري شعري إذ الناس ناس والزمان زمان.

قال ابن عطية: وهذا قول سيبويه.

والثالث: أن يكون الأول غير الثاني ويكون المعنى السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان، وهذا أظهر والله أعلم.

فإن قيل: فما تقولون في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: «**يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل عربي، قلت: أنا عربي لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا من قريش لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب**»، فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله عليَّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «**فبذلك**» [1].

قيل: نتلقاه بالقبول والتصديق ولا يدل على أن أحدًا يسبق رسول الله ﷺ إلى الجنة، وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله ﷺ في الجنة فلأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولاً بالأذان فيتقدم أذانه بين يدي النبي ﷺ فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم.

وقد روى في حديث أن النبي ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالأذان [2] فتقدمه بين يديه ﷺ كرامة لرسوله وإظهارًا لشرفه وفضله لا سبقًا من بلال له بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخول المسجد ونحوه والله أعلم.



---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لم أجده.

الباب الثامن والعشرون
في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام»** [(١)]، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه.

وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدوري عن المقري عن سعيد بن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبد الله عن النبي أنه قال: **«يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا»** [(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله يقول: **«فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفًا»** [(٣)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد دريد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: **«التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: أي أخي وماذا حبسك؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك فيقول: أي أخي إني حبست بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا ما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه»** [(٤)].

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وعلي بن عبد الله الرازي، قالا: حدثنا علي بن مهران العطار حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة عن سفيان الثوري عن محمد بن زيد، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن فقراء المؤمنين**

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٥٣)، وابن ماجه، حديث (٤١٢٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦)، حديث (٧٩٣٣)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٥١)، حديث (٦٧٦)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٥٧)، حديث (٨٨٦٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٨٠٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٥٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٢٤)، حديث (١٤٥١٦)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٣٣٦)، حديث (١١١٧)، وهو باطل بهذا اللفظ. قال الألباني رحمه الله في الضعيفة (١٩٢٦): «والمحفوظ أن هذه المدة أربعين خريفًا» إنما قالها ﷺ في فقراء المهاجرين، وأما فقراء المسلمين عامة فيدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة».

(٣) أخرجه مسلم، حديث (٢٩٧٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٠٤)، حديث (٢٧٧١)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (١٨٥٢).

يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام» وذكر الحديث بطوله [١] .

والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفًا، فإما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظًا وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم والله أعلم .

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره في الدخول والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفًا وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولاسيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً فالمزية مزيتان : مزية سبق ومزية رفعة وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة ويعدمهما آخر ويحصل لآخر السبق دون الرفعة ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه وبالله التوفيق .

الباب التاسع والعشرون

في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝﴾ [آل عمران :١٣٣-١٣٦] .

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالتي العسر واليسر والشدة والرخاء، فإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ولا يبذل في حال العسر والشدة، ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم وأنها إذا صدرت منها قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار، فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه .

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٥٧)، حديث (٨٨٦٥) .

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة :١٠٠]فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [الأنفال :٢-٤]فوصفهم بإقامة حقه باطنا وظاهرا وبأداء حق عباده.

وفي صحيح مسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺفقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ **«كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة»، ثم قال رسول الله ﷺ «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»** (١) قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وللبخاري معناه.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺأمر بلالاً ينادي في الناس: **«أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»** (٢)وفي بعض طرقه ومؤمنة وفي الحديث قصة.

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺقال ذات يوم في خطبته: **«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني من يومي هذا كل مال نحلته عبدًا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرأه نائمًا ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشًا فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال: استخرجهم كما أخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشًا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعًا لا يبغون فيكم أهلا ولا مالاً والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش، وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا**

---

(١)أخرجه مسلم، حديث (١١٤)، والترمذي، حديث (١٥٧٤).

(٢)أخرجه البخاري، حديث (٣٠٦٢)، ومسلم، حديث (١١١).

يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد» (١). وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل** [illegible] **على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر»** (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق قال: أنبأنا عبد الله أنبأنا موسى بن علي بن رباح، قال: سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»** (٣).

وذكر خلف بن خليفة، عن أبي هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ **«ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة والصديق في الجنة والشهيد في الجنة والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة ونساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها، ثم تقول: لا أذوق غمضًا حتى ترضى»** (٤) أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقي الحديث على شرطه.

وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»** (٥).

وقال ابن ماجه في سننه: حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخرم، قالا: أنبأنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو هلال الراسبي حدثنا عقبة بن أبي ثبيت الراسبي، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ **«إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيرًا، وهو يسمع وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرًا، وهو يسمع»** (٦).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: **مر بجنازة فأثنى عليها خيرًا فقال نبي الله ﷺ «وجبت وجبت وجبت» ومر بجنازة فأثنى عليها شرًا، فقال: «وجبت وجبت وجبت»، فقال**

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٩١٨)، ومسلم، حديث (٢٨٥٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٩)، حديث (٦٥٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤١)، حديث (٣٨٤٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣١٩٧)، الصحيحة (١٧٤١).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٥٩)، حديث (١٢٤٦٧)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٤١٨)، حديث (٨٧٣٢)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٢٨٧، ٣٣٨٠).

(٥) تقدم قريبًا جدًا.

(٦) أخرجه ابن ماجه، حديث (٤٢٢٤)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٠)، حديث (١٢٧٨٧)، والبيهقي في الزهد (٢/ ٣٠٥)، حديث (٨١٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٥٢٧)، والصحيحة (١٧٤٠).

عمر: فداك أبي وأمي مر بجنازة فأثني عليها خيرًا فقلت: «وجبت وجبت وجبت» ومر بجنازة فأثنى عليها شرًا فقلت: «وجبت وجبت وجبت»، فقال رسول الله ﷺ: «من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار وأنتم شهداء الله في الأرض» (١).

وفي الحديث الآخر: «يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن وبالثناء السيئ» (٢).

وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

الباب الثلاثون

في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ

في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض» (٣) هذا لفظ مسلم.

وعند البخاري: «وكشعرة سوداء في ثور أبيض» بغير ألف.

وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفًا» (٤) رواه الإمام أحمد والترمذي وإسناده على شرط الصحيح ورواه الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن عباس (٥) وفي إسناده خالد بن يزيد البجلي وقد تكلم فيه ورواه أيضًا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال:

(١) أخرجه البخاري، حديث (١٣٦٧)، ومسلم، حديث (٩٤٩).
(٢) أخرجه ابن ماجه، حديث (٤٢٢١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٦)، (٦/ ٤٦٦)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ١٦٤) حديث (٤٤٢) والحاكم في المستدرم (١/ ٢٠٧)، حديث (٤١٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢٣) من طريق أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه مرفوعًا، وهو صحيح، وانظر تخريج الطحاوية للألباني (ص ٤٢٩).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٢٨)، ومسلم، حديث (٢٢١).
(٤) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤٦)، وابن ماجه، حديث (٤٢٨٩)، أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٧)، حديث (٢٢٩٩٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٥)، حديث (٢٧٣)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٥٢٦)، المشكاة (٥٦٤٤).
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٨٧)، حديث (١٠٦٨٢)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٥٢٦).

قال ﷺ: «**كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**كيف أنتم وثلثها؟**»، قالوا: ذاك أكثر، قال: «**كيف أنتم والشطر لكم؟**»، قالوا: ذاك أكثر، فقال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفًا**» (١)، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن إلا الحارث بن حصيرة تفرد به عبد الواحد بن زياد.

وقال عبد الله بن أحمد حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان، عن أبي عمرو عن أبيه، عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤] قال رسول الله ﷺ: «**أنتم ربع أهل الجنة أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة**» (٢) قال الطبراني: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري.

وقال خثيمة بن سليمان القرشي: حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكار الصيرفي حدثنا حماد بن عيسى حدثنا سفيان الثوري عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفًا**» (٣) وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر، لأنه ﷺ رجا أولا أن يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاد عليه سدسًا آخر.

وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير أنه سمع جابرًا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة**»، قال: فكبرنا، ثم قال: «**فأرجو أن تكونوا الشطر**» (٤) وإسناده على شرط مسلم.



---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٦٨)، حديث (١٠٣٥٠)، والأوسط (١/ ١٧٢)، حديث (٥٣٩).

(٢) لم أجده هكذا، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٩١)، حديث (٩٠٦٩) من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤] شق ذلك على المسلمين فنزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤] فقال: أنتم ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الباقي».

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٤١٩)، حديث (١٠١٢)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٥٢٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣)، حديث (١٥١٥٤).

الباب الحادي والثلاثون

في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار

ثبت في الصحيحين من حديث أيوب بن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا، وإما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان** [illegible] الجنة عزب» [1] [illegible] نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر.

والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**» [2].

فإن قيل: فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعدما صلى فوعظ الناس وذكرهم، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة قال: فجعلت امرأة تلقي خاتمها وخرصها والشيء كذلك فأمر النبي ﷺ بلالاً فجمع ما هناك قال: «**إن منكن في الجنة ليسير**» فقالت امرأة: يا رسول الله لم؟ قال: «**إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير**» [3].

وفي الحديث الآخر: «**إن أقل ساكني الجنة النساء**» [4].

قيل: هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين التي خلقهن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار.

وأما كونهن أكثر أهل النار فلما روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**» [5].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت**

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٦)، ومسلم، حديث (٢٨٣٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٤٥)، حديث (٨٥٢٣).

أخرجه البخاري، حديث (٣٠٤)، ومسلم، حديث (٨٠).

أخرجه مسلم، حديث (٢٧٣٨).

أخرجه البخاري، حديث (٦٤٤٩).

أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» [١] .

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»** [٢] .

وفي المسند أيضًا من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء»** [٣] .

وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: **«يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار»** فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ فقال: **«تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن»** قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: **«أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل، فهذا نقصان العقل وتمكث الأيام لا تصلي وتفطر، فهذا نقصان الدين»** [٤] .

وأما كونهن أقل أهل الجنة ففي أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله: أنه كانت له امرأتان فجاء من عند إحداهما فقالت الأخرى: جئت من عند فلانة، فقال: جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أقل ساكني الجنة النساء»** [٥] .

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذي رواه أبو يعلى الموصلي حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديثًا طويلاً وفيه: **«فيدخل الرجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله تعالى واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا»** [٦] وذكر الحديث. قيل: هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر، وأما البخاري فقال فيه ما حكاه الترمذي عنه، قال: سمعت محمدًا يقول فيه: هو ثقة مقارب الحديث. قلت: ولكن

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٧٣٧)، والترمذي، حديث (٢٦٠٢).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٧)، حديث (٧٩٣٨).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٣)، حديث (٦٦١١)، وهو منكر بهذا اللفظ، فالحديث صحيح دون قوله: «الأغنياء»، وانظر ضعيف الترغيب (١٨٩٢)، الضعيفة (٢٨٠٠).
(٤) أخرجه مسلم، حديث (٨٠). (٥) تقدم تخريجه قريبًا.
(٦) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٨)، حديث (٥٧١٤)، وعزاه لأبي يعلى والبيهقي، وهو حديث منكر، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٢٤).

إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته وأيضًا فالرجل الذي روى عنه القرظي لا يدري من هو .

وقد روى عنه أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران ، فإذا امرأة في هودجها قال : فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال : كنا مع رسول الله ﷺ في هذا المكان ، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال رسول الله ﷺ : **«لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان»** [(١)] . والأعصم من الغربان : الذي في جناحه ريشة بيضاء قال الجوهري : ويقال : هذا كقولهم الأبلق العقوق وبيض الأنوق لكل شيء يعز وجوده وفي النهاية : الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين وقيل : الأبيض الرجلين أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الوصف في الغربان قليل عزيز .

وفي حديث آخر **«المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم»** قيل : وما الغراب الأعصم يا رسول الله؟ قال : **«الذي إحدى رجليه بيضاء»** [(٢)] .

وفي حديث آخر : **«عائشة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان»** [(٣)] .

الباب الثاني والثلاثون
فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»** فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ : **«اللهم اجعله منهم»** فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال : **«سبقك بها عكاشة»** [(٤)] . وفي

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٤٠٠) ، حديث (٩٢٦٨) ، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٧) ، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٣٢٨) ، حديث (٧٣٤٣) ، والبيهقي في الشعب (٦/ ١٧٢) ، حديث (٧٨١٨) ، وهو صحيح ، وانظر الصحيحة (١٨٥٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٠١) ، حديث (٧٨١٧) من حديث أبي أمامة ، وهو ضعيف ، وانظر ضعيف الجامع (٥٢٤٦) .

(٣) لم أجده هكذا ، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٩٢) ، حديث (١١٧١) من حديث عائشة بلفظ : « . . . . إن المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأعصم . . . » ، وقال ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٤٣٩) : (سألت أبي عن حديث رواه بقية بن الوليد . . . وذكر الحديث ثم قال : قال أبي : ليس هذا بشيء) .

(٤) أخرجه البخاري ، حديث (٥٨١١) ، ومسلم ، حديث (٢١٦) .

الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»** (١) فهذه هي الزمرة الأولى وهم يدخلونها بغير حساب.

والدليل عليه ما ثبت في الصحيحين والسياق لمسلم حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم الذي رأى الكوكب الذي انقض البارحة، قلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت قال: فما صنعت، قلت: استرقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم الشعبي؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **«عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع إليَّ سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت، فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»** ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ.

وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: **«ما الذي تخوضون فيه»** فأخبروه فقال: **«هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»** فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: **«أنت منهم»**، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: **«سبقك بها عكاشة»** (٢) وليس عند البخاري: **«لا يرقون»**.

قال شيخنا، وهو الصواب وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث وهي غلط من بعض الرواة، فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي استحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيره أن يرقيهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، والطيرة نوع من الشرك ويتوكلون على الله وحده لا على غيره وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث **«الطيرة شرك»** (٣).

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٧)، ومسلم، حديث (٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٥٧٥٢)، ومسلم حديث (٢٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود، حديث (٣٩١٠)، والترمذي، حديث (١٦١٤)، وابن ماجه، حديث (٣٥٣٨) من حديث عبد الله بن مسعود، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٩٦٠)، الصحيحة (٤٢٩).

قال ابن مسعود: وما منا إلا من تطير، ولكن الله يذهبه بالتوكل[١] فالتوكل ينافي التطير، وأما رقية العين فهي إحسان من الراقي وقد رقى رسول الله ﷺ جبريلُ وأذن في الرقى، وقال: «**لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك**»[٢] واستأذنوه فيها فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[٣] وهذا يدل على أنها نفع وإحسان، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله، فالراقي محسن والمسترقي سائل راج نفع الغير والتوكل ينافي ذلك.

فإن قيل: فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ وجبريل قد رقاه قيل: أجل، ولكن هو لم يسترق، وهو ﷺ لم يقل: ولا يرقيهم راق وإنما قال: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم، وفي امتناعه ﷺ أن يدعو للرجل الثاني سد لباب الطلب، فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله والله أعلم.

وفي صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب**» قيل: ومن هم قال: «**هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[٤].

وفي صحيحه أيضًا من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي ﷺ يذكر حديثًا طويلاً وفيه: «**فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوء نجم في السماء**»، ثم كذلك وذكر تمام الحديث[٥]. وقال أحمد بن منيع في مسنده حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت عليَّ الأمم بالموسم فتراءيت عليَّ أمتي، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وهيئتهم قد ملئوا السهل والجبل**» فقال: أرضيت يا محمد؟ فقلت: «**نعم**»، فقال: «**إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**» فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت منهم**» فقام رجل آخر فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[٦] وإسناده على شرط مسلم.

---

(١) هو بقية الحديث السابق.
(٢) أخرجه مسلم، حديث (٢٢٠٠)، وأبو داود، حديث (٣٨٨٦).
(٣) أخرجه مسلم، حديث (٢١٩٩). (٤) أخرجه مسلم، حديث (٢١٨).
(٥) أخرجه مسلم، حديث (١٩١).
(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٠٣)، حديث (٣٨١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٣١٤)، حديث (٩١١)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٢٣٣)، حديث (٥٣٤٠)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٤٧)، حديث (٦٠٨٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٠)، حديث (٨٢٧٨)، وهو حسن صحيح، وانظر صحيح الأدب المفرد.

الباب الثالث والثلاثون
في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد، قال: «سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب مع كل ألف سبعون ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي»[(١)] .

قلت: إسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه، فأما تدليسه فقد قال الطبراني: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي والحسين بن إسحاق التستري، قالا: «حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، قال: أخبرني محمد بن زياد الألهاني، قال: سمعت أبا أمامة فذكره، وأما ضعفه، فإنما هو في غير حديث الشاميين، وهذه من روايته عن الشاميين وأيضًا، فقد جاء من غير طريقه».

قال أبو بكر بن أبي عاصم: حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر، عن أبي اليمان الهوزني، عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب» قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصفر في الذباب قال رسول الله ﷺ: «فإن الله وعدني سبعين ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا وزادني في ثلاث حثيات»[(٢)] .

قال أبو عبد الله المقدسي: أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحي ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضي شيخ البخاري ومن فوقه إلى أبي أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزني وما علمت فيه جرحًا.

قال الطبراني: حدثنا أحمد بن خليد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عامر بن يزيدٌ البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٤٣٧)، وابن ماجه، حديث (٤٢٨٦)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٥٠)، حديث (٢٢٢١٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦١)، حديث (٥٨٩)، وهو حديث صحيح ولله الحمد والمنة، صححه ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩٣)، وانظر صحيح الجامع (٧١١١)، الصحيحة (٢١٧٩)، ظلال الجنة (٥٨٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦٠-٢٦١)، حديث (٥٨٨)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٥٥)، حديث (٧٦٦٥)، وهو صحيح، وانظر ظلال الجنة (٥٨٨).

حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثي ربي تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات» فكبر عمر، وقال: إن السبعين الأولى يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر [(١)].

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد: لا أعلم لهذا الإسناد علة.

قال الطبراني: حدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عبد الله بن عامر بن قيس الكندي أن أبا سعيد الأنماري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه»** قال ابن قيس: فقلت لأبي سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم بإذني ووعاه قلبي، قال أبو سعيد: فقال رسول الله ﷺ: **«وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي ويوفي الله عز وجل بقيته من أعرابنا»** [(٢)] قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث، عن أبي سعيد الأنماري إلا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية بن سلام وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر، عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده وفيه قال أبو سعيد فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف فقال رسول الله ﷺ: **«إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجري أمتي»** [(٣)].

قال الطبراني: حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسي ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، قالا: أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة، عن أبي بكر بن أنس، عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة»** فقال عمير: يا رسول الله زدنا فقال: **«هكذا بيده»** فقال عمير: يا رسول الله زدنا فقال عمر: حسبك يا عمير، فقال: ما لنا ولك يا ابن الخطاب وما عليك أن يدخلنا الله الجنة فقال عمر: إن الله عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة فقال نبي الله ﷺ: **«صدق عمر»** [(٤)] قال محمد بن عبد الواحد: لا أعرف لعمير حديثًا غيره.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٢٦، ١٢٧)، حديث (٣١٢)، والأوسط (١/ ١٢٦-١٢٧)، حديث (٤٠٢)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٣١-٢٣٢)، حديث (٧٢٤٧)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤١٣)، وقال: «... وفيه عامر بن زيد البكالي، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات».

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٠٤)، حديث (٧٧١)، والأوسط (١/ ١٢٨)، حديث (٤٠٤).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٨٥)، حديث (٨١٤)، وهو ضعيف، وانظر ظلال الجنة للألباني.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٦٤)، حديث (١٢٣)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠٥): (رواه الطبراني، وأبو بكر بن عمير لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح).

وفي الحلية من حديث سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي الجنة مائة ألف**» فقال أبو بكر: يا رسول الله زدنا قال: «**وهكذا**» وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال يا رسول الله: زدنا، فقال عمر: إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال رسول الله ﷺ: «**صدق عمر**» (١) رواه عنه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدي وفيه ضعف تفرد به أبو هلال الراسبي بصري واسمه محمد بن سليمان.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف**» قال أبو بكر: زدنا يا رسول الله قال: «**وهكذا**» وجمع بين يديه، قال: زدنا يا رسول الله قال: «**وهكذا**» فقال عمر: حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا، فقال عمر: إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبي ﷺ: «**صدق عمر**» (٢) تفرد به عبد الرزاق.

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا**» قالوا: زدنا يا رسول الله، فقال: «**وهكذا**» وحثى بيده قالوا: يا نبي الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا (٣) قال محمد بن عبد الواحد: لا أعلمه روى عن أنس بهذا الطريق، وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال صالح: وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا في قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين، فإن قيل: فكيف كانوا أولاً قبضة واحدة، ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور قيل: الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم وقد روى أنهم كانوا كالذر، وأما يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقة وأكمل أجسامًا فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٦٤)، حديث (٨٨٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٦٥)، حديث (١٢٧١٨)، ومعمر بن راشد في جامعه (١١/ ٢٨٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦٢)، حديث (٥٩٠)، والطبراني في الصغير (١/ ٢١٤)، حديث (٣٤٢)، والمقدسي في المختارة (٧/ ٢٥٤)، حديث (٢٧٠٣)، وهو صحيح، وانظر ظلال الجنة.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٤١٧)، حديث (٣٧٨٣)، والضياء في المختارة (٦/ ٥٤)، حديث (٢٠٢٨) من طريق عبد القاهر بن السري السلمي ثنا حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا، قالوا: زدنا يا رسول الله. قال: لكل رجل سبعون ألفًا. قالوا: زدنا وكان على كثيب فحثا بيده. قالوا: زدنا يا رسول الله. فقال: هذا وحثى بيده. قالوا: يا نبي الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا»، وقد ذكرت لفظ الحديث لأن فيما ذكره المصنف حذف.

الباب الرابع والثلاثون
في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر وأبو كامل، قالا: أنبأنا زهير حدثنا سعيد الطائي حدثنا أبو مدلة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: قلنا: يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد. قال: «**لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لهم**» قال: قلنا يا رسول الله: حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «**لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران ومن يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات، ويقول الرب: وعزتي وجلالي، لأنصرنك ولو بعد حين**» [1].

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة؛ فقال: «**من يدخل الجنة يحيا لا يموت، وينعم لا ييأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**» قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: «**لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران**» [2]. هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران.

وكذلك روي عن يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك**» [3].

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**» [4]. وهو قطعة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٤)، حديث (٨٠٣٠)، والترمذي، حديث (٢٥٢٦)، والطيالسي في مسنده (ص ٣٣٧)، حديث (٢٥٨٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٩٦)، حديث (٧٣٨٧)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٠٩)، حديث (٧١٠١)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٤١٥)، حديث (١٤٢٠)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٨)، حديث (٣٣٩٥٥)، وهو حسن لغيره، وانظر صحيح الترغيب (٣٧١٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٤٩).

(٤) أخرجه البخاري، حديث (٣٤٩)، ومسلم، حديث (١٦٣).

من حديث المعراج.

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «صدق». ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة عن الجريري، عن أبي نضرة أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة فقال: «درمكة بيضاء مسك خالص» (١).

وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد قد غلب أصحابك اليوم، قال: «وبأي شيء غلبوا؟» قال: سألهم اليهود كم عدد خزنة النار؟ فقالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا فقال رسول الله ﷺ: «أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا؟ ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة عليّ بأعداء الله، فإني سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة» فلما أن جاءوه قالوا: يا أبا القاسم كم عدد خزنة أهل النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما هكذا وهكذا وقبض واحدة أي تسعة عشر فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تربة الجنة؟» فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال النبي ﷺ: «الخبزة من الدرمكة» (٢).

فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تعارض بينها، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين: المسك والزعفران، قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا محمد بن أبي عبيد عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال: قال مغيث بن سمي: (الجنة ترابها المسك والزعفران) (٣) ويحتمل معنيين آخرين:

أحدهما: أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مسكًا والطين يسمى ترابًا ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر: ملاطها المسك، والملاط: الطين ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد: «ترابها الزعفران، وطينها المسك» (٤) فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيبًا، فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكًا.

المعنى الثاني: أن يكون زعفرانًا باعتبار اللون ومسكًا باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء يكون البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك وكذلك تشبيهها

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٩٢٨).
(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٣٣٢٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٦١) حديث (١٢٩٢٦) وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٢٩٣٧).
(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٧٠-١٠٧١)، حديث (٥٧٦).
(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٤٨).

بالدرمك، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا أرض الجنة من فضة وترابها المسك فاللون في البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي بكر بن أبي سبرة، عن عمر بن عطاء بن عرادة عن سالم بن المغيث، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنًا وطيبًا فتقول: لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد إعجابًا»** (١).

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا معاوية بن هشام حدثنا علي بن صالح، عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال: قيل: يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قال: **«لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران»** (٢).

وقال أبو الشيخ: حدثنا الوليد بن أبان حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضي حدثنا عدي بن الفضل حدثنا سعيد الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله بنى جنات عدن بيده، بناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل ملاطها المسك الأذفر وترابها الزعفران وحصباءها اللؤلؤ، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك»** (٣).

وقال أبو الشيخ حدثنا عمرو بن الحسين حدثنا أبو علاثة حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«قلت ليلة أسري بي: يا جبريل إنهم سيسألونني عن الجنة؟ قال: أخبرهم أنها من درة بيضاء، وأن أرضها قيعان والقيعان الذهب»** فإن كان ابن علاثة حفظه فهي أرض الجنتين الذهبيتين فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما والله أعلم.



---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٨)، وهو ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٩٣).
(٢) تقدم قريبًا. (٣) تقدم تخريجه.

الباب الخامس والثلاثون
في ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرمادي: أنبأنا كثير بن هشام حدثنا هشام بن زياد أبو المقدام عن حبيب بن الشهيد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**خلق الله الجنة بيضاء وأحب الزي إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت فقال: من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء**». فجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني اتخذت غنمًا سودًا فلا أراها تنمو قال: «**عفري**» [١] وقوله: «**عفري**» أي بيضي.

وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه: «**إن الله خلق الجنة بيضاء، وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا به موتاكم**» [٢].

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالبياض، فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم**» [٣].

وروينا من طريق البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفي عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة بعدما كف بصره فقال: يا ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قلت: فما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس، فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير [٤]، وذكر الحديث وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وفي حديث لقيط بن عامر الطويل الذي رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه عن النبي ﷺ وذكر الحديث، وقال: «**وتحبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحدًا**» قال: قلت: يا رسول الله فيم نبصر قال: «**بمثل بصرك في ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال**» [٥].

---

(١) أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ (ص٤٤٨)، حديث (٥٩٣)، وهو موضوع، وانظر الضعيفة (٨٠٠).
(٢) أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ (ص٤٤٩)، حديث (٥٩٤)، وهو موضوع، وانظر الضعيفة (٨٠٠).
(٣) ذكره الألباني في الضعيفة (٤٣١)، وقال: موضوع.
(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ١١٠١)، حديث (٥٩٩) عن ابن عباس موقوفًا، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٠٠).
(٥) تقدم تخريجه في باب ذكر مسافة ما بين الباب والباب.

وفي سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ألا هل مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دور سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية**» قالوا: نعم يا رسول الله ونحن المشمرون لها، قال: «**قولوا: إن شاء الله**». قال القوم: إن شاء الله[1].

الباب السادس والثلاثون

في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾[الزمر: ٢٠] فأخبر تعالى أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض حتى كأنها تنظر إليها عيانًا ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية أي لهم منازل مرتفعة وفوقها؛ منازل أرفع منها قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾[الفرقان: ٧٥] والغرفة: جنس كالجنة وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله الغرفة والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[سبأ: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾[الصف: ١٢] وقال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[التحريم: ١١].

وروى الترمذي في جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ «**إن في الجنة لغرفًا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها**» فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: «**لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام**»[2].

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، حديث (٤٣٣٢)، والبزار في مسنده (٧/ ٤٣)، حديث (٢٥٩١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٨٩)، حديث (٧٣٨١)، والطبراني في الكبير (١/ ١٦٢)، حديث (٣٨٨)، والضياء في المختارة (٤/ ١٣٢)، حديث (١٣٤٣)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٢١٨٠)، الضعيفة (٣٣٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (١٩٨٤)، وهو حسن، وانظر صحيح الجامع (٢١٢٣).

وقال الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام قال: حدثني أبو سلام حدثني أبو معانق الأشعري حدثني أبو مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام»**[(١)] .

وقال ابن وهب: حدثني حيي عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها»**. قال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله قال: **«لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائمًا والناس نيام»**[(٢)] .

قال محمد بن عبد الواحد: وهو عندي إسناد حسن وذكر أبي مالك فيه يدل على صحته، لأن أبا مالك قد رواه وإسناده أيضا حسن. وقد تقدم حديث أبي سعيد المتفق على صحته: **«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق»**[(٣)] .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: **«أن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا»**[(٤)] .

وقد تقدم قوله ﷺ في الحديث الصحيح: **«من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة»**[(٥)] .

وقوله في حديث أبي موسى: «يقول الله عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد»[(٦)] .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ: هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[(٧)] ، والقصب هنا قصب اللؤلؤ المجوف.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٣)، حديث (٢٢٩٥٦)، والطبراني في الكبير (٣/ ٣٠١)، حديث (٣٤٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٠٠)، حديث (٨٢٦٢)، والشعب (٣/ ٤٠٤)، حديث (٣٨٩٢)، وهو حسن، وانظر صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٣)، حديث (٦٦١٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٣)، حديث (٢٧٠)، والبيهقي في الشعب (٣/ ١٢٨)، حديث (٣٠٩٠)، وهو حسن صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٦١٧).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٥٦)، ومسلم، حديث (٢٨٣١).

(٤) أخرجه البخاري، حديث (٤٨٨٠)، ومسلم، حديث (٢٨٣٨).

(٥) تقدم تخريجه. (٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه البخاري، حديث (٣٨٢٠)، ومسلم، حديث (٢٤٣٢).

وقد روى ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة لقصرا من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم»** (١). وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي ﷺ قال: **«دخلت الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب»** (٢).

وهو فيهما من حديث جابر ولفظه: «فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب» وقد تقدم.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا شجاع بن الأشرس، قال: سمعت عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن حميد بن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: **«دخلت الجنة، فإذا فيها قصر أبيض قال: قلت: لجبريل لمن هذا القصر؟ قال: لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا، فقلت: لأي قريش؟ قال: لعمر بن الخطاب»** (٣) وهذا إن كان محفوظا فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه والله أعلم.

وقال الحسن: قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته (٤).

وقال الأعمش: عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال: (إن في الجنة قصورًا من ذهب وقصورًا من فضة وقصورًا من لؤلؤ وقصورًا من ياقوت وقصورًا من زبرجد) (٥).

وقال الأعمش: عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها) (٦).

وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر حدثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لغرفًا، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها»** قيل: لمن هي يا رسول الله قال:

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣٢٩)، حديث (٦٥٤٣)، و(٨/ ١٠٧)، حديث (٨١١٤).

(٢) لم أجده في الصحيحين من حديث أنس، وأخرجه الترمذي، حديث (٣٦٨٨)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٤١)، حديث (٨١٢٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٧)، حديث (١٢٠٦٥)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣١٠)، حديث (٦٨٨٧)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (١٤٢٣)، وقد أخرجه البخاري، حديث (٧٠٢٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، حديث (٢٣٩٤) من حديث جابر بن عبد الله.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٨١)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٣٤)، حديث (١١٦٨).

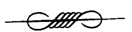
(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٤) من قول عبيد بن عمير.

«لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام» قيل: وما طيب الكلام؟ قال: **«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومنجيات ومعقبات»** قيل: وما وصال الصيام؟ قال: **«من صام شهر رمضان، ثم أدرك شهر رمضان فصامه»** قيل: وما إطعام الطعام؟ قال: **«من قات عياله وأطعمهم»** قيل: وما إفشاء السلام؟ قال: **«مصافحة أخيك وتحيته»** قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: **«صلاة العشاء الآخرة»** [١] قال: حفص بن عمر هذا مجهول لم يروه عنه غير علي بن حرب فيما أعلم.

قلت: هذا يلقب بالكَفْر بفتح الكاف وسكون الفاء وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام وعلى بن حرب وهما ثقتان، ولكن ضعفه ابن عدي وابن حبان وحديثه، هذا له شواهد والله أعلم.

وفي فوائد ابن السماك: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن، قال: سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: **«ألا أحدثكم بغرف الجنة؟»** قال: قلنا: بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قال: **«إن في الجنة غرفًا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها؟ وباطنها من ظاهرها فيها من النعم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت»** قال: قلنا: يا رسول الله، لمن هذه الغرف؟ قال: **«لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام»** قال: قلنا: يا رسول الله، ومن يطيق ذلك؟ قال: **«أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه، أو رد عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم، فقد أطعم الطعام ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام، ومن صلى صلاة العشاء الآخرة في جماعة، فقد صلى الليل والناس نيام اليهود والنصارى والمجوس»** [٢] وهذا الإسناد، وإن كان لا يحتج به وحده، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روي بإسنادين آخرين.



(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٨٧)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٢٦٠).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٥٦).

الباب السابع والثلاثون
في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة، وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦].

قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدًا [١].

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم.

وقال محمد بن كعب: يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة [٢].

هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦] أي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

وقال مقاتل بن حيان: بلغنا أن الملك الموكل بحفظ عمل بني آدم يمشي في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله في الجنة، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه [٣].

وقال سلمة بن كهيل: طرقها لهم ومعنى هذا أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها.

وقال الحسن: وصف الله الجنة في الدنيا لهم، فإذا دخلوها عرفوها بصفتها.

وعلى هذا القول فالتعريف وقع في الدنيا ويكون المعنى يدخلهم الجنة التي عرفها لهم، وعلى القول الأول يكون التعريف واقعًا في الآخرة هذا كله إذا قيل: إنه من التعريف، وفيها قول آخر: إنه من العرف، وهو الرائحة الطيبة، وهذا اختيار الزجاج أي طيبها ومنه طعام معرف أي مطيب.

وقيل: هو من العرف، وهو التتابع أي تابع لهم طيباتها وملاذها والقول هو الأول وأنه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعداه إلى غيره.

وفي صحيح البخاري من حديث قتادة، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٤٤). (٢) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢٨٩).
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٧٥)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمسكنه الذي كان في الدنيا» [(١)].

وفي مسند إسحاق من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة» [(٢)].

الباب الثامن والثلاثون
في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها

قد تقدم قوله تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلي حدثنا يحيى بن سليم الطائفي حدثنا إسماعيل بن عبد الله المكي حدثنا أبو عبد الله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحارث عن علي أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] قال: قلت: يا رسول الله، ما الوفد إلا ركب؟ قال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدًا فيضربون الحلقة بالصفيحة، فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجدا مما يرى من النور والبهاء فيقول: أنا قيمك الذي وكلت بأمرك فيتبعه فيقفو أثره فيأتي زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول: أنت حبي وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبدا وأنا الناعمة فلا أبأس أبدا والخالدة فلا أظعن أبدا فيدخل بيتا من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر ما منها طريقة**

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٢٤٤٠).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٢١- ٨٣٦)، حديث (٣٨٦)، وهو جزء من حديث الصور الطويل، وهو حديث منكر، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٢٤).

تشاكل صاحبتها، فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير، على السرير سبعون فراشا عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضي جماعهن في مقدار ليلة تجري من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاءوا، ثم تطير فتذهب فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انشعب الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاءوا إن شاء قائما، وإن شاء متكئا، وذلك قوله عز وجل ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٍ﴾ [الرحمن :٥٤] وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ» [(١)] . هذا حديث غريب وفي إسناد ضعيف وفي رفعه نظر والمعروف أنه موقوف على عليٍّ .

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد في هذه الآية : ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم :٨٥] قال : (أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها وعليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة) [(٢)] .

وقال علي بن الجعد في الجعديات: أنبأنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي قال : (يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها، فأذهبت ما في بطونهم من أذى وقذى وبأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تغير أبشارهم ولا تغير بعدها أبدا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . قال : ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته فيقولون : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة كذا قال، ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان، باسمه الذي يدعى به في الدنيا، فيقول : أنت رأيته فيقول : أنا رأيته، وهو ذا بأثرى فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق فلولا

(١) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧)، وهو ضعيف جدًّا، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٨١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٥٥)، حديث (١٣٣٢)، والطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٩)، حديث (٣٤٢٥) جميعًا من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي موقوفًا، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٥) : «رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف» .

أن الله قدره له لألم أن يذهب بصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة فنظروا إلى تلك النعمة، ثم اتكأوا وقالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ثم ينادي مناد: تحيون فلا تموتون أبدًا وتقيمون فلا تظعنون أبدًا وتصحون فلا تمرضون أبدًا)[1] .

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: (ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة وألبس لباسهم وحلّي حليهم وأري أزواجه وخدمه ويأخذه سوار فرح لو كان ينبغي أن يموت لمات من سوار فرحه فيقال له أرأيت سوار فرحتك هذه، فإنها قائمة لك أبدًا؟)[2] . قال ابن المبارك: وأخبرنا رشدين بن سعد أنبأنا زهرة بن معبد القرشي، عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: (إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ»[3] . قال ابن المبارك: وأنبأنا يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زحر عن محمد بن أبي أيوب المخزومي، عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: (إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه»)[4] .

وقال أبو نعيم: أنبأنا سلمة عن الضحاك قال: (إذا أدخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به في سككها فيقول له: انظر ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة وأكثر أنيس فيقول له الملك: فإن هذا أجمع لك حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون: نحن لك، ثم يقول له امش فيقول: ماذا ترى، فيقول: أرى أكثر مساكن رأيتها من خيام وأكثر أنيس قال: فإن هذا أجمع لك، قال: فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا نحن لك، نحن لك).

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**»[5] .



---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٥٢)، وابن المبارك في الزهد (ص ١٢٩)، حديث (٤٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٧)، حديث (٣٤١١٤).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٢٨-١٢٩)، حديث (٤٢٧).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٢٦)، حديث (٤١٥).

(٥) تقدم تخريجه.

الباب التاسع والثلاثون
في ذكر صفة أهل الجنة في خَلْقهم وخُلُقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له: اذهب فسلِّم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن»** (١). متفق على صحته.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم، قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنة الجنة جُردًا مُردًا بيضًا جُعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع»** (٢). قيل: تفرد به حماد عن علي بن زيد.

وفي جامع الترمذي من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة الجنة جُردًا مُردًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين»** (٣) قال: هذا حديث حسن غريب.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد، قال: حدثنا عمر عن الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ **«يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جردا مردا مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»** (٤).

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٢٢٧)، ومسلم، حديث (٢٨٤١)، وأحمد (٢/ ٣١٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥)، حديث (٧٩٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٥)، حديث (٣٤٠٠٦)، والطبراني في الصغير (٢/ ٧٥)، حديث (٨٠٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٩٦)، حديث (٥٩٤)، وهو حسن، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٢)، حديث (٢٢٠٧٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٤)، حديث (١١٨)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٨٠٧٢)، وصحيح الترغيب (٣٦٩٨).

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٢٧٨)، حديث (١١٦٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٧٩)، حديث (٥٨٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٦).

وقال الترمذي: حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجًا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «**من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبدًا وكذلك أهل النار**»[1] فإن كان هذا محفوظًا لم يناقض ما قبله، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف، فإن لهم طريقتين: تارة يذكرون النيف للتحرير، وتارة يحذفونه، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هشام حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك، على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون**»[2].

وقال ابن وهب: حدثنا معاوية بن صالح عن عبد الوهاب بن بخت، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعا وعلى ذلك قطعت سررهم**».

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة.

وأما الأخلاق: فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم.

وفي الصحيحين: «**أخلاقهم على خَلْق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعًا في السماء**»[3] والرواية: «**على خَلْق**» بفتح الخاء وسكون اللام، والأخلاق كما تكون جمعًا للخلق بالضم فهي جمع للخلق بالفتح، والمراد: تساويهم في الطول والعرض والسن، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ولهذا فسره بقوله: «**على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعًا في السماء**».

وأما أخلاقهم وقلوبهم: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «**أول زمرة تلج الجنة**»[4] الحديث، وقد تقدم وفيه: «**لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل**

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٩٩٩٩)، وابن المبارك في الزهد (ص ١٢٨)، حديث (٤٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٣٢)، حديث (١٤٠٥)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٥٨٥٢)، والمشكاة (٥٦٤٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٤٢٠).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٣٣٢٧)، ومسلم، حديث (٢٨٣٤).

(٤) تقدم تخريجه.

واحد يسبحون الله بكرة وعشية» .

وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن أتراب أي في سن واحد، ليس فيهن العجائز والشواب، وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء، كما سيأتي إن شاء الله تعالى ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة يصير طولاً مع دقة أو غلظًا مع قصر وكلاهما غير مناسب والله أعلم.

الباب الأربعون

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

قال مجاهد وغيره: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] موسى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] هو محمد.

وفي حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: **«رب لم أظن أن ترفع عليَّ أحدًا»** [(١)]، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»** [(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ: **«أن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة، فقال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك،**

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٧٥١٧)، ومسلم، حديث (١٦٢)، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه مسلم، حديث (٣٨٤).

فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» [١] .

وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد أنبأنا شبابة عن إسرائيل عن ثوير، قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية»**، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة :٢٢-٢٣] » [٢] .

قال: وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا.

قال: ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفًا، ورواه عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه.

قلت: ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه»** [٣] الحديث.

ورواه أبو نعيم عن إسرائيل عن ثوير، قال: سمعت ابن عمر يقول: قال إسرائيل: لا أعلم ثويرًا إلا رفعه إلى النبي ﷺ.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشعث الضرير عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع درج، وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له ثلث مائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة ولا أعلمه إلا قال: من ذهب في كل صحفة لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض»** [٤] .

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٨٩)، والترمذي، حديث (٣١٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٥٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٦٤)، حديث (٥٣١٧)، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٧٦)، حديث (٥٧١٢)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٢٦٠)، حديث (٨١٩)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٣٨٢)، وضعيف الترغيب (٢١٨٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٣)، حديث (٤٦٢٣)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٨٤)، حديث (٨٤١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٣)، حديث (٣٨٨٠) من حديث أبي معاوية به، وهو حديث ضعيف، وانظر الحديث السابق.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥٣٧)، حديث (١٠٩٤٥)، وهو حديث منكر، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢١٨).

قلت: سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي وشهر بن حوشب ضعفه مشهور والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة، فإن طول ستين ذراعا لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض والذي في الصحيحين: «**في أول زمرة تلج الجنة لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين**» فكيف لأدناهم اثنتان وسبعون من الحور العين؟ وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا فكيف فيكون يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن؟ وأيضا فإن الجنتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين فكيف يكون أدناهم في الذهبيتين؟

قال الدولابي: شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس، وقال ابن عون: إن شهرًا تركوه، وقال النسائي وابن عدي: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعيد، وهذان من أعلم الناس بالحديث ورواته وعلله، وإن كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه فلا ريب أنه إذا انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل والله أعلم.

الباب الحادي والأربعون

في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «**إن اسمي محمدًا الذي سماني به أهلي**» فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «**أينفعك بشيء إن حدثتك؟**» فقال: أسمع بأذني، فنكث رسول الله ﷺ بعود معه في الأرض فقال: «**سل؟**» فقال اليهودي: أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**في الظلمة دون الجسر**» قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال: «**فقراء المهاجرين**»، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد النون**»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تسمى سلسبيلا**» قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: أينفعك إن حدثتك قال: «**أسمعك بأذني**»، قال: جئت أسألك عن الولد قال: «**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذْكَرَا بإذن الله تعالى، وإن علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله تعالى**» فقال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم**

بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به» (١).

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي؛ فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آنفا»، قال: جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد» قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وانهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال: «أي رجل عبد الله فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال: «أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟» فقالوا: أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله (٢).

وفي الصحيحين من حديث عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة» فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى» قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: «بلى»، قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفا (٣).

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره أن أبا العوام أخبره أنه سمع كعبا يقول: (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة إذا ادخلوها: إن لكل ضيف جزورا وإني أجزركم اليوم فيؤتي بثور وحوت فيجزر لأهل الجنة) (٤).

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٣١٥).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٣٣٢٩).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٢٠)، ومسلم، حديث (٢٧٩٢).
(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٣٠)، حديث (٤٣٢).

الباب الثاني والأربعون
في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبراني: حدثنا موسى بن حازم الأصبهاني حدثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن الحسن بن عمرو عن مجاهد عن جنادة بن أبي أمية عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **«من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام»** [١].

ورواه البخاري في الصحيح عن قيس بن حفص عن عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة، وقال: **«ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»** [٢].

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن بشار حدثنا معدي بن سليمان هو البصري عن ابن عجلان عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ألا من قتل نفسًا معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا»** [٣].

قال: وفي الباب عن أبي بكرة، وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، قال محمد بن عبد الواحد: وإسناده عندي على شرط الصحيح.

قلت: وقد رواه الطبراني من حديث عيسى بن يونس عن عوف الأعرابي عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة يرفعه: **«من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»** [٤].

وقال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أو غيره، عن أبي بكرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»** [٥] وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٩٨)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٢٣٥٦)، وانظر أيضًا الحديث الآتي.

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٣١٦٦)، والنسائي، حديث (٤٧٥٠)، وابن ماجه، حديث (٢٦٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي، حديث (١٤٠٣)، وابن ماجه، حديث (٢٦٨٧)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٠٠٩).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٠٧)، حديث (٦٦٣)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٢٣٥٦).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٦)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٣٣)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٠٠٨)، الصحيحة (٢٣٥٦).

وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس قال: (لم يشهد عمي مع رسول الله ﷺ بدرًا قال: فشق عليه قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه قال: فإن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع قال: فهاب أن يقول غيرها قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واها لريح الجنة أجده دون أحد قال: فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه) [١].

وريح الجنة نوعان: ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحيانا ولا تدركه العباد، وريح: يدرك بحاسة الشم للأبدان كما يشم رائحة الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد، وأما في الدنيا، فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول والله أعلم.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن معمر حدثنا محمد بن أحمد المؤذن حدثنا عبد الواحد بن غياث أنبأنا الربيع بن بدر حدثنا هارون بن رئاب عن مجاهد، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام**» [٢].

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم**» [٣].

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «**من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**» [٤].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٢٨٠٥)، ومسلم، حديث (١٩٠٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٢٥٠)، حديث (٤٠٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٧)، وهو حديث ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الترغيب (١٤١٣، ١٤٨٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٨)، حديث (٥٦٦٤)، وهو ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٨٠)، والضعيفة (٥٣٦٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧١)، حديث (٦٥٩٢)، والخطيب في تاريخه (٢/ ٣٤٧) بلفظ: «وإن ريحها

وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثارا من آثار الجنة وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة والنعيم والسرور وقرة العين.

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل للجنة: طيبي لأهلك فتزداد طيبا، فذلك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذلك**» (١).

كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة قال تعالى في هذه النار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣].

وأخبر النبي ﷺ أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم، فلابد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها والله المستعان.

الباب الثالث والأربعون

في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا**» وذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] (٢).

قال عثمان بن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حمزة الزيات، عن أبي إسحاق عن الأغر، عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال: «**نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبدًا واخلدوا فلا تموتوا أبدًا وانعموا فلا تبأسوا أبدًا**» (٣).

وفي صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن**

ليوجد من قدر سبعين عامًا أو مسيرة سبعين عامًا»، وأخرجه ابن ماجه أيضًا، حديث (٢٦١١) بلفظ: «وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥٩٨٨)، وصحيح الترغيب (١٩٨٨).

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٦٣)، حديث (٧٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤١٢): «وفيه عمرو بن عبد الغفار وهو متروك».

(٢) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٣٧)، والترمذي، حديث (٣٢٤٦).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٥)، حديث (١١١٨٤)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٣٠)، حديث (٢٨٢٤)، ويشهد له حديث مسلم السابق.

لكم عند الله موعدًا فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله فوالله ما أعطاهم الله شيئًا هو أحب إليهم من النظر إليه» (١).

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا أبو بكر الهذلي أخبرني أبو تميم الهجيمي، قال: (سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول: يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون: نعم قد أنجزنا ما وعدنا، قالوا ذلك ثلاث مرات فينظرون فلا يفتقدون شيئًا مما وعدوا فيقولون: نعم فيقول: قد بقي شيء؛ إن الله يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله) (٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عز وجل يقول: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»** (٣).

ومن تراجم البخاري عليه (باب: كلام الرب مع أهل الجنة) وسيأتي في هذا أحاديث ذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله.

وفي الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه»** (٤)، وهذا الأذان، وإن كان بين الجنة والنار، فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملكًا فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة كما يؤذن مؤذن الجمعة إليهم، وذلك في مقدار يوم الجمعة كما سيأتي مبينًا في باب زيارتهم الرب عز وجل والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٨١)، والترمذي، حديث (٢٥٥٢)، وابن ماجه، حديث (١٨٧).
(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٢٧)، حديث (٤١٩)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٥٩)، حديث (٧٨٦).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٤٩)، ومسلم، حديث (٢٨٢٩).
(٤) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٤٤)، ومسلم، حديث (٢٨٥٠).

الباب الرابع والأربعون
في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝﴾ **[الواقعة: ٢٧-٣٣]**، وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ **[الرحمن: ٤٨]**، وهو جمع فنن، وهو الغصن، وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ **[الرحمن: ٦٨]**.

والمخضود الذي قد خضد شوكه أي نزع وقطع فلا شوك فيه، وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبي الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة واحتج هؤلاء بحجتين:

إحداهما: أن الخضد في اللغة القطع وكل رطب قضبته، فقد خضدته وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه، فهو خضيد ومخضود ومنه الخضد على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب والخضاد شجر رخو لا شوك فيه.

الحجة الثانية: قال ابن أبي داود: حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا ثور بن يزيد، حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال له: يا رسول الله، أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها يعني الطلح فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لون آخر»**[1]. الملبود: الذي قد اجتمع شعره بعضه على بعض.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن شاء الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، وأقبل أعرابي يومًا فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال رسول الله ﷺ: **«وما هي»** قال: السدر، فإن له شوكًا مؤذيًا قال: **«أليس الله يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة»**[2].

وقالت طائفة: المخضود هو الموقر حملا وأنكر عليهم هذا القول وقالوا: لا يعرف في

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٣٠)، حديث (٣١٨)، ومسند الشاميين (١/ ٢٨٢)، حديث (٤٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٠٣)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٧٤)، حديث (٢٦٣) عن سليم بن عامر مرسلاً، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥١٨)، حديث (٣٧٧٨) عن سليم بن عامر عن أبي أمامة به، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٤٢).

اللغة الخضد بمعنى الحمل ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل، والحديثان المذكوران يجمعان القولين.

وكذلك قول من قال: المخضود الذي لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه: فسره بلازم المعنى، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة وفردا من أفراده تارة ومثالا من أمثلته فيحكيها الجماعون للغث والسمين أقوالا مختلفة ولا اختلاف بينها.

فصل

وأما الطلح: فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز، قال مجاهد: أعجبهم طلح وجٍّ وحسنه فقيل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]، وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري.

وقالت طائفة أخرى: بل هو شجر عظام طوال، وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم:

بَشَّرَهَا دليلُها وقالا   غدًا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك.

وقال ابن قتيبة: هذا الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز.

وقال مسروق: ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها وأنهارها تجري من غير أخدود.

وقال الليث: الطلح شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكًا وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا.

قال أبو إسحاق: يجوز أن يعني به شجر أم غيلان، لأن له نورًا طيب الرائحة جدًّا فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا، فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادي والله أعلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرءوا أن شئتم**

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [(١)].

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**».

قال أبو حازم: فحدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقي فقال: حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها**» [(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا شعبة، عن أبي الضحاك، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد**» [(٣)].

وقال وكيع: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم عن الزهري، عن أبي هريرة رضي الله عنه: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]) فبلغ ذلك كعبًا، فقال: (صدق، والذي أنزل التوراة على لسان موسى والفرقان على لسان محمد ﷺ لو أن رجلا ركب جذعة أو جذعا، ثم دار بأصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرما وإن الله غرسها بيده ونفخ فيها، وإن أصلها من وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة) [(٤)].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم، عن سعيد الجوهري، حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: (الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها فيخرج إليها أهل الجنة وأهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها، قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا» [(٥)].

وفي جامع الترمذي من حديث أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٤٨٨١)، ومسلم، حديث (٢٨٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٥٣)، ومسلم، حديث (٢٨٢٧، ٢٨٢٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٥٥)، حديث (٩٨٧٠)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٣٦)، حديث (٢٨٣٩)، والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٣).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣١)، حديث (٣٣٩٨٣)، وابن المبارك في الزهد (ص ٧٥-٧٦)، حديث (٢٦٧)، وهناد في الزهد (١/ ٩٧-٩٨)، حديث (١١٤)، والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٢).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٤٥)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٠٢).

في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب» (١) قال: هذا حديث حسن.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]»** (٢) رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي وابن ماجه وصدره في الصحيحين.

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن شئتم فاقرءوا: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣٠-٣١]»** (٣).

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجًا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رجل: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: **«شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»**.

وقد رواه عنه حرملة بزيادة، وقال: أخبرني ابن وهب أخبرني عمر أن دراجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد الخدري أن رجلا قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك فقال: **«طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»** فقال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: **«شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»** (٤).

قلت: وأول هذا الحديث في المسند ولفظه: **«وطوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات»** (٥).

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٢٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥٦٤٧)، صحيح الترغيب (٣٧٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٣٢٩٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٣١٧)، حديث (١١٠٨٥)، وصدر الحديث إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ الآية، أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٤)، ومسلم، حديث (٢٨٢٤).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٥١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٧١)، حديث (١١٦٩١)، وأبو يعلى (٢/ ٥١٩)، حديث (١٣٧٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٣٦)، والصحيحة (١٩٨٥)، و(٣٤٣٢)، صحيح الجامع (٣٩٢٣).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٨)، حديث (٢٢١٩٢)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٥٩)، حديث (٨٠٠٩) من حديث أبي أمامة، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٩٢٤)، والصحيحة (١٢٤١).

وقال ابن المبارك: حدثنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: (نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم» [(١)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «**نعم وفيها شجرة تدعي طوبى**» فذكر شيئا لا أدري ما هو، فقال: أي شجر أرضنا تشبهه؟ قال: «**ليست تشبه شيئا من شجر أرضك**» فقال النبي ﷺ: «**أتيت الشام؟**» قال: لا، قال: «**تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها**» قال: ما عظم أصلها؟ قال: «**لو ارتحلتَ جذعةً من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا**» قال: فيها عنب؟ قال: «**نعم**» قال فما عظم العنقود؟ قال: «**مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتر**» قال: فما عظم الحبة؟ قال: «**هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما؟**» قال: نعم، قال: «**فسلخ إهابه فأعطاه أمك، وقال لها: اتخذي لنا منه دلوا؟**» قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني أنا وأهل بيتي؟ قال: «**نعم وعامة عشيرتك**» [(٢)].

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهي فقال: «**يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة - أو قال: يستظل في الفنن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال**» [(٣)] ورواه الترمذي، وقال: شك يحيى، وهو حديث حسن غريب.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: (إن

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٥٢٣)، حديث (١٤٨٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٦٨)، حديث (٥٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٧)، حديث (٣٧٧٦)، وهناد في الزهد (ص ٩١)، حديث (٩٩)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٣)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٣٢)، حديث (٧٤١٦)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٢٦)، حديث (٣١٢)، والأوسط (١/ ١٢٧)، حديث (٤٠٢)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤١)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٨٧)، حديث (٢٣٤)، وهناد في الزهد (١/ ٩٨)، حديث (١١٥).

أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائمًا لم يؤذه ومن أكل جالسًا لم يؤذه ومن أكل مضطجعًا لم يؤذه ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]) [(١)].

وقال أبو معاوية: حدثنا الأعمش، عن أبي ظبيان، عن جرير بن عبد الله قال: (نزلنا الصفاح، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه قال: فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله قال: فانطلق فأظله، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال: يا جرير تواضع لله، فإن من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة، يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويدًا لا أكاد أراه بين إصبعيه فقال: يا جرير إذا طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده، قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر) [(٢)].

الباب الخامس والأربعون

في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥] وقولهم: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥] أي شبيهه ونظيره لا عينه.

وهل المراد أن هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار أو هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة؟ قيل: فيه قولان: ففي تفسير السدي، عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥] أنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا.

قال مجاهد: (ما أشبهه به) [(٣)].

وقال ابن زيد: (﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥] في الدنيا ﴿وَأُتُوا بِهِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٨)، حديث (٣٣٩٥٤)، وابن المبارك في الزهد (ص ٦٧)، حديث (٢٢٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٧٨)، حديث (٨١٤٧)، وهناد في الزهد (١/ ٩١)، حديث (٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٢)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٣٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧١).

مُتَشَٰبِهًاۖ﴾ [البقرة: ٢٥] يعرفونه) (١).

وقال آخرون: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ﴾ [البقرة: ٢٥] من ثمار الجنة من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضا في اللون والطعم.

واحتج أصحاب هذا القول بحجج:

إحداها: أن المشابهة التي بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهه التي بينها وبين ثمار الدنيا ولشدة المشابهة قالوا: هذا هو.

الحجة الثانية: ما حكاه ابن جرير عنهم قال: ومن علة قائلي هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله، كما كان.

حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن مهدي، حدثنا سفيان، سمعت ابن مرة يحدث، عن أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة، وقال: (كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى) (٢).

الحجة الثالثة: قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ﴾ [البقرة: ٢٥].

الحجة الرابعة: أن من المعلوم أنه ليس كل ما في الجنة من الثمار قد رزقوه في الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها.

ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوه:

قال ابن جرير: والذي يحقق صحة قول القائلين أن معنى ذلك: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ﴾ [البقرة: ٢٥] في الدنيا أن الله جل ثناؤه قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًاۙ﴾ [البقرة: ٢٥] يقولون: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ﴾ [البقرة: ٢٥] ولم يخصص أن ذلك من قيلهم في بعض دون بعض، فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة فلاشك أن ذلك من قيلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة، فإذا كان لاشك أن ذلك من قيلهم في أوله كما هو من قيلهم في وسطه وما يتلوه فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ﴾ [البقرة: ٢٥] هذا من ثمار الجنة وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيره منها: هذا هو الذي رزقنا من قبل إلا أن ينسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب الذي قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم لأول رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب دلالة على أن ذلك في حال من أحوالهم دون حال، فقد تبين أن معنى الآية: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟

(١) انظر السابق.
(٢) انظر السابق.

مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٥]من ثمار الجنة في الجنة ﴿رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٢٥]في الدنيا.

قلت: أصحاب القول الأول يخصعون هذا العام بما عدا الرزق الأول لدلالة العقل والسياق عليه وليس هذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولابد بأنواع من التخصيصات:

أحدها: أن كثيرا من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا لا يقال فيها ذلك.

الثاني: أن كثيرا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة.

الثالث: أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذي رزقناه في الدنيا ويستمرون على هذا الكلام دائما إلى غير نهاية، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعتني به من نعيمهم ولذتهم وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من المخاطب.

ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضا ليس أوله خيرا من آخره ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك، بل أوله مثل آخره وآخره مثل أوله وهو خير كله يشبه بعضه بعضا، فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه والذي يلزمك من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه والله أعلم.

وأما قوله عز وجل: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة:٢٥]فقال الحسن: (خيار كله لا رذل فيه، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه؟ وإن ذلك ليس فيه رذل) [(١)].

وقال قتادة: (خيار لا رذل فيه، فإن ثمر الدنيا ينقي منها ويرذل منها) [(٢)].

وكذلك قال ابن جريج [(٣)]وجماعة وعلى هذا فالمراد بالتشابه المتوافق والمتماثل.

وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ: (متشابها في اللون والمرأى وليس يشبه الطعمُ الطعمَ) [(٤)].

قال مجاهد: (متشابها لونه مختلفا طعمه). وكذلك قال الربيع بن أنس.

وقال يحيى بن أبي كثير: عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها، ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفا فيقول لهم الخدم: كلوا، فإن اللون واحد والطعم مختلف، فهو قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٣).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٣).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٣).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٣).

﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥][(١)].

وقالت طائفة: معنى الآية أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب.

قال ابن وهب قال عبد الرحمن بن زيد: (يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا، التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا في الجنة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] يعرفونه وليس هو مثله في الطعم) [(٢)].

واختار ابن جرير هذا القول قال: ودليلنا على فساد قول من قال: إن معنى الآية ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥] أي في الجنة وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذي من أجله قال القوم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

قلت: هذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۞ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥٠-٥١]، وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢-٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣] أي لا تكون في وقت دون وقت ولا تمنع ممن أرادها وقال: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١-٢٣] والقطوف: جمع قطف، وهو ما يقطف والقطف بالفتح الفعل أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء.

قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة، وهو نائم.

وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] قال ابن عباس: إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريده.

وقال غيره: قربت إليهم مذللة كيف شاءوا فهم يتناولونها قياما وقعودا ومضطجعين فيكون كقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] ومعنى تذليل القطف تسهيل تناوله وأهل المدينة يقولون: ذلل النخل أي سوَّى عزوقه وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها.

وفي نصب «دانية» وجهان:

أحدهما: أنه على الحال عطفًا على قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١/ ٦٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٤).

والثاني: أنه صفة الجنة، وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وفي الجنتين الأخريين ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما كما نص على حدائق النخل والأعناب في سورة النبأ إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها وقد قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

وقال الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا علي بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى**» [١].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني عقبة بن مكرم العمي حدثنا ربعي بن إبراهيم بن علية، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة وعلمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تتغير وتلك لا تتغير**» [٢] وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**عرضت عليَّ الجنة حتى لو تناولت منها قطفا أخذته**» [٣] وفي لفظ: «**فتناولت منها قطفا فقصرت عنه يدي**».

وقال أبو خيثمة: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل، عن جابر قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا، ثم تناول شيئًا ليأخذه، ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم في صلاتك شيئًا ما كنت تصنعه؟ قال: «**إنه عرضت عليَّ الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه**» [٤].

وقال ابن المبارك: أنبأنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: (ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم) [٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٠٢)، حديث (١٤٤٩)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٤٤٦)، الضعيفة (٣١٤٦).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٨/ ٤٥)، حديث (٣٠٢٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٩٧): «رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات».

(٣) أخرجه مسلم، حديث (٩٠٤).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٥٢)، حديث (١٤٨٤٢)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٣١٦) حديث (١٠٣٦).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٥٢٣)، حديث (١٤٨٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٦٨،

وقال سعيد بن منصور: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: (إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين على أي حال شاءوا)[1] .

وقال البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، حدثنا محمد بن المهاجر، عن الضحاك المعافري، عن سليمان بن موسى قال: حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ : **«ألا مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا حظر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام أبدا في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية»** قالوا: نعم يا رسول الله ﷺ نحن المشمرون لها قال: **«قولوا: إن شاء الله»** قال القوم: إن شاء الله[2] قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي ﷺ إلا أسامة ولا نعلم له طريقا عن أسامة إلا هذا الطريق ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافري إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر.

وفي حديث لقيط بن صبرة الذي رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وغيره، **قلت:** يا رسول الله علام يطلع أهل الجنة؟ قال: **«على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير من مثله معه، وأما الريحان: فهو كل نبت طيب الرائحة»**[3] قال الحسن وأبو العالية: هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه.

الباب السادس والأربعون

في زرع الجنة

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[الزخرف: ٧١] .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يحدث يوما وعنده رجل من أهل البادية: **«أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له: أو لست فيما اشتهيت؟ فقال: بلى ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته، وإستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله عز وجل: دونك يا ابن آدم، فإنه لايشبعك شيء؟»**، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا نجد هذا إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك

١٠٦٩)، حديث (٥٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٧)، حديث (٣٧٧٦)، وهناد في الزهد (١/ ٩٥)، حديث (١٠٧)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٣٥).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٦٧)، حديث (٢٣٠)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٣٤).

(٢) تقدم تخريجه. (٣) تقدم تخريجه.

رسول الله ﷺ [١] رواه البخاري في كتاب التوحيد في باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه في غيره أيضا .

وهذا يدل على أن في الجنة زرعًا، وذلك البذر منه، وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع .

فإن قيل : فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه، قيل : لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده وقد كان في غنية عنه وقد كفى مؤنته ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث والله أعلم .

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : (بينما رجل في الجنة فقال في نفسه : لو أن الله يأذن لي لزرعت فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون : سلام عليكم يقول لك ربك : تمنيت في نفسك شيئا، فقد علمته وقد بعث الله معنا البذر فيقول : ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه كل يا ابن آدم، فإن ابن آدم لا يشبع) [٢] والله أعلم .

الباب السابع والأربعون

في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه

وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى : ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة :٢٥] وفي موضع ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة :١٠٠] وفي موضع ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف :٤٣] ، وهذا يدل على أمور :

أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة .

الثاني : أنها جارية لا واقفة .

الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا .

وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاءوا، وكأن الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أخدود فهي جارية على وجه الأرض حملوا قوله ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف :٤٣] على أنها تجري بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم، فإن أنهار الجنة، وإن جرت في غير أخدود فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار، وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها .

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٢٣٤٨) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٤) .

وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾[الأنعام:٦] ، فهذا على ما هو المعهود المتعارف، وكذلك ما حكاه من قول فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾[الزخرف:٥١] ، وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ .

قال ابن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد قال: (نضاختان بالماء والفواكه)[١] .

وحدثنا ابن يمان، عن أبي إسحاق عن أبان، عن أنس قال: (نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا)[٢] .

وحدثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: (اللتان تجريان أفضل من النضاختين» .

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾**[محمد:١٥]** فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا؛ فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كريهة المذاق وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله، وعن الصلاة وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزى والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياما له ولم يلزمه مؤنته

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤١)، حديث (٣٤٠٥٥)، والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٥٦).

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٧)، حديث (٥٦٦٧)، وهو ضعيف جدًّا، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٠١).

وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى وأذلت من عزيز ووضعت من شريف وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة وفسخت من مودة ونسجت من عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت في وجه شاربها بابا من الخير وفتحت له بابا من الشر وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية وكم أورثت من خزية وجرت على شاربها من محنة وجرت عليه من سفلة فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم.

ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**» [1] لكفى.

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥]؟ قيل: الماء الجاري، وإن كان لا يأسن، فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم.

فصل

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها:

كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**» [2]. وروى الترمذي نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ولفظ حديث عبادة: «**الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها، فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى**» [3]. وفي المعجم للطبراني من حديث الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الفردوس ربوة الجنة**

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٠٠٣)، وأبو داود، حديث (٣٦٧٩)، والترمذي، حديث (١٨٦١).
(٢) تقدم تخريجه. (٣) تقدم تخريجه.

وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة» [(١)].

وفي صحيح البخاري من حديث شعبة عن قتادة، قال: أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات**» [(٢)].

وفي صحيحه أيضا من حديث همام، عن قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، قال: فضرب الملك بيده، فإذا طينه مسك أذفر**» [(٣)].

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل**» [(٤)]. وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة، فإذا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه من الماء، فإذا أنا بمسك أذفر، فقلت: لمن هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل**» [(٥)].

قال الترمذي: حدثنا هناد، حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج**» [(٦)] قال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال أبو نعيم الفضل: حدثنا أبو جعفر هو الرازي، حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] قال: (الخير الكثير). وقال أنس بن مالك: نهر في الجنة. وقالت عائشة: هو نهر في الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢١٣)، حديث (٦٨٨٦)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٣٨).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٠٧).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٨١).
(٤) أخرجه مسلم، حديث (٤٠٠).
(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٠٣)، حديث (١٢٠٢٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٦)، حديث (٣٤١٠٥)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٣٨٣)، حديث (٣٧٢٦)، وابن المبارك في الزهد (ص ٥٦١)، حديث (١٦١٢)، وهناد في الزهد (١/ ١٠٩)، حديث (١٣٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٢)، حديث (٢٦٦)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٣٦٥)، وهو في البخاري (٦٥٨١) بنحوه من حديث قتادة عن أنس.
(٦) أخرجه الترمذي، حديث (٣٣٦١)، وابن ماجه، حديث (٤٣٣٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٤٦١٥)، صحيح الترغيب (٣٧١٩).

النهر [١]. وهذا معناه والله أعلم: أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه.

وفي جامع الترمذي من حديث الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد»** [٢] قال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا، ومن سره أن يكسيه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا»** [٣]. وذكر الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله: قال: (إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك)، وهذا موقوف صحيح [٤].

وذكر ابن مردويه في مسنده: حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحارث بن عبيد، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة، ثم تصدع بعد أنهارا»** [٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٧١)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٣٥)، حديث (٢٨٣٦)، وأحمد في مسنده (٥/ ٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢١٢٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٦٣)، حديث (٨٨٧٩)، إلى قوله: «... يكسيه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا»، وهو حسن، وانظر صحيح الترغيب (٢٠٦٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٢٣)، حديث (٧٤٠٨) من قوله: «وأنهار الجنة...» إلى «جبال المسك»، وهو حسن صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٢١)، وأما الجزء الأخير من الحديث وهو من قوله: «ولو كان أدنى أهل الجنة...» إلخ، فأخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٦٢)، حديث (٨٨٧٨)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠١): «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات».

(٤) أخرجه معمر بن راشد في جامعه (١١/ ٤١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٨)، حديث (٣٣٩٥٨)، وهناد في الزهد (١/ ٩٠)، حديث (٩٤).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٤٢٩)، حديث (٢٨٢٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤١٦)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ١٩٢)، حديث (٥٤٥)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٣٧)، حديث (٤١٢)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤١٥)، حديث (٦٩٧)، وابن منده في الإيمان (٢/ ٧٧٢)، حديث (٧٨١)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٢٦٣٥)، الضعيفة (٣٤٦٤).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن عبيد، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الجريري، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك قال: (أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت وطينها المسك الأذفر قلت: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له) [(١)] .

ورواه ابن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى، حدثنا مهدي بن حكيم، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا الجريري، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، هكذا رواه مرفوعا.

وقال أبو خيثمة: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] فقال رسول الله ﷺ: **«أعطيت الكوثر، فإذا هو يجري ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي إلى تربته، فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ»** [(٢)] .

وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيد، عن مسروق في قوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة:٣١] قال: أنهار تجري في غير أخدود، قال: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨] قال: من أصلها إلى فروعها أو كلمة نحوها [(٣)] .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة»** [(٤)] .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا سعيد بن سابق، حدثنا مسلمة بن علي، عن مقاتل بن حبان، عن عكرمة، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **«أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، فذلك قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]** ، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فيرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٧)، حديث (١٣٦٠٣)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٢٣٦)، حديث (٣٥٢٩)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٢٥١٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٠)، وابن المبارك في الزهد (ص ٥٢٤)، حديث (١٤٩٠).

(٤) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٣٩).

الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[المؤمنون :١٨]، فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض، فقد حرم أهلها خيري الدنيا والآخرة»[1] .

ورواه أحمد بن عدي في ترجمة مسلمة هذا مع أحاديث غيره، وقال: عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء، قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال أبو حاتم: لا تشتغل به.

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عقيل بن خالد، عن الزهري، أن ابن عباس قال: (إن في الجنة نهرا يقال له: البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه).

فصل

وأما العيون: فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[الحجر :٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[الإنسان :٥-٦] قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم.

وقد اختلف في قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فقال الكوفيون: الباء بمعنى من، أي يشرب منها.

وقال آخرون: بل الفعل مضمن معنى ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي: يروى بها فلما ضمنه معناه عداه تعديته، وهذا أصح وألطف وأبلغ.

وقالت طائفة: الباء للظرفية، والعين اسم للمكان كما تقول: كنا بمكان كذا وكذا.

ونظير هذا التضمين قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾[الحج :٢٥] ضمن معنى يهم فعدي تعديته.

وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[الإنسان :١٧-١٨] فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفا أن شراب الأبرار يمزج منها، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝﴾[المطففين :٢٢-٢٨] فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين:

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٣١٥)، والخطيب في تاريخه (١/ ٥٧)، وهو موضوع، وانظر الضعيفة (٢٦٨٦)، وإزالة الدهش بتحقيق الألباني (ص ٨٢).

بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على إثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها! فإن شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب:

أحدهما: مزج بكافور.

والثاني: مزج بزنجبيل.

فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها، وهو ما أوجبه الله عليهم ولهذا قال: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[الإنسان :١٢] .

فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة وجمع لهم بين النضرة والسرور، وهذا جمال ظواهرهم، وهذا حال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان ونظيره قوله في آخر السورة: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾[الإنسان :٢١] فهذه زينة الظاهر، ثم قال: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[الإنسان :٢١] فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص.

ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[طه :١١٨-١١٩] فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعرى، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضحى.

ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباسا يواري سوآتهم ويزين ظواهرهم ولباسا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم، وهو لباس التقوى وأخبر أنه خير اللباسين.

وقريب من هذا إخباره أنه زين ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[الصافات :٦-٧] فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر، ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن، وهو التقوى، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف: ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[يوسف :٣٢] فأرتهن حسنه وجماله، ثم قالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾[يوسف :٣٢] فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة، وهذا كثير في القرآن لمتأمله.

الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: ٤١-٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢-٧٣]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٥-٢٦].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس»** (١).

ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه: قالوا: فما بال الطعام؟ قال: **«جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد»** (٢).

وفي المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: **«نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة»** قال، فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى، قال: **«تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه»** (٣).

ورواه الحاكم في صحيحه ولفظه: أتى النبي ﷺ رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٣٥). (٢) أخرجه مسلم، في حديث (٢٨٣٥).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٤)، حديث (١١٤٧٨)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٣١)، حديث (٢٨٢٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٣)، حديث (٣٣٩٩٤)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ١١٣)، حديث (٢٦٣)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٤٣)، حديث (٧٤٢٤)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٧٧)، حديث (٥٠٠٥)، والأوسط (٢/ ٢٠٢)، حديث (١٧٢٢)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٦٢٧)، صحيح الترغيب (٣٧٣٩).

ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ ويقول لأصحابه: إن أقر لي بهذا خصمته فقال رسول الله ﷺ: «**بلى والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع**» فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضمر**» (١).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا**» (٢). وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام في أول طعام يأكله أهل الجنة وشرابهم على إثره.

وحديث أبي سعيد الخدري: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة**» (٣).

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم، حدثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا إدريس بن يحيى، حدثني الفضل بن المختار، عن عبيد الله بن موهب، عن عصمة بن مالك الخطمي، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة طيرا أمثال البخاتي**» فقال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: «**أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر**» (٤).

قال الحاكم: وأنبأنا الأصم، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء، أنبأنا سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١] قال: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله، إني لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون قال: «**من يأكلها أنعم منها وإنها أمثال البخاتي وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر**».

وبهذا الإسناد عن قتادة، عن أبي أيوب رجل من أهل البصرة، عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١] قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس في الأخرى.

وقال الدراوردي: حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه عبد الله بن مسلم، أنه سمع

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٧)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٤٣)، حديث (٧٤٢٤)، وهناد في الزهد (١/ ٧٣)، حديث (٦٣)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٣٩).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٣٦)، حديث (١١٧١)، والشاشي في مسنده (٢/ ٢٨٢)، حديث (٨٥٨)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٧٣)، وهو ضعيف جدًّا، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٠٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ١٥).

أنس بن مالك يقول في الكوثر: قال رسول الله ﷺ: **«هو نهر أعطانيه ربي أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر»** فقال عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، فقال رسول الله ﷺ: **«آكلها أنعم منها»**[١]، تابعه إبراهيم بن سعيد، عن ابن أخي ابن شهاب، وقال: فقال أبو بكر بدل عمر.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨] يقول: الخمر ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧]، يقول: ليس فيها صداع، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧] يقول: لا تذهب عقولهم وقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤] يقول: ممتلئة وقوله: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥] يقول: الخمر ختم بالمسك[٢]. وقال علقمة: عن ابن مسعود ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦] قال: خلطه وليس بخاتم يختم[٣].

قلت: يريد والله أعلم أنَّ آخره مسك يخالطه، فهو من الخاتمة ليس من الخاتم.

وقال زيد بن معاوية: سألت علقمة عن قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦] فقرأتها «خاتمه مسك» فقال لي: ليست خاتمه، ولكن اقرأه: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦] قال علقمة: ختامه خلطه، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب إن خلطه من مسك لكذا وكذا[٤].

وذكر سعيد بن منصور: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق: الرحيق الخمر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك.

وبهذا الإسناد عن مسروق عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] قال: تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا[٥].

وكذلك قال ابن عباس: يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لمن دونهم[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٢٣)، حديث (١١٧٠٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٢٠)، حديث (١٣٣٣٠)، والضياء في المختارة (٦/ ٢٤٣)، حديث (٢٢٥٩)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٢٤)، الصحيحة (٢٥١٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ١٠٦).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٧٨)، حديث (٢٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦٢)، حديث (٣٩٠٩).

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٧٦)، حديث (٦٧).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٥٣٤)، حديث (١٥٢٢)، والطبري في تفسيره (٣٠/ ١٠٨)، وهناد في الزهد (١/ ٧٥)، حديث (٦٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٤)، حديث (٣٤٠٩١).

(٦) أخرجه الضياء في المختارة (١٠/ ٣٠٠)، حديث (٣٢٠)، والطبري في تفسيره (٣٠/ ١٠٩).

وقال مجاهد: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[المطففين :٢٦] يقول: طينه مسك[١] . وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير، ولفظ الآية أوضح منه وكأنه والله أعلم يريد ما يبقى في أسفل الإناء من الدردى. وذكر الحاكم من حديث آدم، حدثنا شيبان، عن جابر، عن ابن سابط، عن أبي الدرداء في قوله: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[المطففين :٢٦] قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه، ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها[٢] .

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة، عن عطاء قال: التسنيم اسم العين التي يمزج بها الخمر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[النبأ :٣٤] قال: هي المتتابعة الممتلئة قال: وربما سمعت العباس يقول: اسقنا وادهق لنا[٣] .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[الإنسان :٥-٦] وعلى قوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[الإنسان :١٧-١٨] .

فقالت فرقة: «سل» جملة مركبة من فعل وفاعل، و«سبيلا» منصوب على المفعول أي سل سبيلا إليها.

وليس هذا بشيء، وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ولقد شفى قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة.

فقال قتادة: سلسة فهم يصرفونها حيث شاءوا، وهذا من الاشتقاق الأكبر.

وقال مجاهد: سلسة السيل حديدة الجرية[٤] .

وقال أبو العالية والمقاتلان[٥] : تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، وهذا من سلاستها وحدة جريتها.

وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق.

وقال أبو إسحاق: سلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة فسميت العين بذلك.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/١٠٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٧٨)، حديث (٢٧٦).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٥٥٦)، حديث (٣٨٩١)، والمحاملي في الأمالي (ص ٧٢)، حديث (٢١).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩/٢١٩)، وهناد في الزهد (١/ ٩٠)، حديث (٩٦).

(٥) يعني: مقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان.

وقال ابن الأنباري: الصواب في سلسبيل أنه صفة للماء وليس باسم للعين، واحتج على ذلك بحجتين:

إحداهما: أن سلسبيلا مصروف ولو كان اسما للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية.

الثانية: أن ابن عباس قال: معناه أنها تنسل في حلوقهم انسلالا.

قلت: ولا حجة له في واحدة منهما، أما الصرف: فلاقتضاء رءوس الآي له كنظائره، وأما قول ابن عباس: فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة.

فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

فإن قيل: فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار؟

فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ (كن).

وأجاب آخرون: بأنه يشوى خارج الجنة، ثم يؤتى به إليهم.

والصواب: أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم، لإنضاجه وإصلاحه كما قدر هناك أسبابا، لإنضاج الثمر والطعام على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئا. وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الألوة**»[1]، والمجامر: جمع مجمر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه، والألوة العود الطرى فأخبر أنهم يتجمرون به أي يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته.

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالا، والظلال لابد أن تفيء مما يقابلها فقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[يس:٥٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[المرسلات:٤١]، وقال: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[النساء:٥٧] فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعي أسبابًا تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابا تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه وذاك سبب إنضاجه، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها، فرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه في الدنيا والآخرة والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ولكنها تختلف.

---

(١) تقدم في باب ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة، وهو صحيح.

ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته وليس هذا بأهون عليه من ذلك.

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجنة ومائها وهوائها، ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قيء ذباب أعجب من إجرائها أنهارا في الجنة بأسباب أخر.

ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لعاب دودة القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود.

وبالجملة فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار تجد هذه أدل شيء على تلك شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد فبعدًا لقوم لا يؤمنون.

الباب التاسع والأربعون

في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١] فالصحاف: جمع صحفة قال الكلبي: بقصاع من ذهب، وقال الليث: الصحفة قصعة مسلطحة عريضة فالجمع صحاف قال الأعشى:

والمكاكيك والصحاف من الفضة ... والضامرات تحت الرجال

وأما الأكواب: فجمع كوب، قال الفراء: الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له وأنشد لعدي:

متكئا تصفق أبوابه ... يسعى عليه العبد بالكوب

وقال أبو عبيد: الأكواب الأباريق التي لا خراطيم لها.

قال أبو إسحاق: واحدها كوب، وهو إناء مستدير لا عروة له.

وقال ابن عباس: هي الأباريق التي ليست لها آذان.

وقال مقاتل: هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى.

وقال البخاري في صحيحه: الأكواب الأباريق التي لا خراطيم لها، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة :١٧-١٨] الأباريق: هي الأكواب التي لها خراطيم، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب، وإبريق إفعيل من البريق، وهو الصفاء، فهو الذي يبرق لونه من صفائه، ثم سمى كل ما كان على شكله إبريقا، وإن لم يكن صافيا، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما في باطنها، والعرب تسمي السيف إبريقا لبريق لونه ومنه قول ابن أحمر:

تعلقت إبريقا وعلقت جفنه   ليهلك حيا ذا زهاء وخامل

وفي نوادر اللحياني: امرأة إبريق إذا كانت براقة، وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان :١٥-١٦]، فالقوارير: هي الزجاج فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافيته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال: ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾. قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير.

قال ابن قتيبة: كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد.

كما قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، والأكواب في الدنيا قد تكون من فضة وتكون من قوارير فأعلمنا الله أن هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير.

قال: وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة، وهذا كقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن :٥٨] أي لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت، وهذا مردود عليه، فإن الآية صريحة أنها من فضة «ومن» ههنا لبيان الجنس، كما تقول: خاتم من فضة ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة بل جنسه ومادته الفضة بل ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير، وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه.

وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان :١٦] التقدير: جعل الشيء بقدر مخصوص فقدرت الصناع

هذه الآنية على قدر ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ من لذة الشارب فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمه من الباقي، هذا قول جماعة من المفسرين.

قال الفراء: قدروا الكأس على قدر ري أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ريه، وهو ألذ الشراب.

وقال الزجاج: جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه.

وقال أبو عبيد: يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها، ثم يسقون يعني أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الري فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم.

وقالت طائفة: الضمير يعود على الشاربين أي قدروا في أنفسهم شيئًا فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه.

وقول الجمهور أحسن وأبلغ، وهو مستلزم لهذا القول والله أعلم.

وأما الكأس فقال أبو عبيدة: هو الإناء بما فيه.

وقال أبو إسحاق: الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه.

والمفسرون فسروا الكأس بالخمر، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل، حتى قال الضحاك: كل كأس في القرآن، فإنما عني به الخمر.

وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود، فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه وأيضا، فإن من الأسماء ما يكون اسما للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس، فإن النهر اسم للماء ولمحله معا ولكل منهما على انفراده وكذلك الكأس والقرية ولهذا يجيء لفظ القرية مرادا به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معا.

وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**» [1].

وفيهما أيضا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون**

---

(١) تقدم تخريجه.

ذراعا في السماء» (١) .

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» (٢) .

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا شيبان ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا ثابت قال : قال أنس : كان رسول الله ﷺ يعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه ، فإذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت ، فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثني عشر رجلا ، كان رسول الله ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم ، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدج فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من ذلك البسر ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم فجاء البشير من تلك السرية فقال : أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلا فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال : «قصي رؤياك» فقصتها وجعلت تقول : جيء بفلان وفلان كما قال (٣) . رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم .



(١) تقدم تخريجه . (٢) تقدم تخريجه .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٣٥) ، حديث (١٢٤٠٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٤٤) ، حديث (٣٢٨٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤١٨) ، حديث (٦٠٥٤) ، والضياء في المختارة (٥/ ٩٤) ، حديث (١٧١٥) ، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٣٨٠) ، حديث (١٢٧٥) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٧٦) : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» .

الباب الخمسون

في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝﴾ [الدخان: ٥١-٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

قال جماعة من المفسرين: السندس ما رق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه.

وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيق.

وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان: الأخضر وألين اللباس: الحرير فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به، وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وههنا مسألة: وهذا موضع ذكرها وهي أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[(١)] متفق على صحته من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وقد اختلف في المراد بهذا الحديث.

فقالت طائفة من السلف والخلف: إنه لا يلبس الحرير في الجنة ويلبس غيره من الملابس قالوا: وأما قوله تعالى ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، فمن العام المخصوص.

وقال الجمهور: وهذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف عنه لمانع.

وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضا الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]،

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٥٨٣٢)، ومسلم، حديث (٢٠٧٣) من حديث أنس بن مالك.
(٢) تقدم تخريجه.

وقال: ﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١] وتأمل ما دلت عليه لفظة: ﴿عَلِيَهُمْ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهرا بارزا يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

وقد اختلف القراء السبعة في نصب ﴿عَلِيَهُمْ﴾ ورفعه على قراءتين.

واختلف النحاة في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين.

واختلف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق أو للسادات الذين يطوف عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم وعلى السادات هذه الثياب وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع فالصواب أنه منصوب على الظرف، فإن عاليا لما كان بمعنى فوق أجري مجراه.

قال أبو علي: وهذا الوجه أبين، وهو أن عاليا صفة فجعل ظرفا كما كان قوله: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢] كذلك وكما قالوا: هو ناحية من الدار.

وأما من رفع ﴿عَلِيَهُمْ﴾ فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ولا يمنع من هذا إفراد عال وجمع الثياب، لأن فاعلا قد يراد به الكثرة كما قال:

ألا إن جيراني العشية رائح   دعتهم دواع من هوى ومناوح

وقال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المومنون: ٦٧] ومن رفع خضرا أجراه صفة للثياب، وهو الأقيس من وجوه:

أحدها: المطابقة بينهما في الجمع.

الثاني: موافقته لقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: ٣١].

الثالث: تخلصه من وصف المفرد بالجمع، ومن جر أجراه صفة للسندس على إرادة الجنس كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض.

وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضا، وهو: أن العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] وكقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفراد صفة الواحد، وإن كان في معنى الجمع أولى.

وفي إستبرق قراءتان: الرفع عطفا على ثياب والجر عطفا على سندس وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريبا فجعل البواطن بالشراب الطهور والسواعد بالأساور والأبدان بثياب الحرير، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ

﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[الحج :٢٣] .

واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه، فمن نصبه ففيه وجهان: أحدهما: أنه عطف على موضع قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ . والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول أي ويحلون لؤلؤا، ومن جره، فهو عطف على الذهب، ثم يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معا الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن رزق، حدثنا زيد بن الحباب، قال: حدثني عتبة بن سعد قاضي الري، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن شمر بن عطية، عن كعب قال: (إن لله عز وجل ملكا منذ يوم خلق الجنة يصوغ حلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة لو أن قلبا من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة)[١] .

حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري، حدثنا أبي، عن أشعث، عن الحسن قال: (الحلي في الجنة على الرجال أحسن منا على النساء).

حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده، عن النبيﷺ قال: **«لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»**[٢] .

وقال ابن وهب: حدثني ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن الحسن، عن أبي هريرة قال: إن أبا أمامة حدث أن رسول اللهﷺ حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال: **«مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحلون»**[٣] .

وقد أخرجا في الصحيحين والسياق لمسلم، عن أبي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة، وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه فقلت: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٦)، حديث (٣٤٠٠٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٧٥١)، حديث (٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٣٨)، وأحمد في مسنده (١/ ١٦٩)، حديث (١٤٤٩)، والبزار في مسنده (٣/ ٣١٥)، حديث (١١٠٩)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٦٣)، حديث (٨٨٨٠)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥٢٥١)، صحيح الترغيب (٣٧٦٥)، الصحيحة (٣٣٩٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٨).

بني فروخ أنتم ههنا لو علمت أنكم ههنا؟ ما توضأت هذا الوضوء سمعت خليلي ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»(١). وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته والصحيح أنه لا يستحب، وهو قول أهل المدينة، وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة، فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف، وأما قوله: «**فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**»(٢) فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النبي ﷺ بين ذلك غير واحد من الحفاظ.

وفي مسند الإمام أحمد في هذا الحديث قال نعيم: فلا أدري قوله: «**من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**» من كلام النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة من عنده، وكان شيخنا يقول: هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله ﷺ، فإن الغرة لا تكون في اليد لا تكون إلا في الوجه وإطالته غير ممكنة إذا دخلت في الرأس فلا تسمى تلك غرة.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»(٣).

وقوله: «**لا تبلى ثيابه**» الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل أن يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد، كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا محمد بن أبي الوضاح، حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع، حدثنا حنان بن خارجة، عن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابي جرمي فقال: يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة، إليك أينما كنت أم لقوم خاصة؟ أم إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات، ثم جلس فسكت رسول الله ﷺ يسيرا، ثم قال: «**أين السائل؟**» فقال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: «**الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر، وإن مت بالحضر**» فقام آخر فقال يا رسول الله: أخبرني عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**تضحكون من جاهل يسأل عالما؟**» فسكت

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٥٠)، والنسائي، حديث (١٤٩).

(٢) هذه الزيادة مدرجة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه على الراجح، كما عند البخاري، حديث (١٣٦)، ومسلم، حديث (٢٤٦).

(٣) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٣٦) مختصرًا إلى قوله: «ولا يفنى شبابه»، وأخرجه تامًا أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٩)، حديث (٨٨١٣)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٢٨)، حديث (٢٨١٩)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣١٣)، حديث (٦٤٢٨).

النبي ﷺ ساعة، ثم قال: «**أين السائل عن ثياب أهل الجنة**» فقال: ها هو ذا يا رسول الله قال: «**لا بل يشقق عنها ثمر الجنة**» ثلاث مرات [(١)].

وقال الطبراني في معجمه: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني والحسن بن علي الفسوي، قالا: حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهما من وراء لحومهما وحللهما كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء**» [(٢)]. وهذا الإسناد على شرط الصحيح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا الخزرج بن عثمان السعدي، حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها**» قال: قلت: يا أبا هريرة وما النصيف قال: «**الخمار**» [(٣)].

وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت؟ فتقول: أنا المزيد وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب**» [(٤)]. وروى

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٤)، حديث (٧٠٩٥)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٤١)، والبزار في مسنده (٦/ ٤٠٨)، حديث (٢٤٣٤)، والطيالسي في مسنده (ص ٣٠٠)، حديث (٢٢٧٧)، وهو ضعيف، وانظر الضعيفة (٢٣٨٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٦٠)، حديث (١٠٣٢١)، والأوسط (١/ ٢٨٠)، حديث (٩١٥)، والبزار في مسنده (٥/ ٢٤٣)، حديث (١٨٥٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٤٥)، الصحيحة (١٧٣٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٨٣)، حديث (١٠٢٧٥)، وهو حسن صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٦٧)، وأصله عند البخاري (٢٧٩٣)، ومسلم (١٨٨٢).

(٤) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٦٢، ٩٩٩٩)، وأحمد في مسنده (٣/ ٧٥)، حديث (١١٧٣٣)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٥)، حديث (١٣٨٦)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٠٩)، حديث (٧٣٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٢)، حديث (٣٥٩٤)، وهو ضعيف، وانظر المشكاة (٥٦٥٢)، وضعيف الترغيب (٢٢١٣).

الترمذي (ذكر التيجان، وإن أدنى لؤلؤة) عن سويد بن نصر، عن رشدين بن سعد، عن عمرو به.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إدريس الحنظلي، حدثنا أبو عتبة، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود، قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله ﷺ قال: **«ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن»** [١].

قال ابن أبي الدنيا: وحدثنا سويد، عن سعيد، حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي، عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال: (قلت لابن عباس: ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان، فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها، فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت) [٢].

قال: وحدثنا عبد الله بن أبي خيثمة، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثني دراج أبو السمح، أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال له: يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك فقال: **«طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»** فقال له رجل: وما طوبى؟ قال: **«شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»** [٣].

قال: وحدثني يعقوب بن عبيد، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا حماد بن سلمة، عن أبي المهزم قال: قال أبو هريرة: (دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بإصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام سبعين حلة متمنطقة باللؤلؤ والمرجان» [٤].

قال: وحدثنا حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد قال: قال كعب: (لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم) [٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٤٩)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢١٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٤٧، ١٦٩)، وهو ضعيف موقوف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٠٠).

(٣) تقدم تخريجه في باب أشجار الجنة وبساتينها.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٠)، حديث (٣٤٠٤٠)، وابن المبارك في الزهد (ص ٧٤)، حديث (٢٦٢)، وهناد في الزهد (١/ ١٠٤)، حديث (١٢٥)، وهو ضعيف جداً، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢١٤).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٧٥)، حديث (٢٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٦٨)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢١٥).

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن بشير بن كعب أو غيره قال: ذكر لنا (أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شقيقكم هذا ويرى مخ ساقها من وراء اللحم) [١] .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: أهدى أكيدر دومة إلى النبي ﷺ جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها فقال: «**المناديل سعد في الجنة أحسن من هذا**» [٢] .

وفي الصحيحين أيضا من حديث البراء قال: أهدي لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله ﷺ: «**تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**» [٣] .

ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه في الله لومة لائم وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله ﷺ على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سموات ونعاه جبريل إلى النبي ﷺ يوم موته فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك .

فصل ومن ملابسهم التيجان على رءوسهم

ذكر البيهقي من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب، أنبأنا هشام بن سليمان، عن عكرمة، عن إسماعيل بن رافع، عن سعد المقبري وزيد بن أسلم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه خلطه الله بلحمه ودمه وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجا فقال: يا رب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلانا كان يقوم في آناء الليل وأطراف النهار فيحل حلالي ويحرم حرامي يقول: يا رب فأعطه فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة، ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب أرغب له في أفضل من هذا فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله، ثم يقول له: هل رضيت؟ فيقول: نعم يا رب**» [٤] .

وذكر الإمام أحمد في المسند من حديث أبن بريدة، عن أبيه يرفعه: «تعلموا سورة

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٧٢)، حديث (٢٥٤) .
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٨)، ومسلم، حديث (٢٤٦٩) .
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٩) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه، حديث (٢٤٦٨) .
(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٤٥)، حديث (١٩٩١) .

البقرة، فإن أخذاها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» ، ثم سكت ساعة، ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران، فإنهما الزهراوان وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول له القرآن: أنا الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلا» [١] .

(البطلة) السحرة و(الغياية) ما أظل الإنسان فوقه.

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ تلا قوله عز وجل: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾[فاطر: ٣٣] فقال: «إن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» [٢] .

فصل

وأما الفرش، فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾[الرحمن: ٥٤] ، وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾[الواقعة: ٣٤] فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق، وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة.

قال سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم عن عبد الله في قوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾[الرحمن: ٥٤] قال: هذه البطائن قد خبرتم بها فكيف بالظهائر [٣] .

الثاني: يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٨)، حديث (٢٣٠٠٠)، والدارمي في سننه (٢/ ٥٤٣)، حديث (٣٣٩١)، وحسن إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٤)، وقال الألباني: حسن صحيح، وانظر صحيح الترغيب (١٤٦٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٤٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٦)، حديث (٣٧٧٣)، وهو حسن موقوف، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٤٦).

وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمراد ارتفاع محلها، كما رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام» [١]. قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد.

قيل: ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها.

قلت: رشدين بن سعد عنده مناكير. قال الدارقطني: ليس بالقوي، وقال أحمد: لا يبالى عمن روى وليس به بأس في الرقاق، وقال: أرجو أنه صالح الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال الجوزجاني: عنده مناكير، ولا ريب أنه كان سيئ الحفظ فلا يعتمد على ما ينفرد به.

وقد قال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: «ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض»، وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ فالله أعلم.

وقال الطبراني: حدثنا المقدام بن داود، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن مطرف، عن عبد الله بن الشخير، عن كعب في قوله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: مسيرة أربعين سنة.

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن نائلة، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، حدثنا إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: «لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف» [٢] وفي رفع هذا الحديث نظر.

فقد قال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا معاذ بن هشام قال: وجدت في كتاب أبي عن القاسم، عن أبي أمامة في قوله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفا.

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٧٥)، حديث (١١٧٣٧)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٨)، حديث (١٣٩٥)، والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٧٨-٦٧٩)، حديث (١٠)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٨)، حديث (٧٤٠٥)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٦١٠٩)، ضعيف الترغيب (٢٢١٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٢)، حديث (٧٩٤٧)، وهو ضعيف جدًّا، وانظر ضعيف الجامع (٤٨٢٦)، وضعيف الترغيب (٢٢١٧).

فصل

وأما البسط والزرابي، فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ [الرحمن :٧٦]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ [الغاشية :١٣-١٦].

وذكر هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: (الرفرف) رياض الجنة، و(العبقري) عتاق الزرابي [1].

وذكر إسماعيل بن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ [الرحمن :٧٦] قال: (هي البسط) [2] قال: وأهل المدينة يقولون: هي البسط.

وأما النمارق: فقال الواحدي: هي الوسائد في قول الجميع واحدها: نمرقة بضم النون، وحكى الفراء نمرقة بكسرها وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بساط اللهو مد وقربت ... للذاته أنماطه ونمارقه

قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلي بعض.

وقال مقاتل: هي الوسائد مصفوفة على الطنافس.

وزرابي: بمعنى البسط والطنافس واحدها زربية في قول جميع أهل اللغة والتعبير.

ومبثوثة مبسوطة منشورة.

فصل

وأما الرفرف: فقال الليث: هو ضرب من الثياب خضر تبسط، الواحد رفرفة.

وقال أبو عبيدة: الرفارف: البسط وأنشد لابن مقبل:

وإنا لنازِّلون تغشى نعالنا ... سواقط من أصناف رَيْطٍ ورفرف

وقال أبو إسحاق: قالوا: الرفرف ههنا رياض الجنة، وقالوا: الرفرف الوسائد، وقالوا: الرفرف المحابس، وقالوا: فضول المحابس للفرش.

وقال المبرد: هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٦٨٢) معلقًا بصيغة الجزم، ووصله الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٢)، حديث (٣٤٠٦٩)، وابن المبارك في الزهد (ص ٧٦)، حديث (٢٧٠)، وهناد في الزهد (١/ ٨١)، حديث (٨١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٣)، حديث (٣٤٠٧٣)، والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦٣).

وقال الواحدي: وكأن الأقرب هذا، لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء رفرفا. ومنه الحديث في وفاة النبي ﷺ: «**فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة**»[(١)].

قال ابن الأعرابي: الرفرف ههنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمي رفرفا.

قلت: أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب، فمنه الرفرف في الحائط، ومنه الرفرف، وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه.

والرفرف: ثياب خضر يتخذ منها المحابس والواحدة رفرفة وكل ما فضل من شيء فثنى وعطف، فهو رفرف: وفي حديث ابن مسعود في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] قال: «**رأى رفرفا أخضر سد الأفق**»[(٢)]، وهو في الصحيحين.

فصل

وأما العبقري: فقال أبو عبيدة: كل شيء من البسط عبقري، قال: ويرون أنها أرض توشى فيها. وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال: كأنهم جن عبقر.

قال أبو عبيدة في حديث النبي ﷺ ذكر عمر: «**فلم أر عبقريا يفري فريه**»[(٣)] وإنما أصل هذا فيما يقال: إنه نسب إلى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلا منسوبا إلى شيء رفيع وأنشد لزهير:

نخال عليها جنة عبقرية جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

وقال أبو الحسن الواحدي: وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد:

جن الندا رواسيا أقدامها

وقال آخر يصف امرأة:

---

(١) أخرج البخاري أصل الحديث، حديث (٦٨٠)، ومسلم، حديث (٤١٩) من حديث أنس بن مالك بلفظ: «... كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف...»، ولم أقف على موضع الشاهد.

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٨٥٨) باللفظ المذكور، وأخرجه مسلم، حديث (١٧٤) بلفظ: «... قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح».

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٣٦٣٣)، ومسلم، حديث (٢٣٩٣).

جنية ولها جن يعلمها رمي القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان عبقر معروفا بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الأصل، ثم صار العبقري اسما ونعتا لكل ما بولغ في صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير، فإنه نسب الجن إلى عبقر، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر (عبقريا).

وروى سلمة عن الفراء قال: العبقري السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشي لما نسب إليها غير الموشى وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه.

قال ابن عباس: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ يريد البسط والطنافس.

وقال الكلبي: هي الطنافس المخملة.

وقال قتادة: هي عتاق الزرابي [(١)].

وقال مجاهد: الديباج الغليظ [(٢)]، وعبقري جمع، واحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع.

فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابي بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، ووصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائما ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت والله أعلم.

الباب الحادي والخمسون

في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: **«إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا»** [(٣)].

وفي لفظ لهما: **«في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن»**.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٤)، حديث (٣٤٠٨٦).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٣)، ومسلم، حديث (٢٨٣٨).

وفي لفظ آخر لهما أيضا: «الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون».

وللبخاري وحده في لفظ: «طولها ثلاثون ميلا» وهذه الخيام غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن، عن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان قال: (ينشأ خلق الحور العين إنشاء فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام).

وقال بعضهم: (لما كن أبكارا وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بعلها أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائه في الجنة).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله قال: (لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات حور عين كأنهن بيض مكنون)[1].

حدثنا علي بن الجعد، حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت أبا الأحوص يحدث، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[الرحمن: ٧٢] قال: (در مجوف)[2].

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان التيمي، عن قتادة، عن خليد العصري، عن أبي الدرداء قال: (الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها من درة)[3].

قال ابن المبارك: وأخبرنا همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب»[4].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب، حدثنا شريك، عن منصور، عن

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣٢٠)، وهو أثر ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٩٦).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٢)، حديث (٣٤٠٦١).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦١)، وابن المبارك في الزهد (ص ٧٢)، حديث (٢٥٠).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤١)، حديث (٣٤٠٥٨)، وابن المبارك في الزهد (ص ٧١)، حديث (٢٤٩)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧١٦).

مجاهد: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] قال: (في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة) [١].

حدثني محمد بن جعفر، حدثنا منصور، حدثنا يوسف بن الصباح، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] قال: (الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخا يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣] [٢] والله أعلم.

وأما السرر فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝﴾ [الواقعة: ١٣-١٦]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣] فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدا من بعض وأخبر أنها موضونة، والوضن في اللغة: النضيد والنسج المضاعف يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض، فهو موضون. وقال الليث: الوضن نسج السرير وأشباهه ويقال: درع موضونة مقاربة النسج، وقال رجل من العرب لامرأته: ضني متاع البيت أي قاربي بعضه من بعض. قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع ومنه سمي الوضين، وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها على بعض وأنشدوا للأعشى:

ومن نسج داود موضونة ... تساق مع الحي عيرا فعيرا

قالوا: موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

قال هشيم: أنبأنا حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: (مرمولة بالذهب) [٣].

وقال مجاهد: موصولة بالذهب.

وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس: موضونة مصفوفة [٤] فأخبر سبحانه أنها مرفوعة.

قال عطاء عن ابن عباس: قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وأيلة [٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦٢).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٣٢)، وهو ضعيف موقوف، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٩٧).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٧٢).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٧٣).
(٥) لم أجده.

وقال الكلبي: طول السرير في السماء مائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

فصل

وأما ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: **فهي جمع أريكة.**

قال مجاهد: عن ابن عباس: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣١] قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة فإذا كان سريرا بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة، فإذا اجتمعا كانت أريكة.

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال.

قال الليث: الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك.

وقال أبو إسحاق: الأرائك الفرش في الحجال.

قلت: ههنا ثلاثة أشياء: أحدها: السرير، والثانية: الحجلة وهي البشخانة التى تعلق فوقه، والثالث: الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله.

وفي الصحاح: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير، فهو حجلة والجمع الأرائك.

وفي الحديث: أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة [١]، وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها والله أعلم.

الباب الثاني والخمسون

في ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

قال أبو عبيدة والفراء: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ لا يهرمون ولا يتغيرون، قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد.

وقال آخرون: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ مقرطون مسورون أي في آذانهم القرطة وفي أيديهم الأساور.

وهذا اختيار ابن الأعرابي قال: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهي القرطة.

وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهي القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (١٩٠)، ومسلم، حديث (٢٣٤٥).

وكذلك قال سعيد بن جبير : مقرطون .

واحتج هؤلاء بحجتين :

إحداهما : أن الخلود عام لكل من دخل الجنة فلابد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم، وذلك هو القرطة .

الحجة الثانية : قول الشاعر :

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان

وقال الأولون : الخلد هو البقاء .

قال ابن عباس : غلمان لا يموتون .

وقول ترجمان القرآن في هذا كاف، وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل قالوا : لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون .

وجمعت طائفة بين القولين وقالوا : هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفي آذانهم القرطة، فمن قال : مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم .

وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفي كونه منثورا فائدتان :

إحداهما : الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم .

والثاني : أن اللؤلؤ إذا كان منثورا ولاسيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعا في مكان واحد، وقد اختلف في هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله في الجنة إنشاء؟ على قولين :

فقال علي بن أبي طالب والحسن البصري : هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها .

قال الحاكم : ثنا عبد الرحمن بن الحسن، ثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن في قوله : ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾[الواقعة :١٧] قال : لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع .

ومن أصحاب هذا القول من قال : هم أطفال المشركين فجعلهم الله خدما لأهل الجنة .

واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القاري، عن أبي حازم المديني، عن يزيد الرقاشي، عن أنس عن النبي ﷺ قال : **«سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنة»**[1] يعنى الأطفال .

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٣٠)، حديث (٤٠٩٠) من حديث أنس مرفوعًا بلفظ : «الأطفال خدم أهل

قال الدارقطني: ورواه عبد العزيز الماجشون، عن ابن المنكدر، عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ انتهى. ورواه فضيل بن سليمان، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن أنس، وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة: واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت.

وأصحاب القول الأول لا يقولون: إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم الله في الجنة كما أنشأ الحور العين.

قالوا: وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب، أنبأنا عمرو بن الحارث، أن دراجا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار**» [1] رواه الترمذي.

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدما لهم وغلمانا كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانا لهم.

وقد تقدم في حديث أنس عن النبي ﷺ: «**أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وفيه يطوف عليَّ ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون**» [2] والمكنون: المستور المصون الذي لم تبتذله الأيادي وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة ويطوف عليهم واعتبرتها بقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ [الطور: ٢٤] وضممت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفا علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى في الجنة خدما لأهلها والله أعلم.



الجنة»، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٢٠)، حديث (٢٩٧٢) بلفظ: «أولاد المشركين خدم أهل الجنة»، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٥٨٦)، والصحيحة (١٤٦٨).

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

الباب الثالث والخمسون

في ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٥] .

فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه .

والأزواج: جمع زوج والمرأة زوج للرجل، وهو زوجها هذا هو الأفصح، وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[البقرة:٣٥] .

ومن العرب من يقول: زوجة، وهو نادر لا يكادون يقولونه، وأما المطهرة، فإن جرت صفة على الواحد فيجرى صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعة كقوله تعالى: ﴿وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً﴾[التوبة:٧٢] ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾[سبأ:١٨] ونظائره، والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ .

قال عبد الله بن المبارك: ثنا شعبة عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[البقرة:٢٥] قال: «من الحيض والغائط والنخامة والبصاق»(١) .

وقال عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن(٢) .

وقال ابن عباس أيضا: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من القذر والأذى(٣) .

وقال مجاهد: لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا

---

(١) ذكره ابن حجر في تغليق التعليق (٣/ ٤٩٩)، وعزاه لابن الأعرابي في معجمه وقال: «إسناده لا بأس به».
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٥). (٣) انظر السابق.

يتنخمن ولا يلدن، (١).

وقال قتادة: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الإثم والأذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم (٢).

وقال عبد الرحمن بن زيد: المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام؟ قال: وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما عصت قال الله: إني خلقتك مطهرة وسأدميك كما دميت هذه الشجرة (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾ [الدخان: ٥١-٥٦] فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتا.

والحور: جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين.

وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف وعين حسان الأعين.

وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين.

واختلف في اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض.

وكذلك قال قتادة: الحور البيض.

وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه.

وقال مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون (٤).

وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة، وأصل الحور البياض، والتحوير التبييض.

والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين.

وفي الصحاح: الحور شدة بياض العين في شدة سوادها، امرأة حوراء: بينة الحور.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٦).
(٢) انظر السابق.
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٦).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٣٦).

وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين، لأنهن شبهن بالظباء والبقر.

وقال الأصمعي: ما أدري ما الحور في العين؟

قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد، والحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، وعين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

والعين: جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين، وامرأة عيناء، والجمع عين، والصحيح: أن العين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

قال مقاتل: العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول وضيق العين في المرأة من العيوب.

وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع: فمها وخرق أذنها وأنفها وما هنالك.

ويستحب السعة منها في أربعة مواضع: عينها ووجهها وصدرها وكاهلها، وهو ما بين كتفيها وجبهتها.

ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع: لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها.

ويستحب السواد منها في أربعة مواضع: عينها وحاجبها وهدبها وشعرها.

ويستحب الطول منها في أربعة: قوامها وعنقها وشعرها وبنانها.

ويستحب القصر منها في أربعة وهي معنوية: لسانها ويدها ورجلها وعينها؛ فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج، وعن بذله.

وتستحب الدقة منها في أربعة: خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.

فصل

وقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين.

وقال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها وإنما تقول: تزوجتها.

قال ابن نصر: هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ

مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب :٣٧] ولو كان على تزوجت بها لقال : زوجناك بها .

وقال ابن سلام: تميم تقول : تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائي أيضا .

وقال الأزهري: تقول العرب : زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة ، قال وقوله تعالى : ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[الدخان :٥٤] أي قرناهم .

وقال الفراء: هي لغة في أزدشنوءة .

قال الواحدي: وقول أبي عبيدة في هذا أحسن ، لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجا لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال : كان فردا فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر وإنما تمنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج .

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معا فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد : أنكحناهم الحور [١] ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم ، وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم .

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝﴾[الرحمن :٥٦-٥٨] وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع :

أحدها: هذا .

والثاني: قوله تعالى في الصافات : ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾[الصافات :٤٨] .

والثالث: قوله تعالى : في ص ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[ص :٥٢] .

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم .

وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ فقاصرات : صفة مضافة إلى الفاعل كحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد .

قال آدم: حدثنا ورقاء ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾[الصافات :٤٨] قال : يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن [٢] .

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات .

وقال منصور عن مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم .

---

(١) هو أول الأثر السابق ، وانظر تغليق التعليق (٤/ ٣١٠) .
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٥٩) .

وفي تفسير سعيد عن قتادة قال: قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم[1].

وأما الأتراب فجمع ترب، وهو لدة الإنسان.

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق: أقران أسنانهن واحدة.

قال ابن عباس وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وقال مجاهد: أتراب أمثال.

قال أبو إسحاق: هن في غاية الشباب والحسن وسمي سن الإنسان وقرنه تربه، لأنه مس تراب الأرض معه في وقت واحد والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور، فإن فيهم الولدان وهم الخدم.

وقد اختلف في تفسير الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ فقالت طائفة: تفسيره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام.

وقالت طائفة: تفسيره الفرش المذكورة في قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وفي بمعنى على.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] قال أبو عبيدة: لم يمسهن يقال: ما طمث هذا البعير حبل قط أي ما مسّه.

وقال يونس: تقول العرب: هذا جمل ما طمثه حبل قط أي ما مسه.

وقال الفراء: الطمث الافتضاض، وهو النكاح بالتدمية والطمث هو الدم وفيه لغتان طمث يطمث ويطمث.

قال الليث: طمثت الجارية إذا افترعتها والطامث في لغتهم هي الحائض.

قال أبو الهيثم: يقال للمرأة طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض فهي طامث، وقال في قول الفرزدق:

خرجن إليَّ لم يطمثن قبلي وهن أصح من بيض النعام

أي: لم يمسسن.

قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه ألفاظهم، وهم مختلفون في هؤلاء، فبعضهم يقول: هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها، وبعضهم يقول: يعني نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن.

قال الشعبي: نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٧٤).

وقال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة.

وقال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللاتي متن أبكارا.

وقال الكلبي: لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان.

قلت: ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين وأما نساء الدنيا، فقد طمثهن الإنس، ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك.

قال أبو إسحاق: وفي الآية دليل على أن الجن يغشى كما أن الإنس يغشى.

ويدل على أنهن الحور اللاتي خلقن في الجنة أنه سبحانه جعلهن مما أعده الله في الجنة لأهلها من الفاكهة والثمار والأنهار والملابس وغيرها ويدل عليه أيضا الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾، ثم قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن :٥٦].

قال الإمام أحمد: والحور العين لا يمتن عند النفخة في الصور، لأنهن خلقن للبقاء.

وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار، وبوب عليه البخاري في صحيحه فقال: باب ثواب الجن وعقابهم، ونص عليه غير واحد من السلف.

قال ضمرة بن حبيب: وقد سئل هل للجن ثواب؟ فقال: نعم وقرأ هذه الآية، ثم قال: الإنسيات للإنس، والجنيات للجن [(١)].

وقال مجاهد في هذه الآية: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه [(٢)].

والضمير في قوله: ﴿قَبْلَهُمْ﴾ للمعنيين بقوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ وهم أزواج هؤلاء النسوة.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن :٥٨] قال الحسن وعامة المفسرين.

أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان.

ويدل عليه ما قاله عبد الله: إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن :٥٨] ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا، ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر [(٣)].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٥١). (٢) انظر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٥٢).

فصل

وقال تعالى في وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[الرحمن :٧٢] المقصورات: المحبوسات، قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام، وكذلك قال مقاتل: محبوسات في الخيام، وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم، ذكره الفراء.

قلت: وهذا معنى: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾[الصافات :٤٨] لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾[الرحمن :٧٢] على هذا القول صفة لحور أي هن في الخيام وليس معمولا لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فروا من أن يكن محبوسات في الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات، وذلك أجمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.

وأما مجاهد فقال: مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ.

وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان لكلا النوعين، فإنهما صفتا كمال فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال.

فصل

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾[الرحمن :٧٠] فالخيرات: جمع خيرة وهي مخففة من خيره كسيدة ولينة، وحسان: جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم حسان الوجوه.

قال وكيع: حدثنا سفيان، عن جابر عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله قال: لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات.

فصل

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝﴾ [الواقعة :٣٥-٣٨] أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر، لأن الفرش دلت عليهن إذ هي محلهن.

وقيل: الفرش في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة :٣٤] كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها، ولكن قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة :٣٤] يأبى هذا إلا أن يقال المراد رفعة القدر.

وقد تقدم تفسير النبي ﷺ للفرش وارتفاعها، فالصواب أنها الفرش نفسها، ودلت على النساء، لأنها محلهن غالبا.

قال قتادة وسعيد بن جبير: خلقناهن خلقا جديدا.

وقال ابن عباس: يريد نساء الآدميات.

وقال الكلبي ومقاتل: يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط يقول تعالى: خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا.

ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع: «**هن عجائزكم العمش الرمص**» (١) رواه الثوري عن موسى بن عبيدة، عن يزيد الرقاشي عنه.

ويؤيده ما رواه يحيى الحماني حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، عن عائشة أن رسول ﷺ دخل عليها وعندها عجوز فقال: «**من هذه**» فقالت: إحدى خالاتي قال: «**أما إنه لا يدخل الجنة العجوز**» فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبي ﷺ: «﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة :٣٥] خلقا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم خليل الله»، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة :٣٥](٢).

قال آدم بن أبي إياس: حدثنا شيبان، عن جابر الجعفي، عن يزيد بن مرة، عن سلمة بن يزيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة :٣٥] قال: «**يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا**» (٣).

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة العجز**» فبكت العجوز، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز إنها**

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٣٢٩٦)، والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٥)، وهناد في الزهد (١/ ٥٧)، حديث (٢١)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٩٩٧)، والضعيفة (٣٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٠٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٥).

يومئذ شابة إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ [الواقعة: ٣٥]».

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسعدة بن اليسع، حدثنا سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ: «**إن الجنة لا يدخلها عجوز**» فذهب نبي الله ﷺ فصلى، ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلماتك مشقة وشدة فقال ﷺ: «**إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا**»[1].

وذكر مقاتل قولا آخر، وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين اللاتي ذكرهن قيل: أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة، والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاء، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه قد قال في حق السابقين: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٞ ۝ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ۝﴾ [الواقعة: ١٧-٢٣] فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم، والظاهر أنهن مثل نساء من قبلهن خلقن في الجنة.

الثاني: أنه سبحانه قال: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ [الواقعة: ٣٥]، وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان، لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك كقوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧] وقوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الواقعة: ٦٢].

الثالث: أن الخطاب بقوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾ [الواقعة: ٧] إلى آخره للذكور والإناث والنشأة الثانية أيضا عامة للنوعين، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ [الواقعة: ٣٥] ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء وتأمل تأكيده بالمصدر، والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هن أحق به منهن فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم.

وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن.

قال ابن الأعرابي: العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٥٧)، حديث (٥٥٤٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤١٩): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه مسعدة بن اليسع وهو ضعيف».

وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل.

قلت: يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع.

وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد:

وفي الحُدُوجِ عَرُوبٌ غيرُ فاحشةٍ ... ريَّا الروادفِ يعشي دونها البصرُ

وذكر المفسرون في تفسير «**العُرُب**» أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك من ألفاظهم.

وقال البخاري في صحيحه: ﴿عُرُبًا﴾ مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر وتسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة، والعرب: والمتحببات إلى أزواجهن، هكذا ذكره في كتاب: بدء الخلق، وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة: ﴿عُرُبًا﴾ مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة.

قلت: فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها، وهذه غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] إعلام بكمال اللذة بهن، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضا.

فصل

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝﴾ [النبأ: ٣١-٣٣] فالكواعب: جمع كاعب وهي الناهد قاله قتادة ومجاهد والمفسرون.

قال الكلبي: هن المفلكات اللواتي تكعب ثديهن وتفلكت.

وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب.

فصل

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**الغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[1].

(١) أخرجه البخاري، حديث (٢٧٩٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب**»(١) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا يونس، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين لكل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**»(٢) .

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا عمرو بن هشام البيروتي، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أبيه، عن أم سلمة قالت، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[الواقعة :٢٢] قال: «**حور بيض، عين ضخام العيون، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر**»، قلت: أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[الواقعة :٢٣] قال: «**صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي**»، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾[الرحمن :٧٠] قال: «**خيرات الأخلاق حسان الوجوه**»، قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[الصافات :٤٩] قال: «**رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر، وهو الغرقيء**»، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[الواقعة :٣٧] قال: «**هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى ﴿عُرُبًا﴾[الواقعة :٣٧] متعشقات متحببات ﴿أَتْرَابًا﴾[الواقعة :٣٧] على ميلاد واحد**»، قلت: يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «**بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة**»، قلت: يا رسول الله، وبم ذلك؟ قال: «**بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا وطوبى لمن كنا له وكان لنا**». قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة أو أربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال: «**يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول: أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقا في دار الدنيا فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة**»(٣) . تفرد به سليمان بن أبي كريمة ضعفه

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٦٧)، حديث (٨٧٠)، والأوسط (٣/ ٢٧٨)، حديث (٣١٤١)، والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٦)، وهو منكر، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٣٠).

أبو حاتم وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاما، ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال: لا يعرف إلا بهذا السند.

وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع، عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور وفيه: «**فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة**». وكان رسول الله ﷺ يقول: «**والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها، فبينا هو كذلك إذ نودي قد عرفنا أنك لا تَمل ولا تُمل إلا أنه لا منى ولا منية إلا أن تكون له أزواج غيرها فيخرج، فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاءت واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك**» [1]. هذا قطعة من حديث الصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذي وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر، وقال الترمذي: ضعفه بعض أهل العلم، وسمعت محمدًا يعني البخاري، يقول: هو ثقة مقارب الحديث. وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد وما تضمنه معروف في الأحاديث والله أعلم.

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو أن دراجًا حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء**» [2] رواه الترمذي ولكن دراج أبو السمح بالطريق، قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال النسائي: منكر الحديث، وقال

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

أبو حاتم: ضعيف، وقال النسائي أيضا: ليس بالقوى.

وساق له ابن عدي أحاديث، وقال: عامتها لا يتابع عليها.

وقال الدارقطني ضعيف، وقال مرة: متروك، وأما يحيى بن معين، فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي بن المديني: هو ثقة.

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[الرحمن :٥٨] قال: «**ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك**»[(١)].

وقال الفريابي: أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج اثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني**»[(٢)].

قلت: خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وَهَّاه ابن معين، وقال أحمد: ليس بشيء، وقال النسائي: غير ثقة، وقال الدارقطني: ضعيف، وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه.

وقال أبو نعيم: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن حمويه، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان، عن الحجاج، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة**» **قلنا: يا رسول الله، أو له قوة على ذلك؟** قال: «**إنه ليعطى قوة مائة رجل**».

قلت أحمد بن حفص هذا هو السعدى وله مناكير والحجاج هو ابن أرطاة.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام بن حسان السجزي ببغداد، حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبان، قالا: حدثنا حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه، حديث (٤٣٣٧)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١١)، وهو ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الجامع (٥١٤٣)، والضعيفة (٤٤٧٣).

سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: «**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**»[(١)]. قال الطبراني: لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي.

قال محمد بن عبد الواحد المقدسي: ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح.

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يحيى سلم الرازي، حدثنا هناد بن السرى، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن حسان، عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمى، عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله، أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**»[(٢)] وزيد هذا قال فيه ابن معين: صالح، وقال مرة: لا شيء، وقال مرة: ضعيف يكتب حديثه، وكذلك قال أبو حاتم، وقال الدارقطني: صالح وضعفه النسائي، وقال السعدي: متماسك، قلت: وحسبه رواية شعبة عنه.

فصل

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة، فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة والخدم والولدان، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة.

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع**» قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: «**يعطى قوة مائة**»[(٣)] هذا حديث صحيح فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم. ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر، عن

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢١٩)، حديث (٧١٨)، والصغير (٢/ ٦٨)، حديث (٧٩٥)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٣٦٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤/ ٣٢٦)، حديث (٢٤٣٦)، وهناد في الزهد (١/ ٨٧)، حديث (٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٣٦)، والطيالسي في مسنده (ص ٢٦٩)، حديث (٢٠١٢)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٧٢)، حديث (٢٥١٧)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٣)، حديث (٧٤٠٠)، وهو حسن صحيح، وانظر المشكاة (٥٦٣٦)، وصحيح الترمذي.

عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا**»[١].

الباب الرابع والخمسون

في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التي خلق منها الحور العين، فقد روى البيهقي من حديث الحارث بن خليفة، قال: حدثنا شعبة، حدثنا إسماعيل بن علية، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحور العين خلقن من الزعفران**»[٢] قال البيهقي: وهذا منكر بهذا الإسناد ولا يصح عن ابن علية، قلت: ولكنه حديث فيه شعبة.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن رشدين، حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري، حدثني الليث ابن ابنة الليث، عن أبي سليم قال: حدثتني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**خلق الحور العين من الزعفران**»[٣]، قال الطبراني: لا يروى إلا بهذا الإسناد، تفرد به علي بن الحسين بن هارون.

قلت: وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت: سمعت زوجي ليث بن سليم يحدث عن مجاهد فذكره موقوفًا عليه وهو أشبه بالصواب، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زيادة، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس قوله: ولا يصح رفع الحديث وحسبه أن يصل إلى ابن عباس.

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن لولي الله في الجنة عروسًا لم يلدها آدم ولا حواء ولكن خلقت من زعفران، وهذا مروي عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس وعن تابعيين وهما أبو سلمة ومجاهد وبكل حال فهي من المنشآت في الجنة ليست مولودات بين الآباء والأمهات والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٣)، ومسلم، حديث (٢٨٣٨).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (٧/ ٩٨)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٢٨٠٣)، والضعيفة (٣٥٣٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٠٠)، حديث (٧٨١٣)، والأوسط (١/ ٩٥)، حديث (٢٨٨)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٢٨٤٠).

وقد رواه الطبراني من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم، عن أمامة عن النبي ﷺ وهذا الإسناد لا يحتج به.

ورواه أبو نعيم حدثنا علي بن محمد الطوسي، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا محمد بن إسماعيل الحساني، حدثنا منصور بن المهاجر، حدثنا أبو منصور الأبار، عن أنس يرفعه: **«لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها وخلق الحور العين من الزعفران»**.

وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصورة من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك؟! فالله المستعان.

وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع، حدثنا حلبس بن محمد الكلابي، حدثنا سفيان الثوري، حدثنا مغيرة، حدثنا إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«يسطع نور في الجنة فرفعوا رءوسهم، فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»** (1).

روى بقية بن الوليد، حدثنا بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة قال: إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئًا إلا أمطروا (2) قال: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولن: أمطرينا جواري مزينات.

وقد روي في مادة خلقهن صفة أخرى قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن سعيد، عن خداش، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثنا سعيد بن أيوب، عن عقيل بن خالد عن الزهري، أن ابن عباس قال: **«إن في الجنة نهرًا يقال له: البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوارٍ ناشئات يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أعجب رجلًا منهم جارية مس معصمها فتتبعه»** (3).

وقال الليث بن سعد: عن يزيد بن أبي حبيب، عن الوليد بن عبدة قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: **«يا جبريل قف بي على الحور العين»** فأوقفه عليهن فقال: **«من أنتن»** فقلن نحن: جواري قوم كرام حلوا فلم يظعنوا وشبوا فلم يهرموا ونقوا فلم يدرنوا.

---

(1) أخرجه الخطيب في تاريخه (11/ 162)، وابن عدي في الكامل (2/ 457)، وهو موضوع، وانظر ضعيف الجامع (3266)، والضعيفة (3699).

(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (5/ 214).

(3) تقدم تخريجه.

وقال ابن المبارك: أنبأنا يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن زحر، عن خالد بن أبي عمران، عن أبي عياش قال: كنا جلوسًا مع كعب يومًا فقال: (لو أن يدًا من الحور دليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت: يدها فكيف بالوجه ببياضه وحسنه وجماله!!.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»** [1].

وفي مراسيل عكرمة عن النبي ﷺ قال: **«إن الحور العين لأكثر عددًا منكن يدعون لأزواجهن يقلن: اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين»** [2].

ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد، عن عطاء عنه.

وذكر الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن ابن مسعود قال: (إن في الجنة حوراء يقال لها: اللعبة كل حور الجنان يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك لجدوا بين عينيها مكتوب: من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي).

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: (يا أبا يحيى شوقنا قال: يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها فلم يزل عطاء كمدًا من قول مالك).

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: (لقي حكيم حكيمًا فقال: أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال: لا، فقال: فاشتق إليهن، فإن نور وجههن من نور الله عز وجل فغشي عليه فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهرا). وقال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: (يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين؟).

وقال ابن أبي الحواري: حدثني الحضرمي قال: (نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فراشه إلى الصباح فقلت: يا أبا حمزة ما رقدت الليلة؟ فقال:

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (١١٧٤)، وابن ماجه، حديث (٢٠١٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٢)، حديث (٢٢١٥٤)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١١٣)، حديث (٢٢٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧١٩٢)، صحيح الترغيب (١٩٤٥)، الصحيحة (١٧٣).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣١١)، وهو ضعيف مرسل، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٢٩).

إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها وقد مس جلدي فحدثت به أبا سليمان فقال: هذا رجل كان مشتاقًا).

وقال ابن أبي الحواري سمعت: أبا سليمان يقول: (ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام).

وذكر ابن أبي الدنيا، عن صالح المري، عن زيد الرقاشي قال: (بلغني أن نورًا سطع في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه فقيل: ما هذا؟ قيل: حوراء ضحكت في وجه زوجها قال صالح: فشهق رجل من ناحية المجلس فلم يزل يشهق حتى مات).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشر بن الوليد، حدثنا سعيد بن زربي عن عبد الملك الجوني، عن سعيد بن جبير، قال: سمعت ابن عباس يقول: (لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض) [١].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن يحيى وكثير العنبري، وحدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثوري قال: (سطع نور في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها).

ورواه الخطيب في تاريخه من حديث عبد الله بن محمد الكرخي قال: حدثني عيسى بن يوسف الطباع، حدثني حلبس بن محمد، حدثني سفيان الثوري، عن مغيرة عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**سطع نور في الجنة فرفعوا أبصارهم، فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها**» [٢].

وقال الأوزاعي: عن يحيى بن أبي كثير: (إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة الا وردت).

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير: (أن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط والمقيمات فلا نظعن والخالدات فلا نموت بأحسن أصوات سمعت وتقول: أنت حبي وأنا حبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل) [٣].

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٨)، وهو أثر ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٢٥).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٣١)، حديث (٤٣٥).

الباب الخامس الخمسون

في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك عن المذي والمني والضعف وأنه لا يوجب غسلًا

قد تقدم حديث أبي هريرة قيل: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة فقال: «**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**» (١) وأن اسناده صحيح.

وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته: «**إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا له فيها أهلون يطوف عليهم**» (٢).

وحديث أنس: «**يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع**» (٣) وصححه الترمذي.

وروى الطبراني وعبد الله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال: يا رسول الله على ما يطلع من الجنة؟ قال: «**على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة، لعـ إلهك مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة**»، قلت: يا رسول الله، أو لنا فيها أزواج مصلحات؟ قال: «**الصالحات للصالحين تلذذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلذذكم غير أن لا توالد**» (٤).

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله، أنطأ في الجنة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده دحمًا دحمًا، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا**» (٥).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي، حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطي، حدثنا شريك، عن عاصم الأحول، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارًا**» (٦)، قال الطبراني: لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به عن يعلى.

قال الطبراني: وحدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي، حدثنا

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٨٥-٤٨٨)، حديث (١١١٢٠)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢١١)، حديث (٤٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٥)، حديث (٨٦٨٣).
(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٥)، حديث (٧٤٠٢)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٣٣٥١).
(٦) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٦٠)، حديث (٢٤٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٨١)، حديث (٥٨٣)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٨٣٠).

عمرو بن أبي سلمة، حدثنا صدقة، عن هاشم بن زيد، عن سليم بن أبي يحيى، أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ وسئل: هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: **«بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحمًا دحمًا»** (١).

قال الطبراني: وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل أيجامع أهل الجنة قال: **«دحمًا دحمًا ولكن لا مني ولا منية»** (٢) وهاشم وخالد وإن تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما وقوله: **«لا منى ولا منية»** أي لا إنزال ولا موت.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو على محمد بن أحمد، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، حدثنا عمارة بن راشد، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه سئل: هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: **«نعم، والذي بعثني بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع»** (٣).

وقال الحسن بن سفيان في مسنده: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ هل ينكح أهل الجنة؟ قال: **«إي والذي بعثني بالحق دحمًا دحمًا»** وأشار بيده **«ولكن لا مني ولا منية»** (٤). وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قال: في افتضاض الأبكار (٥).

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد، قالا: حدثنا يعقوب بن عبد الله، حدثنا حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، عن شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قال: **«شغلهم افتضاض العذاري»** (٦).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٧٢)، حديث (٧٧٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٩٦)، حديث (٧٤٧٩)، ومسند الشاميين (٢/ ٤٢٣)، حديث (١٦١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤١٦-٤١٧): «رواه كلها الطبراني بأسانيد ورجال بعضها وثقوا على ضعف في بعضهم».

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٣٤٨)، حديث (٣٤٥)، وهناد في الزهد (١/ ٨٦)، حديث (٨٧)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤١٧): «وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف بغير كذب وبقية رجاله ثقات».

(٤) حديث أبي أمامة تقدم قريبًا.

(٥) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٨٧)، حديث (٨٩).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٨).

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم، أنبأنا العباس بن الوليد، أخبرني شعيب، عن الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥] قال: «**شغلهم افتضاض الأبكار**» قال مقاتل: شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم وقال أبو الأحوص: شغلوا بافتضاض الأبكار على السرر في الحجال.

وقال سليمان التيمي، عن أبي مجلز، قلت لابن عباس عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥] ما شغلهم؟ قال: افتضاض الأبكار.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب، حدثنا يزيد بن زريع، عن سليمان التيمي، عن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥] قال: في افتضاض العذارى [(١)].

حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: (إن شهوته لتجري في جسده سبعين عامًا يجد اللذة [(٢)] ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه).

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي ﷺ: «**إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**» [(٣)].

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حرمها هناك كما نعى سبحانه وتعالى على من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله: أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال: ما هذا؟ قال: لحم اشتريته لأهلي بدرهم فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئًا اشتراه!! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][(٤)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا جرير بن حازم، قال: حدثنا الحسن، قال:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣١)، حديث (٣٣٩٨٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ١٤٠)، حديث (٢٤٥٢٤)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص ١٢٤).

(قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز يُلَتُّ وربما وافقناها مأدومة بالسمن وربما وافقناها مأدومة بالزيت وربما وافقناها مأدومة باللبن وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت، ثم أغلى بها وربما وافقنا اللحم العريض وهو قليل فقال ذات يوم: إني والله قد أرى تقذيركم وكراهيتكم لطعامي إني والله لو شئت لكنت من أطيبكم طعامًا وأرفقكم عيشًا ولكني سمعت الله تعالى عير قومًا بأمر فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[الأحقاف: ٢٠][1]، فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون ومن استوفاها هنا حرمها هناك أو نقص كمالها فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبدا) والله أعلم.

الباب السادس والخمسون

في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا

قال الترمذي في جامعه: حدثنا بندار، حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي، عن عامر الأحول، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي»**[2] قال: هذا حديث حسن غريب.

وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم: في الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا روى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي.

وقال محمد يعني البخاري: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ: **«إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي ولكن لا يشتهي»**، قال محمد: قد روي عن أبي ذر بن العقيلي عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد»** وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ويقال: بكر بن قيس انتهى كلام الترمذي.

قلت: إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جدًّا وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنه قال: إذا اشتهى المؤمن الولد وإذا للمتحقق الوقوع ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال: لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة، فإن ما لا يكون

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٢٠٤)، حديث (٥٧٩)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، حديث (٢٥٦٣)، وابن ماجه، حديث (٤٣٣٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ٩)، حديث (١١٠٧٨)، والدرامي في سننه (٢/ ٤٣٤)، حديث (٢٨٣٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٧)، حديث (٧٤٠٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦٦٤٩).

أحق بأداة لو كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة إذا .

وقد قال أبو نعيم: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان الثوري عن أبان، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قيل: يا رسول الله، أيولد لأهل الجنة، فإن الولد من تمام السرور؟ فقال: «**نعم والذي نفسي بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه**».

حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أحمد الرازي بمكة، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، حدثنا سليمان بن داود القزاز، حدثنا يحيى بن حفص الأسدي، قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث، عن جعفر بن زيد العبدي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهي فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة**» وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار عامر الأحول وقال عمرو بن علي عاصم الأحول.

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا سلام بن سليمان، حدثنا سلام الطويل، عن زيد العمى، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يرفعه: «**إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الولد في الجنة فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة**». قال البيهقي: وهذا إسناد ضعيف بمرة.

وأما حديث أبي رزين الذي أشار إليه البخاري، فهو حديثه الطويل ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادى على صحته.

قال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه: كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة عن مصعب بن الزبير: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك فحدث به عني، حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الخزامي، حدثني عبد الرحمن بن عياش السمعي الأنصاري من بني عمرو بن عوف، عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي، عن أبيه، عن عمه لقيط بن عامر قال دلهم: وحدثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطًا خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبا فقال: «**ألا أيها الناس إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام، ألا لأسمعنكم ألا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ**؟ ألا، ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مسئول ألا هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا»، قال:

فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي سقطه فقال: «**ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله**» وأشار بيده، قلت: وما هي؟ قال: «**علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المني حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمون، وعلم ما في غد ما أنت طاعم غدًا ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب**»، قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا وعلم يوم الساعة، قلت: يا رسول الله، علمنا مما تعلم الناس وما تعلم فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذحج التي تربو علينا وخثعم التي توالينا وعشيرتنا التي نحن منها قال: «**تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصائحة لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئًا إلا مات والملائكة الذين مع ربك عز وجل فأصبح ربك يطوف في الأرض وخلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تجعله من عند رأسه فيستوي جالسًا فيقول ربك: مهيم لما كان فيه يقول: يا رب أمتني اليوم ولعهده بالحياة عشية يحسبه حديثًا بأهله**» فقلت: يا رسول الله كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ فقال: «**أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله؛ الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية فقلت لا تحيا أبدًا، ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أيامًا حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فيخرجون من الأصواء ومن مصارعهم فتنظرون إليه وينظر إليكم**» قال، قلت: يا رسول الله فكيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه قال: «**أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون في رؤيتهما ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منها**»، قلت: يا رسول الله، فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: «**تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها فلعمر إلهك ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الربطة البيضاء وأما الكافر فتحطم وجهه بمثل الحمم الأسود ألا، ثم ينصرف نبيكم ﷺ وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسرًا من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول حسن فيقول ربك: أو إنه؟ فيطلعون على حوض الرسول ﷺ على أظمأ والله ناهلة قط رأيتها فلعمر ربك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدًا**» قال، قلت: يا رسول الله فبم نبصر؟ قال: «**بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك طلوع الشمس في**

يوم أشرقته الأرض، ثم واجهته الجبال» قال: قلت: يا رسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا قال: **«الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو»** قال، قلت: يا رسول الله ما الجنة ما النار؟ قال: **«لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا»**، قال، قلت: يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة؟ قال: **«على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة»**، قلت: يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو منهن مصلحات؟ قال: **«الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم غير أن لا توالد»** قال لقيط: فقلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله علام أبايعك؟ فبسط النبي ﷺ يده، وقال: **«على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله إلهًا غيره»** قال، قلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبي ﷺ يده وبسط أصابعه وظن أني مشترط شيئًا لا يعطينه، قال: قلت: نحل منهما حيث شئنا ولا يجني على امرئ إلا نفسه؟ فبسط يده وقال: **«ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك»** قال فانصرفنا وقال: **«ها إن ذين لعمر إلهك إن حدثت إلا أنهما من أتقى الناس في الأولى والآخرة»**، فقال له كعب بن الجدارية أخو بني بكر بن كلاب من هم يا رسول الله؟ قال: **«بنو المنتفق أهل ذلك»** قال، فانصرفنا واقبلت عليه فقلت: يا رسول الله، هل لأحد مما مضى من خبر في جاهليتهم؟ قال: **«قال رجل من عرض قريش والله إن أباك المنتفق لفي النار»** قال: فكأنه قد وقع جزء من جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي على رءوس الناس فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت: يا رسول الله وأهلك؟ قال: **«وأهلي لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل أرسلني إليك محمد فأبشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك في النار»** قال: قلت: يا رسول الله ما فعل الله بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصلحين؟ قال: **«ذلك بأن الله عز وجل بعث في آخر كل سبع أمم نبيا، فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»** [(١)].

هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث أبي القاسم عن عبد الرحمن بن المغيره بن عبد الرحمن المدني، ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيري المدني عنه وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما في الحديث، احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل

(١) تقدم تخريجه.

البخاري وروى عنهما في مواضع من كتابه ورواه أئمة الحديث في كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أحمد، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي العاصم، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الشيخ الحافظ، وأبو عبد الله بن منده، والحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، والحافظ أبو نعيم الأصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم.

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقرءوه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم في إسناده، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول.

وقال أبو الخير بن حمدان: هذا حديث كبير ثابت مشهور.

وسألت شيخنا أبا الحجاج المزي عنه فقال: عليه جلالة النبوة.

وقال نفاة الإيلاد: فهذا حديث صريح في انتفاء الولادة، وقوله: «**إذا اشتهى**» معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به، وإذا وإن كانت ظاهرة في المحقق، فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم عن المحقق وغيره، قالوا: وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه:

أحدها: حديث أبي رزين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفاس والأذى.

قال سفيان: أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد [١].

وقال أبو معاوية: حدثنا ابن جريج، عن عطاء ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] قال: من الولد والحيض والغائط والبول [٢].

الثالث: قوله: «**غير أنه لا مني ولا منية**» وقد تقدم، والولد إنما يخلق من ماء الرجل، فإذا لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد.

الرابع: أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يبقى في الجنة فضل فينشئ الله لها خلقا يسكنهم إياها**» [٣] ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم.

الخامس: أن الله سبحانه وتعالى جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني فلو كانت

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٥). (٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٦).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٧٣٨٤)، ومسلم، حديث (٢٨٤٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

النساء يحبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال .

السادس: أن الله سبحانه وتعالى قدر التناسل في الدنيا، لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرنا بعد قرن وجعل لهم أمدا ينتهون إليه فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني؛ ولهذا الملائكة لا تتناسل، فإنهم لا يموتون كما يموت الإنس والجن، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه وتعالى الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنساني إذ هو منشأ للبقاء والدوام فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار .

السابع: أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم - الذين كانوا لهم - في الدنيا ولو كان ينشئ لهم في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا في الدنيا، لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا .

الثامن: أنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية، ثم تنقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى واستلزام الثاني انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم، وهو محال ولا يمكن أن يقال بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك .

التاسع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلا ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو يوضحه .

الوجه العاشر: أن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذي جعلوا عليه لازم لهم أبدًا والله أعلم .

فهذا ما في المسألة، فأما قول بعضهم: إن القدرة صالحة والكل ممكن وقول آخرين إن الجنة دار المكلفين التي يستحقونها بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة وهي في كتب الناس وبالله التوفيق .

وقال الحاكم: قال الأستاذ أبو سهل: أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعني حديث الولادة في الجنة .

وقد روى فيه غير إسناد وسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال يكون ذلك على نحو مما روينا

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[الزخرف:٧١] وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن من شهواته المصفى المقرب المسلط على لذاته قرة عين وثمرة فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة.

فإن قيل: ففي الحديث أنهن لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد؟

قلت: الحيض سبب الولادة الممتدة مدة بالحمل على الكثرة والوضع عليه كما أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه وهذه خمرة الدنيا المحرمة المستولة على كل بلية قد أعدها الله تعالى لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد، انتهى كلامه.

قلت: النافون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن لحديث أبي رزين: «**غير أن لا توالد**» وقد حكينا قول عطاء وغيره أنهن مطهرات من الحيض والولد.

وقد حكى الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين، وحكى قول أبي إسحاق بإنكاره.

وقال أبو أمامة في حديثه: «**غير أن لا مني ولا منية**»[1]، والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه.

وحديث أبي سعيد الخدري هذا أجود أسانيده إسناد الترمذي وقد حكم بغرابته وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه: «**إذا اشتهى الولد**»، وتارة: «**إنه ليشتهي الولد**»، وتارة: «**إن الرجل من أهل الجنة ليولد له**»، فالله أعلم.

فإن كان رسول الله ﷺ قد قاله، فهو الحق الذي لا شك فيه وهذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض وحديث أبي رزين «**غير أن لا توالد**» إذ ذاك نفي للتوالد المعهود في الدنيا ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعة واحدة، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة، وقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده في غير هذا الكتاب والله أعلم بالصواب.

---

(١) تقدم قريبًا.

الباب السابع والخمسون

في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٥].

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن موسى الحرشي، قال: حدثنا عامر بن يساف، قال: سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال الحبرة: اللذة والسماع (١).

حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير في قوله: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال: السماع في الجنة (٢).

ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يكرمون (٣).

وقال مجاهد وقتادة: ينعمون (٤)، فللذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم.

وقال الترمذي: حدثنا هناد وأحمد بن منيع، قالا: [حدثنا أبو معاوية] حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له**» (٥). وفي الباب، عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وحديث علي حديث غريب.

قلت: وفي الباب عن ابن أبي أوفى، وأبي أمامة وعبد الله بن عمر أيضا.

فأما حديث أبي هريرة: فقال جعفر الفريابي: حدثنا سعيد بن حفص حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: (إن في الجنة نهرا طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٦٥)، وهناد في الزهد (١/ ٥٠)، حديث (٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٨)، حديث (٤٠٢١)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٢٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٨).

(٥) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٦٤)، وأحمد في مسنده (١/ ١٥٦)، حديث (١٣٤٢)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٢٣٢)، حديث (٢٦٨)، والبزار في مسنده (٢/ ٢٨٢)، حديث (٧٠٣)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٨٩٨)، والضعيفة (١٩٨٢).

بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون في الجنة لذة مثلها فقلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل) [١].

هكذا رواه موقوفا.

وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث مسلمة بن علي عن زيد بن واقد عن رجل، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطففن فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه»** [٢].

وأما حديث أنس: فقال أبو نعيم: أنبأنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن عون بن الخطاب، عن عبد الله بن رافع، عن ابن لأنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الحور العين يغنين في الجنة يقلن نحن الحور الحسان خلقن لأزواج كرام»** [٣]. رواه ابن أبي الدنيا، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أبي عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره.

وأما حديث ابن أبي أوفى: فقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا موسى بن هارون، حدثنا حامد بن يحيى البلخي، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا الوليد بن أبي ثور، حدثني سعد الطائي، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: **«يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن طوبى لمن كان لنا وكنا له»** [٤].

وأما حديث أبي أمامة: فقال جعفر الفريابي: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: **«ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه**

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠١)، حديث (٥٧٢٦)، وعزاه للبيهقي، وهو صحيح موقوف، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٥١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٣)، وهو ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري، في التاريخ الكبير (٧/ ١٦)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣١٢)، حديث (٦٤٩٧)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٥٠)، والصحيحة (٣٠٠٢).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ١١٠٨)، حديث (٦٠٣)، وهو حديث منكر، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٣٣).

بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزامير الشيطان» [١].

وأما حديث ابن عمر: فقال الطبراني: حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى بن الفرات المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أزواج أهل الجنة ليغنين لأزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ينظرون بقرة أعين، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا نمتنه نحن الآمنات فلا نخفنه نحن المقيمات فلا نظعنه»** [٢]، قال الطبراني: لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبي مريم. وقال ابن وهب: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: وقال رجل من قريش لابن شهاب: هل في الجنة سماع، فإنه حبب إلي السماع؟ فقال: إي والذي نفس ابن شهاب بيده إن في الجنة لشجرًا حمله اللؤلؤ والزبرجد وتحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا فأجبن الجواري فلا ندري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر.

قال ابن وهب: وحدثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد: (أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان أزواج شباب كرام ونحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن، في صدر إحداهن مكتوب: أنت حبي وأنا حبك انتهت نفسي عندك لم تر عيناي مثلك).

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير: (أن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط والمقيمات فلا نظعن والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت، وتقول: أنت حبي وأنا حبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل) [٣].

فصل ولهم سماع أعلى من هذا

قال ابن أبي الدنيا: حدثني دهثم بن الفضل القرشي، حدثنا رواد بن الجراح، عن الأوزاعي قال: بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل فيأمره الله تبارك

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٩٥)، حديث (٧٤٧٨)، وفي مسند الشاميين (٢/ ٤٢٣)، حديث (١٦١٨)، وهو ضعيف جدًّا، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٣٢)، والضعيفة (٥٠٢٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٤٩)، حديث (٤٩١٧)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٥٦١)، وصحيح الترغيب (٣٧٤٩).

(٣) تقدم تخريجه.

وتعالى فيأخذ في السماع فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عز وجل: «**وعزتي وجلالي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري**» [(١)].

وحدثني داود بن عمر الضبي، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن مالك بن أنس، عن محمد بن المنكدر، قال: «**إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي**» [(٢)].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسن حدثني عبد الله بن أبي بكر، حدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار في قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥] قال: (إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة، ثم نودي يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥]).

وذكر حماد بن سلمة، عن ثابت البناني وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال: (إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي فأسمعوا عبادي، فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب الزهد لأبيه: حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثني سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار في قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥] قال: (يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول: يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول: إلهي كيف أمجدك وقد سلبتنيه في دار الدنيا؟ قال: فيقول الله عز وجل: فإني أرده عليك، قال: فيرده عليه فيزداد صوته، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو مسلم الحراني، حدثنا مسكين بن بكير، عن الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة قال: (إن في الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ فيبعث الله ريحا فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها) [(٣)].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٥٦)، حديث (٤٠٠).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٢)، حديث (٤٣)، وابن الجعد في مسنده (ص ٢٥٤)، حديث (١٦٨٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٤).

حدثنا أبو بكر بن يزيد وإبراهيم بن سعيد، قالا: حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: (في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا) [١].

حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا علي بن عاصم حدثني سعيد بن أبي سعيد الحارثي قال: (حدثت أن في الجنة آجاما من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ، فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتا حسنا بعث الله على تلك الآجام ريحا فتأتيهم بكل صوت يشتهونه).

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك. وسيمر بك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئا أحب إليهم من ذلك.

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حبان، عن عبد الله بن بريدة قال: (إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد فلم تقر أعينهم بشيء ولم يسمعوا شيئا قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد).

الباب الثامن والخمسون

في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذي: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا المسعودي، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من خيل؟ قال: «**إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت**»، قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه قال: «**إن أدخلك الله الجنة**

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٦٦)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٠٢).

يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك» [١].

حدثنا سويد بن نصر، أنبأنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي ﷺ نحوه بمعناه وهذا أصح من حديث المسعودي.

حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي، حدثنا أبو معاوية، عن واصل بن السائب، عن أبي سورة، عن أبي أيوب قال: أتى النبي ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله، إني أحب الخيل أفي الجنة خيل؟ قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه، ثم طار بك حيث شئت»** [٢].

قال الترمذي: هذا حديث إسناده ليس بالقوي ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلا من هذا الوجه، وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب يضعف في الحديث ضعفه ابن معين جدًا وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير، عن أبي أيوب لا يتابع عليه.

قلت: أما حديث علقمة بن مرثد، فقد اضطرب فيه علقمة.

فمرة يقول: عن سليمان بن بريدة عن أبيه.

ومرة يقول: عن عبد الرحمن بن سابط عن عمير بن ساعدة قال: كنت أحب الخيل فقلت: هل في الجنة خيل يا رسول الله؟

ومرة يقول: قال رجل من الأنصار يقال له: عمير بن ساعدة: يا رسول الله.

ومرة يقول: عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي ﷺ.

والترمذي جعل هذا أصح من حديث المسعودي، لأن سفيان أحفظ منه وأثبت. وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال: عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن أعرابيا قال: يا رسول الله، أفي الجنة إبل؟ قال: **«يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهي نفسك وتلذ عينك»**.

ورواه أيضا من حديث علقمة عن يحيى بن إسحاق، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكر الجنة فقال: **«والفردوس أعلاها سموا وأوسعها منه محلا ومنها تفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة»** فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إني

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤٣)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٢)، حديث (٢٣٠٣٢)، والطبراني في الأوسط (٥/ ١٨٥)، حديث (٥٠٢٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٣)، حديث (٣٣٩٩١)، وهو حسن، وانظر صحيح الجامع (٧٩٤٣)، صحيح الترغيب (٣٧٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٤٤)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٨٠)، حديث (٤٠٧٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٥٧)، والصحيحة (٣٠٠١).

رجل حبب إلي الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال: «إي والذي نفسي بيده إن في الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاءوا» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني حبب إلي الإبل. وذكر الحديث.

وأما حديث أبي سورة: فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره وغير يحيى بن جابر الطائي، وقد أخرج له أبو داود حديث «ستفتح عليكم الأمصار وتجندون أجنادا» (١)، وأخرج له ابن ماجه، عن أبي أيوب رأيت النبي ﷺ توضأ فخلل لحيته (٢).

وحديثا آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور: ٢٧] (٣). وأخرج له الترمذي حديث (خيل الجنة) (٤) فقط. ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به، وقال: «**إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل**» (٥).

وقال أبو الشيخ: حدثنا القاسم بن زكريا، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها، ثم طارت بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار، فإذا رأوه خروا سجدا فيقول لهم الجبار تعالى ارفعوا رءوسكم، فإن هذا ليس يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة فيرفعون رءوسهم فيمطر الله عليهم طيبا فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله على تلك الكثبان ريحا فتهيجها عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر**» (٦).

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا همام، عن قتادة، عن عبد الله بن عمرو قال: (في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب يركبها أهلها) (٧).

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث (٢٥٢٥)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٣٢٥٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه، حديث (٤٣٣) وهو صحيح. وانظر صحيح ابن ماجه.
(٣) أخرجه ابن ماجه، حديث (٣٧٠٧) من طريق واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب الأنصاري قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام، فما الاستئذان؟ قال: «يتكلم الرجل تسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح ويؤذن أهل البيت» وهو ضعيف، وانظر ضعيف ابن ماجه. (٤) تقدم تخريجه قريبًا.
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٧٩)، حديث (٤٠٦٩)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٨٥)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٨٣٣)، الضعيفة (٣١٧٢).
(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٥٣٤)، حديث (١٥٢٣) عن جابر بن عبد الله موقوفًا عليه.
(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٦٧)، حديث (٢٣١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٢)، حديث (٣٣٩٩٠).

الباب التاسع والخمسون

في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضًا وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝﴾ [الصافات: ٥٠-٥٧] فأخبر الله سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه يقول: ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بأنا نبعث ونجازي بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا ترابًا وعظامًا، ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه؟.

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران:

أحدهما: أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضًا ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: ٥٤] رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: ٥٤]، والصحيح القول الأول، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه. قال كعب: بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى. وقوله: ﴿فَاطَّلَعَ﴾ [الصافات: ٥٥] أي أشرف قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: ٥٤] قالوا له: إنك أعرف به منا فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في وسط الجحيم ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير فعندها قال: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦-٥٧] أي كدت لتهلكني ولولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب. وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

وقال الطبراني: حدثنا الحسن بن إسحاق، حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك، عن بشر بن نمير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ أيتزاور أهل

الجنة؟ قال: **«يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون في الله عز وجل يأتون منها حيث شاءوا على النوق محتقبين الحشايا»** [١].

وقال الدورقي: حدثنا أبو سلمة التبوذكي، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال قال: (بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى) [٢]. وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدوس، حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا جابر بن نوح، عن واصل بن السائب، عن أبي سورة، عن أبي أيوب يرفعه: **«إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب»** [٣]، وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضًا وبذلك تتم لذتهم وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: **«كيف أصبحت يا حارثة؟»**، قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، قال: **«إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك»** قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يعذبون فيها فقال: **«عبد نور الله قلبه»** [٤].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا عبد الله، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن دينار، عن الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض قال فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا»** [٥].

قال: وحدثني حمزة بن العباس، أنبأنا عبد الله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا اسماعيل بن عياش قال: حدثني ثعلبة بن مسلم، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٤)، حديث (٧٩٥٦).
(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٦٨)، حديث (٢٣٥).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٦)، حديث (٣٣٦٧)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٦٣)، حديث (١٠٥٩١) من طريق زيد بن الحباب ثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك الأنصاري مرفوعًا.
(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ١١١٩)، حديث (٦١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٩)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٣٧)، والضعيفة (٥٠٢٩).

يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل فيأتيهم مثل السحابة، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم [1]، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثبانًا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقهم وفي رءووسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا حاجة فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك فيقول: ما كنت علمت بمكانك فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] فيقول: بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفًا لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة».

حدثني حمزة أنبأني عبد الله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا رشدين بن سعد قال: حدثني ابن أنعم أن أبا هريرة قال: (إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون عليها رحال الميس تثير مناسمها غبار المسك خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها) [2].

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان أنبأنا إسماعيل بن عياش، عن عمرو بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] قال: **«هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب أعنتها السندس والإستبرق ونمارقها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي الله بين خلقه يضحك الله إليهم وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه»** [3].

قال ابن أبي الدنيا: وحدثنا الفضل بن جعفر بن حسن، حدثنا أبي عن الحسن بن علي، عن علي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٤٦)، وهو ضعيف مرسل، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٣٦).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٤٧)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٣٨).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٤٨)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٨٥٤).

بصرها فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون في الليل وكنتم تنامون وكانوا يصومون وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون»[١] .

فصل

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه .

وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب إن شاء الله تعالى .

الباب الستون

في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها

قال مسلم في صحيحه: حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا»**[٢] .

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان، عن حماد بن سلمة وقال: **«فيها كثبان المسك، فإذا خرجوا إليها هبت الريح»** .

وقال ابن أبي عاصم في كتاب السنة: حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد: أوفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: **«أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيها دني على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا»** . قال أبو هريرة: وهل نرى ربنا عز وجل؟ قال: **«نعم»** قال: **«هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر»** قلنا: لا . قال: **«فكذلك لا**

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٤٩)، وهو موضوع، وانظر ضعيف الترغيب (٣٥٥، ٢٢٣٩).
(٢) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٣٣).

تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول: يا فلان ابن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: بلى أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط قال: ثم يقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقا قد حفت بها الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا، قال: فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا» [(١)] .

ورواه الترمذي في صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل، عن هشام بن عمار. ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس في هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعي فلا ننكر عليه تفرده عن الأوزاعي لما لم يروه غيره. وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازي هو ثقة وأما دحيم والنسائي فضعفاه ولا نعرف أنه حدث عن غير الأوزاعي.

والترمذي قال في هذا الحديث: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قلت: وقد رواه ابن أبي الدنيا، عن الحكم بن موسى، حدثنا هقل بن زياد، عن الأوزاعي قال: نبئت أن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة فذكره.

وقال الترمذي: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو معاوية، أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها»** [(٢)]. قال: هذا حديث غريب.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان التيمي، عن أنس بن مالك قال: (يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كثبان المسك، فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا: إنا لنجد، لكن ريحا ما كانت، لكن قال: فيقلن: لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا) [(٣)] .

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٧٠)، حديث (٢٤١)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٥٣).

قال ابن المبارك: وأنبأنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: (إن في الجنة سوقا كثبان مسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها فيبعث الله ريحا فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم حسنا بعدنا، فيقولون لأهليهم: قد ازددتم أيضا بعدنا حسنا) (١).

وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطين: حدثنا أحمد بن محمد بن طريف البجلي، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن كثير، حدثني جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين، عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال: «**يا معشر المسلمين إن في الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشترى إلا الصُور من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها**» (٢) والله أعلم.

الباب الحادي والستون
في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في مسنده: حدثنا إبراهيم بن محمد قال: حدثني موسى بن عبيدة قال: حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكت إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**ما هذه؟**»، قال: الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي ﷺ: «**يا جبريل وما يوم المزيد؟**» قال: إن ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكُثُب فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون: ربنا نسألك رضوانك فيقول: قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولديّ مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم

---

(١)أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٥٢٤)، حديث (١٤٩١)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٥٤)، وأصله عند مسلم من حديث أنس أيضًا مرفوعًا.

(٢)أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/١٨)، حديث (٥٦٦٤)، وهو ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الترغيب (١٤٨٥)، الضعيفة (٥٣٦٩).

عليه السلام وفيه تقوم الساعة [(١)] ولهذا الحديث طرق سنشير إليها في باب المزيد إن شاء الله تعالى .

وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن جسر عن فرقد عن الحسن ، عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ : قال : «**إن أهل الجنة ليغدون في حلة ويروحون في أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عز وجل**» قال وروى جعفر بن جسر بن فرقد عن أبيه مثله .

وذكر أبو نعيم أيضا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال : «**إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول لهم : إن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى داود عيله السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ، ثم توضع مائدة الخلد**» قالوا : يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال : «**زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ، ثم يسقون ، ثم يكسون فيقولون: لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجدا فيقال لهم : لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء**» [(٢)] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي ، حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي قال : حدثني أبو إلياس قال : حدثني محمد بن علي بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ .

وقال أبو نعيم ، حدثنا محمد بن علي بن حبيش ، حدثنا إبراهيم بن شريك ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا المعافى بن عمران – وكان من خيار الناس – قال : حدثنا إدريس بن سنان ، عن وهب بن منبه ، عن محمد بن علي قال إدريس ، ثم لقيت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة فحدثني قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن في الجنة شجرة يقال لها : طوبى لو سُخِّرَ الجواد الراكب أن يسير في ظلها لسار فيها مائة عام ورقها برود خضر وزهرها رياط صفر وأفنانها سندس وإستبرق وثمرها حلل وصمغها زنجبيل وعسل وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر وترابها مسك وحشيشها زعفران ، مونع والألنجوج يؤججان من غير وقود ، ويتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق . وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدّثٌ يجمعهم فبينا هم يوما يتحدثون في ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجبًا جبلت من الياقوت ، ثم**

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (ص ٧٠)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣١٤-٣١٥)، حديث (٢٠٨٤)، والضياء في المختارة (٦/ ٢٧٢)، حديث (٢٢٩١)، وهو حديث حسن، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٦١) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٩٧)، وهو ضعيف جدًّا، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٤٠) .

نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنا وبرها خز أحمر ومَرْعزي أبيض مختلطان، لم ينظر الناظرون إلى مثلها عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت مفصصة باللؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الأحمر ملبسة بالعبقري والأرجوان. فأناخوا إليهم تلك النجائب، ثم قالوا لهم: إن ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه وينظر إليكم وتحيّونه ويحييكم ويكلمكم وتكلمونه ويزيدكم من سعته وفضله إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم فيتحول كل رجل منهم على راحلته، ثم انطلقوا صفا واحدا معتدلا لا يفوق منه شيء شيئا ولا يقرب أذن الناقة أذن صاحبتها ولا بركة ناقة بركة صاحبتها ولا يمرون بشجرة من أشجار الجنة إلا أتحفتهم بثمرها وزحلت لهم عن طريقهم كراهية أن ينثلم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه فلما دفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم في عظمته العظيمة فقالوا: ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإكرام فقال لهم ربهم تبارك وتعالى: إني السلام ومني السلام ولي حق الجلال والإكرام مرحبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي وراعوا عهدي وخافوني بالغيب وكانوا مني على كل حال مشفقين قالوا: وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك فائذن لنا بالسجود لك، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى: إني قد وضعت عنكم مؤنة العباد وأرحت لكم أبدانكم فلطالما ما أتعبتم لي الأبدان وأعنيتم لي الوجوه فالآن أفضيتم إلى روحي ورحمتي وكرامتي فاسألوني ما شئتم وتمنوا علي أعطكم أمانيكم، فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتي وكرامتي وطولي وجلالي وعلو مكاني وعظمة شأني فما يزالون في الأماني والعطايا والمواهب حتى إن المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها، فقال لهم ربهم عز وجل: لقد قصرتم في أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم، فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم»[1] ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، وحسبه أن يكون من كلام محمد بن علي فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء فجعله من كلام النبي عليه الصلاة والسلام. وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عدي، وقال الدار قطني: متروك، وأما أبو إلياس المتابع له، فلا يُدرى من هو. وأما القاسم بن يزيد الموصلي الراوي عنه فمجهول أيضا ومثل هذا لا يصح رفعه والله أعلم. وقال الضحاك في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] قال: على النجائب عليها الرِّحال.



(١) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٤١١)، وهو موضوع، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٤٢).

الباب الثاني والستون
في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط. وقال بقية بن الوليد: حدثنا بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة قال: (إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا) (١).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني أزهر بن مروان، حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيباني، عن عبد الرحمن بن بديل، عن أبيه، عن صفي اليماني قال: سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: (إنهم يفدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال تعالى: أطعموا عبادي وخلقي وجيراني ووفدي فيطعموا، ثم يقول: اسقوهم. قال: فيأتون بآنية من ألوان شتى مجتمعة فيشربون منها، ثم يقول: عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا فكّهوهم فتجيء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاءوا، ثم يقول: عبادي وخلقي وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا، اكسوهم، فتجيء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر وكل لون لم تنبت إلا الحلل فتنشر عليهم حللا وقمصا، ثم يقول: عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا، طَيِّبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر، ثم يقول عبادي وجيراني وخلقي ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيِّبُوا لأتجلين لهم حتى ينظروا إلي، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نَضِرَت وجوههم، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم فتقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها؟ فيقولون: ذلك أن الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا).

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا إسماعيل بن عياش قال: حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شُفي بن ماتع الأصبحي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله، فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثم**

(١) تقدم تخريجه.

يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم، وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رءوسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك يا عبد الله: أما لك فينا من حاجة؟ فيقول: ما أنت؟ ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك فيقول: ما كنت علمت بمكانك فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله تعالى قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة :١٧] فيقول: بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم».

فصل

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سببا للرحمة والحياة في هذه الدار ويجعله سببا لحياة الخلق في قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحا مطرا متداركا من تحت العرش فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تَطِشُّ عليهم وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا ويثير لهم سحابا في الجنة يمطرهم ما شاءوا من طيب وغيره وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحابا يمطر عليهم عذابا إلى عذابهم كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحابا أمطر عليهم عذابا أهلكهم، فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب.

الباب الثالث والستون

في ذكر مُلكِ الجنة وأن أهلها كلّهم ملوك فيها

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان :٢٠] قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، قال: عظيما، وقال: استئذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن، وقال كعب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان :٢٠] قال: يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة وقال بعضهم: الخدم ولا تدخل عليهم الملائكة إلا بإذن.

وقال الحكم بن أبان: عن عكرمة، عن ابن عباس أنه ذكر مراتب أهل الجنة، ثم تلا ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان :٢٠].

وقال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول في قوله عز وجل ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان :٢٠] قال: الملك الكبير، أن رسول رب العزة يأتيه بالتحفة واللطف فلا

يصل إليه حتى يستأذن عليه فيقول للحاجب: **«استاذن على وليّ الله، فإني لست أصل إليه»** فيعلِمُ ذلك الحاجب حاجبا آخر وحاجبا بعد حاجب ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا صالح بن مالك، حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك يرفعه: **«إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم»**[1].

حدثنا محمد بن عباد بن موسى، أنبأنا زيد بن الحباب، عن أبي هلال الراسبي، أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدي، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن أبي هريرة قال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيُّ من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه»**[2].

وحدثني محمد بن عباد، حدثنا زيد بن الحباب، عن أبي هلال، حدثنا حميد بن هلال قال: **«ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه»**.

وحدثني هارون بن سفيان، أنبأنا محمد بن عمر، أنبأنا الفضل بن فضالة، عن زهرة بن معبد، عن أبي عبد الرحمن الحبلى قال: **«إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ»**[3].

حدثني هارون بن سفيان، حدثنا محمد بن عمر، أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه، عن أبي هريرة قال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة - وما فيهم دني - لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه»**[4].

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثني عبد الله بن زحر، عن محمد بن أبي أيوب المخزومي، عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: **«إنه ليُصَفُّ للرجل من أهل الجنة سِماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مرَّ مَشَوا وراءه»**[5].

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٤٢)، حديث (٧٦٧٤)، وابن المبارك في الزهد (ص ٥٣٦)، حديث (١٥٣٠)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٨٨)، و الضعيفة (٥٣٠٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢١١)، وهو ضعيف موقوف، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٨٩).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٢٨-١٢٩)، حديث (٤٢٧).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٢٥- ١٢٦)، حديث (٤١٤)، وهو ضعيف موقوف، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٨٩).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٢٦)، حديث (٤١٥).

وقال أبو خيثمة: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء**» (١).

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا بقية بن الوليد حدثني أرطأة بن المنذر، قال: سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له: أبو الحجاج قال: جلست إلى أبي أمامة فقال: «**إن المؤمن يكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سِماطان من الخدم، وعند طرف السِّماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب، فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه: ملك يستأذن ويقول للذي يليه: ملك يستأذنه حتى يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن: ائذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه: ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم، ثم ينصرف**» (٢).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسن، حدثنا قبيصة، حدثنا سليمان العنبري، عن الضحاك بن مزاحم قال: «**بينا ولي الله في منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل فقال للآذن استأذن لرسول الله على ولي الله فيدخل الآذن فيقول له: يا ولي الله هذا رسول الله يستأذن عليك، قال: ائذن له فيأذن له فيدخل على ولي الله فيضع ما بين يديه تحفة، فيقول: يا ولي الله إن ربك يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تأكل من هذه قال: فيشبهه بطعام أَكَلَهُ أيضا فيقول: إنما أكلتُ هذا الآن، فيقول: إن ربك يأمرك أن تأكل منها فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة في الجنة قال: فذلك قوله تعالى ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾** [البقرة: ٢٥]».

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «**سأل موسى عليه السلام ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت ربي**» (٣) وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه.

وقال البزار في مسنده: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا المغيرة بن سلمة، حدثنا وهيب

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٦٨)، حديث (٢٣٧)، والطبري في تفسيره (١٣/ ١٤٢).
(٣) تقدم تخريجه.

عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: «خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وغرسها بيده وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلتها الملائكة فقالت: طوبى لك منزل الملوك» [1] هكذا رواه وهيب عن الجريري موقوفا ورواه عدي بن الفضل عن الجريري فرفعه.

قال البزار: ولا نعلم أحدا رفعه إلا عدي بن الفضل بهذا الاسناد وعدي بن الفضل ليس بالحافظ وهو شيخ بصري.

قلت: عدي بن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم والحديث صحيح موقوف والله أعلم. وقد تقدم ذكر التيجان على رءوسهم وإنما يلبسها الملوك.

الباب الرابع والستون

في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخَلَد وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] [2] وفي لفظ آخر فيهما «**يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذُخرًا بَلْهَ ما أطلعتكم عليه**»، ثم قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ الآية [3].

وفي بعض طرق البخاري قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] [4]. وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٤٤)، ومسلم، حديث (٢٨٢٤).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٤٧٨٠)، ومسلم، حديث (٢٨٢٤).
(٤) أخرجه البخاري، حديث (٤٧٧٩).

شهدت مع النبي ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: **«فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»**، ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب»** (٢) وقد تقدم حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: **«إلا مُشَمِّر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مُطَّرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحُللٌ كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحَبْرة ونعمة ومحلةٍ عالية بهية»** (٣) ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها لكفاها شرفا وفضلا كما في سنن أبي داود من حديث سليمان بن معاذ عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة»** (٤) وفي معجم الطبراني من حديث بقية، عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله جنة عدن، خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون»** (٥).

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»** (٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، حدثنا همام، عن أبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض»** (٧)، وهذا الإسناد على شرط الصحيحين.

وقال الترمذي: حدثنا سويد بن نصر، حدثنا ابن المبارك، أنبأنا ابن لهيعة، عن يزيد ابن أبي حبيب، عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده عن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٢٥).
(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري، حديث (٣٢٥٣)، وهذا الجزء تفرد به البخاري وليس هو في مسلم.
(٣) تقدم تخريجه. (٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٨٤)، حديث (١١٤٣٩)، والأوسط (١/ ٢٢٤)، حديث (٧٣٨)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٤٧٧١)، ضعيف الترغيب (٢٢٤٧).
(٦) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٥٠).
(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٥)، حديث (٨١٥٢)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٠٤)، حديث (٦٣١٦)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٢٨)، حديث (٦١٥٨)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥١٥٣).

قال: «**لو أن يُقِلُّ ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطّلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب**» [1] قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال: عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ.

قلت: وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعني ابن الحارث، أن سليمان بن حميد حدثه أن عامر بن سعد بن أبي وقاص حدّثه قال سليمان: لا أعلم إلا أنه حدثني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض**».

وفي الباب عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص.

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرا لأحبابه وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمَها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهّرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها، فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن ملاطها، فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها، فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكن من رقائق الحُلَل، وإن سألت عن أنهارها، فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم، فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطّرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظِلّها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجدُّ السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي

(١) تقدم تخريجه.

عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درَّة مجوفة طولها ستون ميلا من جملة الخيام، وإن سألت عن علاليها وجواسقها، فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها، فانظر إلى الكوكب الطالع، أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار، وإن سألت عن لباس أهلها، فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مُزَررة بأزرار الذهب فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاثة وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما سماع خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان، وإن سألت عن حُليّهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس في محاسن وجهها إذا برزت ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حِبَّها فقل ما تشاء في تقابل النيرين، وإذا حادَثَته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدِّها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُلَلُها، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحا، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسبيحا ولتزخرف لها ما بين الخافقين ولأغمضت عن غيرها كلَّ عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمسُ ضوءَ النجوم، ولآمَنَ مَنْ على وجهها بالله الحي القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدينا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنا وجمالا، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يملُّ طيب وصالها، قد قصرت طرفَها على زوجها، فلا تطمحُ لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته وإن أمرها بطاعته

أطاعته وإن غاب عنها حفظته، فهو منها في غاية الأماني والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا وكلّما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورا.

وإن سألت عن السنّ فأتراب في أعدل سنّ الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر؟، وإن سألت عن الحدَقِ فأحسنُ سواد في أصفى بياض، في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، نهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهنّ الخيرات الحسان، اللاتي جُمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس قرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُبُ المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها وإذا انتقلت من قصر إلى قصر، قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة! وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة!

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرِّز
إن طال لم يملل وإن هي حدثت ودَّ المحدَّثُ أنها لم تُوجِزِ

وإن غنت فيالذة الأبصار والأسماع! وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قبّلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر.

كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب، وأنس، وأبي هريرة، وأبي موسى، وأبي سعيد: فاستمع يوم ينادي المنادي: **«يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيَّ على زيارته فيقولون: سمعا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحدا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة وجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون فيهم دني - على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم**

مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رءوسهم، فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترُد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعونه منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارضَ عنا فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غُدراتِهِ في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه»، فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة ويا ذلة الرَّاجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥].

فحي على جنات عدن، فإنها ... منازلك الأُولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

الباب الخامس والستون

في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرا وأعلاها خطرا وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة والفرقة وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون ولمثلها فليعمل العاملون إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن

حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين، وأعداء الرسول وحزبه وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يُظَنُّ بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل ما هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، فيالله العجب! كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام، وفروخ الجهمية، والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران، وبما يستحيل عليه، ويجب له وأشدّ تنزيها له منه؟

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا، لأنكره عليه، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يُرِيهُ كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞﴾ [هود: ٤٦-٤٧].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولم يقل لا تراني ولا إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى مرئيٌّ ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟.

الوجه الخامس: أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف :١٤٣] وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه فكيف يمتنع أن يتجلى، لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه و تعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلّمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحدا أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى عليه السلام النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبيُّ الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله، كما لم يثبت الجبل لتجليه. وأما قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف :١٤٣]، فإنما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد، فكيف إذا أطلقت، قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة :٩٥] مع قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف :٧٧].

فصل

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة :٢٢٣] وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب :٤٤] وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف :١١٠] وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة :٢٤٩].

وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى، والمانع اقتضى المعاينة والرؤية، ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة :٧٧]، فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة.

أحدها: أن لا يراه إلا المؤمنون.

والثاني: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في

تكليمه لهم، ولشيخنا في ذلك مصنف مفرد وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها، وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق :٦] إن عاد الضمير على العمل، فهو رؤيته في الكتاب مسطورا مثبتا وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى، فهو لقاؤه الذي وَعَدَ به.

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس :٢٥-٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن فالصحابة من بعده كما روى مسلم في صحيحيه من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس :٢٦] قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد، يا أهل الجنة: إن لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ويبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة**» (١).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مسلم بن سالم البلخي، عن نوح بن أبي مريم عن ثابت، عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس :٢٦] قال: «**للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى**» (٢).

وقال محمد بن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا إبراهيم بن المختار، عن ابن جريج، عن عطاء، عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ: في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله**» (٣)، قلت: عطاء هذا هو الخراساني وليس بعطاء بن أبي رباح. قال ابن جرير: وحدثنا ابن عبد الرحيم، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سمعت زهيرا بن محمد قال: حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدثوا، قال يعقوب ابن سفيان: حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا زهير بن محمد، قال:

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٨١)، والترمذي، حديث (٢٥٥٢)، وابن ماجه، حديث (١٨٧).
(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٢٦)، والخطيب في تاريخه (٩/ ١٤٠).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٧)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٥٧)، حديث (٧٨١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٦٢)، حديث (٤٨٤).

حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث، عن أُبيّ كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «**الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل**»(١).

وقال أسد السنة: حدثنا قيس بن الربيع، عن أبان، عن أبي تميمة الهجيمي، أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يبعث الله عز وجل يوم القيامة مناديًا ينادي أهل الجنة بصوت يُسْمِعُ أولهم وآخرهم، إن الله وعدكم الحسنى، والحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل**»(٢)

وقال ابن وهب بن منبه أخبرني شبيب عن أبان عن أبي تميمة الهجيمى أنه سمع أبا موسى الأشعرى يحدث عن رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة مناديا ينادي: يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم: إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، والحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن**»(٣).

وأما الصحابة، فقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن - هو ابن مهدي- حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: «**النظر إلى وجه الله الكريم**»(٤) وبهذا الإسناد، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن نذير، عن حذيفة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى(٥).

وحدثنا علي بن عيسى، حدثنا شبابة، حدثنا أبو بكر الهذلي، قال: سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث، عن أبي موسى الأشعري، قال: «**إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة مناديا ينادي هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون: نعم، فيقول**: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] النظر إلى وجه الرحمن عز وجل»(٦).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٧)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٥٦)، حديث (٧٨٠).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٥)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٥٧)، حديث (٧٨٢).
(٣) انظر الحديث السابق.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٦)، حديث (٤٧٤)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٩٣)، حديث (١٤٢٤)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٢٥)، وهو صحيح، وانظر ظلال الجنة.
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٥) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٦)، حديث (٤٧٣)، وإسحاق بن راهويه (٣/ ٧٩٣)، حديث (١٤٢٤) وهو صحيح، وانظر ظلال الجنة.
(٦) تقدم تخريجه.

وقال عبد الله بن المبارك: عن أبي بكر الهذلي، أنبأنا أبو تميمة، قال: سمعت أبا موسى الاشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول: «**إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول: يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحليَّ والحلل والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا، ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئا مما وُعِدوا فيقولون: نعم، فيقول: قد بقي لكم شيء؛ إن الله عز وجل يقول:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس :٢٦] **ألا إن** الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى» (١).

وفي تفسير أسباط بن نصر، عن إسماعيل السُّدي، عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس :٢٦] قال: «**أما الحسنى: فالجنة وأما الزيادة: فالنظر إلى وجه الله تعالى، وأما القتر: فالسواد**» (٢).

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر بن سعد، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي، والضحاك بن مزاحم، وعبد الرحمن بن سابط، وأبو إسحاق السبيعي، وقتادة، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر: «**الحسنى: الجنة والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى**».

وقال غير واحد من السلف في الآية: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس :٢٦] بعد النظر إليه، والأسانيد عنهم بذلك صحيحة، ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دلَّ على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها، ومن فسر الزيادة: بالمغفرة والرضوان، فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى.

فصل

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين :١٤-١٥] ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكر الطبري وغيره عن المزني، قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٥٩)، حديث (٧٨٨).

لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين :١٥] فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة[1] .

وقال الحاكم: حدثنا الأصم، أنبأنا الربيع بن سليمان قال: «حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين :١٥] فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضي».

قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين الله، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل[2] . ورواه الطبراني في شرح السنة من طريق الأصم أيضا.

وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم، هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد بن عبد الله: ليس يراه إلا المؤمنون، قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية، فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين :١٥] ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل.

فصل

والدليل الخامس: قوله عز وجل: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق :٣٥] ، قال الطبراني: قال علي بن أبي طالب[3] وأنس بن مالك[4] : هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين: زيد بن وهب وغيره.

فصل

الدليل السادس: قوله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام :١٠٣]

والاستدلال بهذا أعجب، فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله، فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدلّ منها على

(١) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٦٨)، حديث (٨٠٩).
(٢) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥٠٥)، حديث (٨٨٣)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٣١).
(٣) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٩٣)، حديث (٨٥٢).
(٤) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٦٩)، حديث (٨١٣).

امتناعها، فإن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح به إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال، فلا يمدح وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرا وجوديا كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللُّغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره ونفي الأكل والشرب المتضمن لكمال صمديته وغناه ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصِّرف لا يُرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذًا، المعنى أنه يُرى ولا يُدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس:٦١] أنه يعلم كل شيء وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨] أنه كامل القدرة وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] أنه كامل العدل وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] أنه كامل القيومية. **فقوله**: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يُدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢] فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] إنا لمرئيون، فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كَلَّآ﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه:٧٧] فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] لا تحيط به الأبصار [1]، قال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار [2]، وقال عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٩٩).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٩٩).

به من عظمته وبصره يحيط بهم [١]، فذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم، بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به، وهو بكل شيء محيط وهكذا يُسْمِع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه.

ونظير هذا استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى :١١]، وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كَثُرت أوصافه ونعوته فات أمثاله وبَعُدَ عن مشابهة أضرابه، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى :١١] من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام :١٠٣] من أدل شيء على أنه يُرى ولا يُدرك وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد :٤] من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه، فإنه لم يخلقهم في ذاته بل خلقهم خارجًا عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره ويحيط بهم علما وقدرة وإرادة وسمعا وبصرا، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا وتأمل حسن هذه المقابلة لفظا ومعنى بَيْنَ قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام :١٠٣]، فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه، فهو العظيم في لطفه اللطيف في عظمته، العالي في قربه القريب في علوه، الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

فصل

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣] وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحا، أن الله سبحانه يُرى عيانا بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلا، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٩٩).

والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نصٍّ تضمنه القرآن والسنة كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص وهذا الذي أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بإلي خلاف حقيقته، وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاتهِ وتعديه بنفسه، فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣] وإن عدى بـ«في» فمعناه: التفكر والاعتبار كقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وإن عدي بـ«إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩] فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟!.

قال يزيد بن هارون: أنبأنا مبارك، عن الحسن، قال: نَظَرَتْ إلى ربها تبارك وتعالى فَنَضِرَتْ بنوره [(١)] فاسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية.

قال ابن مردويه في تفسيره: حدثنا إبراهيم عن محمد، حدثنا صالح بن أحمد، حدثنا يزيد بن الهيثم، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا سفيان، عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] قال: من البهاء والحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٣] قال: في وجه الله عز جل [(٢)].

وقال أبو صالح: عن ابن عباس ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٣] قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل [(٣)]. قال عكرمة: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] قال: من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٣] قال: تنظر إلى ربها نظرًا [(٤)]، ثم حكى عن ابن عباس مثله وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

---

(١) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٦٤)، حديث (٨٠٠).

(٢) ذكره الديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٤٠٩)، حديث (٧١٩٠) وهو ضعيف جدًا، وانظر تخريج الطحاوية للألباني (ص ٢٠٥).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٦٢)، حديث (٤٨٥)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٦٤)، حديث (٧٩٩)، والبيهقي في الاعتقاد (١/ ١٢٥).

(٤) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٦٥)، حديث (٨٠٣)، والطبري في تفسيره (٢٩/ ١٩٢).

فصل

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجرير بن عبد الله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الاشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص - وحديثه موقوف - وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد - وحديثه موقوف - ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مُسمى. فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتَلَقَّها بالقبول والتسليم، وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها، فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

فصل

فأما حديث أبي بكر الصديق رضى الله عنه، فقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: حدثني النضر بن شميل المازني، قال: حدثني أبو نعامة قال: حدثني أبو هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوي عن حذيفة، عن أبي بكر الصديق قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك الرسول ﷺ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه؟ صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط، قال: فسأله فقال: نعم عُرِض علي ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم والعرق يكاد يلجمهم فقالوا: «يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك، قال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] قال: فينطلقون إلى نوح عليه

الصلاة والسلام، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدعْ على الأرض من الكافرين ديارا، فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام، فإن الله اتخذه خليلا فينطلقون إلى إبراهيم فيقول: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى عليه السلام، فإن الله عز وجل كلمه تكليما، فيقول موسى عليه السلام: ليس ذلك عندي ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل قال: فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل: إئذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجدا قدر جمعة ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل يُسمع واشفع تشفع قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل يُسمع واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط فيقول: أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء، قال: فيجيء النبي ومعه العصابة والنبي ومعه الخمسة والستة والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال فيقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا، قال: فيدخلون الجنة، قال: ثم يقول الله عز وجل: انظروا في أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيرًا قط؟ قال فيجدون في النار رجلا، فيقولون له: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي، ثم يخرجون من النار رجلا يقولون له: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا غير أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني في النار، ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح فو الله لا يقدر عليَّ رب العالمين أبدا، فقال الله عز وجل له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من مخافَتِك، قال: فيقول الله عز وجل: انظر إلى ملك أعظم ملك، فإن لك مثله وعشرة أمثاله قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ قال: وذلك الذي ضحكت منه من الضحى» (١).



(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤)، حديث (١٥)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٥٦)، حديث (٥٦)، والبزار في مسنده (١/ ١٤٩)، حديث (٧٦)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٩٣)، حديث (٦٤٧٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٢٠)، حديث (١٥٣٩)، وهو حسن، وانظر صحيح الترغيب (٣٦٤١).

فصل

وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟»، قالوا: لا قال: «فإنكم ترونه كذلك، ويجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عِظَمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازى حتى ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجُوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيتَ إن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره. فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أي رب فيدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه الله تعالى إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسال غير ما أعطيت؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!

فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمن فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكّره فيقول: تمنّ كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل: ذلك لك ومثله معه».

قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة قال: إن الله عز وجل قال لذلك الرجل: «ومثله معه»، قال أبو سعيد: «وعشرة أمثاله معه» يا أبا هريرة. قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: «ذلك لك ومثله معه». قال أبو سعيد: أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله»، قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة [(١)].

وفي الصحيحين أيضا، عن أبي سعيد الخدري أن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبّر أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله فيقال: كذبتم. ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تَرِدُون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تَرِدُون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: فماذا تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول

(١) أخرجه البخاري، حديث (٨٠٦)، ومسلم، حديث (١٨٢).

في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم».

قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحَسَكٌ تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناج مسلَّم، ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة في استقصاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم بقى نذر فيها ممن أمرتنا أحد فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا قط».

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأُخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة: فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عَمِلُوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا» [(١)].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٤٠)، ومسلم، حديث (١٨٣).

فصل

وأما حديث جرير بن عبد الله ففي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال: كنا جلوسا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ قوله**: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[ق: ٣٩] »[1] رواه عن إسماعيل بن أبي خالد عبد الله بن إدريس الأودي ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وجرير بن عبد الحميد وعَبيدة بن حميد وهشيم بن بشير وعلي بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطفاوي ويزيد بن هارون وإسماعيل بن أبي خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن يحيى وورقاء بن عمرو وعمار بن زريق وأبو الأغر سعيد بن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبي بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكري وحسين بن واقد ومعتمر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم بن سفيان ومندل بن علي وأخوه حبان بن علي وعمرو بن مَرْثد وعبد الغفار بن القاسم و محمد بن بشير الجريري ومالك بن مِغول وعصام بن النعمان وعلي بن القاسم الكندي وعبيدة بن الأسود الهمداني وعبد الجبار بن العباس والمعلى بن هلال ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة والصبَّاح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد بن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفي وعثّام بن علي وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمي ومحمد بن يزيد الواسطي وعمرو بن هشام ومحمد بن مروان ويعلى بن الحارث المحاربي وشعيب بن راشد والحسن بن دينار وسلاّم بن أبي مطيع وداود بن الزبرقان وحماد بن أبي حنيفة ويعقوب بن حبيب وحكام بن سلم وأبو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة النعمان بن ثابت وعمرو بن شمر الجعفي وعمرو بن عبد الغفار الفقهمي وسيف بن هارون البرجمي أخو سنان وعابد بن حبيب ومالك بن سُعير بن الخمس ويزيد بن عطاء مولى ابن عوانة وخالد بن يزيد العصري وعبيد الله بن موسى وخالد بن عبد الله الطحان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمر بن سليمان الرَّقي ومرّجى بن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن

(١) أخرجه البخاري، حديث (٥٥٤)، ومسلم، حديث (٦٣٣).

هاشم السمسار وإبراهيم بن طُهمان وخارجة بن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروخ وزيد بن أبي أنيسة وجوده فقال: «**ستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر**» وأبو شهاب الحناط، وقال: «**سترون ربكم عيانا**» وجارية بن هرم وعاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وأبو جعفر الرازي والحسن بن أبي جعفر والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرة العنبري ويزيد بن عبد العزيز وعلي بن صالح بن حي وزفر بن الهذيل والقاسم بن معن.

تابع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم: بيان بن بشر ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن أبي حازم عن جرير فكلُّ هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبي خالد وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس وشهد قيس بن أبي حازم على جرير بن عبد الله وشهد جرير بن عبد الله على رسول الله ﷺ فكأنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقوله ويبلغه لأمته ولا شيء أقرَّ لأعينهم منه وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها و الله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون.

فصل

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله عز وجل: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦] وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق.

فصل

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبرني: حدثنا محمد بن النضر الأزدي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قالوا: حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني، حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن مسروق بن الأجدع، حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما**

أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، قال: وينزل الله عز وجل في ظُلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا؟ أليس ذلك عدلا من ربكم؟ قالوا: بلى، فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا، قال: فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير، ويبقى محمد ﷺ وأمته، فيأتيهم الرب عز وجل فيقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلها ما رأيناه بعد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون يكشف عن ساقه فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجدا ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفئ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه فمشى، وإذا طفئ قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمرَّ في النار فيبقى أثره كحد السيف دَحْض مَزِلَّة. قال: ويقول: مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يَمُرُّ كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرحل حتى يمر الذي أعطي نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها، ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها.

قال: فينطلق به إلى غدير باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول: رب أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أتسال الجنة وقد نجيتك من النار؟! فيقول: يا رب اجعل بيني وبينها حجابا لا أسمع حسيسها قال: فيدخل الجنة قال: ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه حلم، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول: لعلك إن أعطيتكه تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك

غيره وأي منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزله قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول: رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله عز وجل: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره وأي منزل يكون أحسن منه قال: فيعطاه فينزله قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول: رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره فيقول: لا وعزتك لا أسال غيره وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، ثم يسكت فيقول الله عز وجل: مالك لا تسأل؟ فيقول: رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك فيقول الله عز وجل: ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أتستهزئ بي وأنت رب العزة فيضحك الرب عز وجل من قوله» قال: فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارا كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت.

فقال: إني سمعت رسول الله يحدث بهذا الحديث مرارا كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه قال: فيقول رب العزة عز وجل: «**لا ولكني على ذلك قادر سل فيقول: ألحقني بالناس فيقول: الحق بالناس قال: فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة، فيخر ساجدا فيقال له: ارفع رأسك مالك؟ فيقول: رأيت ربي أو تراءى لي ربي فيقال له: إنما هو منزل من منازلك قال، ثم يلقى فيها رجلا فيتهيأ للسجود فيقال له: مه مالك؟ فيقول رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له: إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يديّ ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه قال: فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال: وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة فيها سبعون بابا كلّ يفضي إلى جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حُلَّة يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته، وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفا، فتقول له: والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفا، فيقال له: أشرف. قال: فيشرف فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره**».

قال: فقال عمر: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب، عن أدنى أهل الجنة منزلا فكيف أعلاهم؟ قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله عز

وجل جعل دارا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة :١٧] قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه ما تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واهًا لهذا الريح، هذا رجل من أهل عليين، قد خرج يسير في ملكه، فقال: ويحك يا كعب: هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها فقال كعب: والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول: رب نفسي نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو [١].

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني في كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ، قال: حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمر، حدثنا أبو طيبة، عن كرز بن وبرة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، ورواه من طريق عبد السلام بن حرب، حدثنا الدالاني، حدثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة به، ورواه من طريق زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة به، ورواه من طريق أحمد بن أبي طيبة، عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند، عن أبي عبيدة.

فصل

وأما حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال يعقوب بن سفيان: حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: **«يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون قال، ثم يقول الله تبارك وتعالى اكشفوا حجابا فيكشف حجاب، ثم حجاب، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك»** وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق :٣٥][٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٧)، حديث (٩٧٦٣)، والشاشي في مسنده (١/ ٤٠٦)، حديث (٤١٠)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٥٩١)، وهو في مسلم بنحوه باختصار عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

فصل

وأما حديث أبي موسى ففي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ قال: **«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»** (١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى وعثمان، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجمع الله الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا لله أن يصدع بين خلقه مثَّلَ لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا عز وجل، فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم. إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول: أبشروا أيها المسلمون، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديا أو نصرانيا مكانه»** (٢).

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة، عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **«يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة»** (٣).

وذكر الدار قطني من حديث أبان بن أبي عياش، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **«يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل»** (٤).

فصل

وأما حديث عدي بن حاتم ففي صحيح البخاري قال: **«بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أتى إليه** رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: **«يا عدي هل رأيت الحيرة؟»**، قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها قال: **«فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله»**، قلت: فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَّارُ طيءٍ الذين سَعَّروا البلاد؟! **«ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى»**، قلت: كسرى بن هرمز؟، قال: **«كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو**

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٧)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ١٩١)، حديث (٥٤٠).
(٣) انظر الحديث السابق.
(٤) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٥٧)، حديث (٧٨٢)، والطبري في تفسيره (١١/ ١٠٥).

فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقول ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم» قال عدي بن حاتم: سمعت النبي ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ: «يخرج ملء كفه» [1].

فصل

وأما حديث أنس بن مالك ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظ فيلهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله عز وجل قال: فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليما وأعطاه التوراة فيأتون موسى، فيقول: لستُ هُنَاكُم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

قال: قال رسول الله ﷺ: «فيأتون فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي فأشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول ارفع رأسك يا محمد قل يُسمع وسل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة» قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال: «فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي: وجب عليه الخلود» [2].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٣٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٤٧٦)، ومسلم، حديث (١٩٣).

وذكر ابن خزيمة، عن ابن عبد الحكم، عن أبيه وشعيب بن الليث، عن الليث، حدثنا معمر بن سليمان، عن حميد، عن أنس قال: **«يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا»**. فذكر الحديث إلى أن قال: **«فينطلقون إلى محمد فأقول أنا لها، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي على عرشه فأخر ساجدا»** وذكر الحديث. وقال أبو عوانة وابن أبي عروبة وهمام وغيرهم عن أنس في هذا الحديث: **«فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت ساجدا»** وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس: **«فآتي ربي وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجدا»** وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه: **«فأستفتح، فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجدا»**.

ورؤية النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتا يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة وفي حديث أبي هريرة: **«أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا»** [1].

وقال الدار قطني: حدثنا محمد بن إبراهيم النسائي العدل بمصر، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القاضي، حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد حدثنا الخليل، بن عمر الأشج، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: **«النظر إلى وجه الله عز وجل»**.

حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصبهاني، ومحمد بن جعفر بن أحمد المطيري، ومحمد بن علي بن إسماعيل الأيلي قالوا: حدثنا عبد الله بن روح المدائني، حدثنا سلام بن سليمان، حدثنا ورقاء، وإسرائيل، وشعبة، وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث عن عثمان بن أبي حميد، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله يقول: **«أتاني جبريل وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها، فيها كالنكتة السوداء فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ فقال: هذه الجمعة، فقلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير كثير، قلت: وما يكون لنا فيها قال: يكون عيدا لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى**

---

(١) لم أجده هكذا من حديث أبي هريرة، وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٤٤)، حديث (١٢٤٩١)، والدارمي في سننه (١/ ٤١)، حديث (٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٨١)، حديث (١٤٨٩) من حديث أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر، وآتي باب الجنة فآخذ بحلقها. فيقولون: من هذا؟ فأقول: أنا محمد. فيفتحون لي فأدخل فأجد الجبار مستقبلي فأسجد له...» الحديث. وهو صحيح، وانظر الصحيحة (١٥٧١).

تبعا لك، قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له بقسم إلا ادُّخرَ له في آخرته ما هو أعظم منه، قلت: وما هذه النكتة التي هي فيها؟ قال: هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد، قلت: وما ذاك يا جبريل، قال: إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح فيه كثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين عز وجل على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي وتحفُّ الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلى لهم الله عز وجل فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة، ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء أو زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها، وأزواجها وخدّامها وثمارها متدلية فيها فليسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة» [١].

هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده فرواه عن إبراهيم بن محمد قال حدثني موسى بن عبيدة، قال: حدثني أبو الأزهر عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكره بنحوه وقد تقدم لفظه، ثم قال الشافعي أنبأنا إبراهيم قال: حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه أشياء ورواه محمد بن إسحاق قال: حدثني ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به، وقال فيه: **«ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم»** وذكر باقي الحديث. ورواه عمرو بن أبي قيس، عن أبي ظبية، عن عاصم، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس وجوّده وفيه: **«فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه، ثم حف الكرسي بمنابر من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها، ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب، قال: ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه، فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي سلوني فيسألونه الرضا، قال: رضاي أنزلكم داري وأنالكم كرامتي، سلوني فيسألونه الرضا، قال: فيشهدهم بالرضاء، ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم»**. وذكر الحديث.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٧٧)، حديث (٥٥١٧)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣١٤)، حديث (٢٠٨٤)، والضياء في المختارة (٦/ ٢٧٢)، حديث (٢٢٩١)، وهو حسن صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٦٩٤).

ورواه علي بن حرب: حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا عنبسة بن سعيد، عن عثمان بن عميرة. ورواه الحسن بن عرفة، حدثنا عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان عن أنس وقال فيه: «**ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم**».

ورواه الدارقطني من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال: «**سمعته يقول: بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: «أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قال: قلت: يا جبريل ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذه الساعة، وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد. قال: قلت: يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن الله اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادي وقد حفَّ الكرسي بمنابر من ذهب مكلله بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور، ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب، عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيه جلوسا بعث الله عليهم ريحا يقال لها: المثيرة فثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين تضرب جمائمهم إلى سررهم على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل فينادي رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة فيقول: يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري، فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هبوا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفعوا رءوسكم، فإنما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء سلوني ما شئتم، فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي، فهذا محل كرامتي فسلوني ما شئتم فيقولون: ربنا وأي خير لم تفعله بنا؟ ألستَ أعنتنا على سكرات الموت وآنست منا الوحشة في ظلمة القبور وآمنت روعتنا عند النفخة في الصور؟ ألست أقلتَ عثراتِنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألست الذي أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك وتجليت لنا بنورك فأيُّ خير لم تفعله بنا؟ فيعود الله عز وجل فيناديهم بصوته فيقول: أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي فسلوني فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم وسترت عليكم القبيح من أموركم وأدنيت مني جواركم وأسمعتكم لذاذة منطقي وتجليت لكم بنوري، فهذا محل كرامتي فسلوني فيسألونه حتى تنتهي مسألتهم، ثم يقول الله عز وجل: سلوني فيسألونه حتى تنتهي**

رغبتهم، ثم يقول الله عز وجل سلوني فيقولون: رضينا ربنا وسلمنا فيريهم من مشهد فضله وكرامته، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويكون ذلك مقدار متفرقهم من الجمعة» قال أنس: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما مقدار متفرقهم؟ قال: **«كقدر الجمعة إلى الجمعة قال، ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى إلى العليين معهم الملائكة والنبيون، ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته»** قال أنس: سمعته من رسول الله وليس بيني وبينه أحد» (١).

ورواه الدار قطني أيضا، عن أبي بكر النيسابوري قال: أخبرني العباس بن الوليد بن مَزْيَد قال: أخبرني محمد بن شعيب قال: أخبرني عمر مولى عفرة عن أنس. ورواه محمد بن خالد بن خلي، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، حدثنا صفوان قال: قال أنس: قال رسول الله ﷺ. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الرحمن بن محمد، عن ليث، عن أبي عثمان، عن أنس. ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، عن زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن ليث، عن عثمان بن أبي حميد، عن. أنس ورواه الأسود بن عامر قال: ذكر لي عن شريك، عن أبي اليقظان عن أنس. ورواه ابن بطة في الإبانة من حديث الأعمش، عن أبي وائل عن حذيفة وسيأتي سياقه، وقد جمع ابن أبي داود طرقه.

فصل

وأما حديث بريدة بن الحصيب، فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي، حدنا بشير بن المهاجر، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»** (٢).

فصل

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حُدس، عن أبي رزين قال قلنا: يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال: **«نعم»**، قلت: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: **«أليس كلكم ينظر إلى**

---

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ٢٩٢).
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٥٦)، حديث (٤٦٩).

القمر ليلة البدر؟» قلنا: نعم. قال: «الله أكبر وأعظم» [١]. قال عبد الله: قال أبي: والصواب حُدُس.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة به، فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء.

ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل، وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف وهو لقيط بن عامر ويقال: لقيط بن صَبْرة، هكذا قال البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل: هما اثنان، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صَبْرة والصحيح الأول. وقال ابن عبد البر: من قال لقيط بن صَبْرة نَسَبَهُ إلى جده وهو لقيط بن عامر ابن صبرة.

فصل

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يسأل عن الورود فقال: (نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك قال: فينطلق بهم ويتبعونه ويُعطي كل إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نورا، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافق، ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحلُّ الشفاعة حتى يخرج من النار من قال: لا اله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها» [٢].

رواه مسلم في صحيحه وهذا الذي وقع في الحديث من قوله: **«على كذا وكذا»** قد جاء مفسرا في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين: **«نحن يوم القيامة على تلٍّ مشرفينَ على الخلائق»**.

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث (٤٧٣١)، وابن ماجه، حديث (١٨٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٨٣)، حديث (١٥١٥٥)، وهو حسن، وانظر صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه مسلم، حديث (١٩١) نحوه، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٨٣)، حديث (١٥١٥٥) من طريق روح به.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا رباح بن زيد قال: حدثني ابن جريج قال: اخبرني زياد بن سعد، أن أبا الزبير أخبره، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتجلى لنا الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجدًا فيقول: ارفعوا رءوسكم فليس هذا بيوم عبادة»**.

وقال الدار قطني: أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعاني قال: حدثني ابن جريج، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا»**.

وروى أبو قرة، عن مالك بن أنس، عن زياد بن سعد، حدثنا أبو الزبير، عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم»** فذكر الحديث وفيه: **«فيقول: أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم فيقول: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعلم إنه لا عدل له قال: فيتجلى لهم تبارك وتعالى فيخرون له سجدًا»**.

وقال ابن ماجة في سننه: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العباداني، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله عز وجل:** ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[يس :٥٨].

قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره عليهم في ديارهم»[(١)].

وقال حرب في مسائله: حدثنا يحيى بن أبي حزم، حدثنا يحيى بن محمد أبو عاصم العباداني فذكره. وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضا من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف فقال: يا أهل الجنة سلوني، قالوا: نسألك الرضا عنا، قال: رضائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني، قالوا: نسألك الزيادة، قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر، أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جوار من الحور العين وهن يقلن: نحن**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية، حديث (١٨٤)، وابن عدي في الكامل (٦/ ١٣)، وهو منكر، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٤٤)، ضعيف الجامع (٢٣٦٣).

الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحا يقال لها: المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم فيقول: مرحبا بالصادقين، مرحبا بالطائعين، قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا، ثم يقول أرجعوهم إلى القصور بالتحف فيرجعون» وقد أبصر بعضهم بعضا، فقال رسول الله ﷺ: «فذاك قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]» (١).

رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية قال: وقد مضى في هذا الكتاب، وفي كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر. وقال الدارقطني: أنبأنا الحسن بن إسماعيل، أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدة، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن ابن أبي ذئب، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة» (٢).

فصل

وأما حديث أبي أمامة فقال ابن وهب: أخبرني يونس بن يزيد، عن عطاء الخراساني، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن عمرو بن عبد الله الحضرمي، عن أبي أمامة قال: خطبنا رسول الله فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرناه فحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذره أمته وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم، فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله اثبتوا وأنه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف وإنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها، ثم يحييها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن بردا وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يوما: يوما كسنة ويوما كشهر

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٩)، حديث (٥٧٤٦)، وعزاه لأبي نعيم والبيهقي، وهو موضوع، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٤٤).
(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ٢١٦)، والخطيب في تاريخه (١٢/ ١٩).

ويوما كجمعة ويوما كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر، قالوا: فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: تقدرون كما تقدرون في الأيام الطوال» [١] .

ورواه الدار قطني، عن ابن صاعد، عن أحمد بن الفرح، عن ضمرة بن ربيعة، عن يحيى بن أبي عمرو به .

فصل

وأما حديث زيد بن ثابت فقال: الإمام أحمد: حدثنا أبوالمغيرة قال: حدثني أبوبكر قال: حدثني ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال: «قل حين تصبح: لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وإليك اللهم وما قلت من قول أونذرت من نذر أوحلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير، اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، أعوذ بك اللهم أن اظلِم أوأُظلم أواعتدي أويعتدى علي أو أكسب خطيئة محبطة أوذنبا لا تغفره اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك - وكفى بك شهيدا - أني أشهد أن لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب علي انك أنت التواب الرحيم» [٢] . رواه أبوداود في صحيحه .



(١) أخرجه ابن ماجه، حديث (٤٠٧٧)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٤٦)، حديث (٨٦٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٧١)، حديث (٣٩١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٠)، حديث (٨٦٢٠)، وهو صحيح دون قوله: «إنه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي، ثم يثني ف»، وانظر صحيح الجامع (٧٨٧٥)وضعيفه (٦٣٨٤) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٩١)، حديث (٢١٧١٠)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٨٩)، حديث (٨٤٦)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١١٣): «رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي الطبراني رجاله وثقوا، وفي بقية الأسانيد أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف» .

فصل

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها، فأنكروا ذلك فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قال: أما إني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: **«اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي وأسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»**[1] . وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما.

فصل

وأما حديث عائشة ففي صحيح الحاكم من حدي[illegible]ري عن عروة عنها قالت: قال: رسول الله ﷺ لجابر: **«يا جابر ألا أبشرك؟ قال: بلى، بشرك الله بخير، قال: شعرت أن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال: تمنَّ عليّ عبدي ما شئت أعطكه، قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال: أنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجع»**[2] . وهوفي المسند من حديث جابر وفي مسنده: «**أدخله**» وللترمذي فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد، قال: رسول الله ﷺ يا جابر: **«ألا أخبرك ما قال: الله عز وجل لأبيك؟ قال: بلى، قال: ما كلم الله**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٤)، حديث (٢٩٣٤٦)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٥٤)، حديث (٤٦٧) من طريق شريك به، وأخرجه النسائي، كتاب السهو، باب: نوع آخر من الدعاء، حديث (١٣٠٥)، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٠٤-٣٠٥)، حديث (١٩٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٥)، حديث (١٩٢٣)، والبزار في مسنده (٤/ ٢٣٠)، حديث (١٣٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٩٥)، حديث (١٦٢٤)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٥٤)، حديث (٤٦٦)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٨٨)، حديث (٨٤٥) من طريق حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار بن ياسر به. وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٣٠١)، المشكاة (٢٤٩٧)، الكلم الطيب (١٠٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٤) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة به، وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٦١)، حديث (١٤٩٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٦)، حديث (٢٠٠٢)، والحميدي في مسنده (٢/ ٥٣٢)، حديث (١٢٦٥)، وعبد بن حميد (ص ٣١٧)، حديث (١٠٣٩) من طريق سفيان بن عيينة قال: حدثنا محمد بن علي بن ربيعة السلمي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر به. وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٣٢٩٠).

عز وجل أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا، فقال: يا عبدي تمنَّ علي أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية قال: أنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال: يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران :١٦٩] الآية» (١)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، قلت: وإسناده صحيح ورواه الحاكم في صحيحه.

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير بن أبي فاخته. وقال: الطبراني: حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبومعاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال: قال: رسول الله ﷺ: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين»** (٢).

قال الترمذي: وروي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا. ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا. وروى الأشجعي عبيد الله عن سفيان الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه حدثنا بذلك أبوكريب، أنبأنا الأشجعي، عن سفيان، عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه. قلت: ورواه الحسن بن عرفة بن شبابة عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا وزاد فيه، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣]

وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال: قال: رسول الله ﷺ: **«يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى»** (٣)، ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرّقي عن إبراهيم بن خرزاذ عنه. وقال: الدارقطني حدثنا أحمد بن سليمان أخبرنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا أبوشهاب الحناط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة؟»** قالوا: بلى يا رسول الله، فذكر

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٣٠١٠)، وابن ماجه، حديث (١٩٠، ٢٨٠٠)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧٩٠٥)، صحيح الترغيب (١٣٦١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه (١٠/ ٣٥١).

الحديث إلى أن قال: **«حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول: يا أهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدني فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل»** (١) .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي: حدثنا أحمد بن يونس، عن أبي شهاب الحناط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ: **«إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن»** (٢) .

فصل

وأما حديث عمارة بن رويبة فقال ابن بطة في «الابانة»: حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا ابواليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»** (٣) .

قال ابن بطة: وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد، عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرزاق بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا المسعودى عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: **«إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا»** (٤) .



(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، حديث (٨٥١)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢١٨٤).
(٢) انظر الحديث السابق.
(٣) لم أجده هكذا من حديث عمارة بن رويبة عن أبيه، وأخرجه البخاري، حديث (٥٥٤)، ومسلم، حديث (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله.
(٤) انظر الحديث السابق.

فصل

وأما حديث سلمان الفارسي، فقال: أبومعاوية: حدثنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: يأتون النبي ﷺ فيقولون: يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك قم فاشفع لنا إلى ربك فيقول: «**نعم أنا صاحبكم**» فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له [(١)] الحديث.

فصل

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة: أخبرني أبوالقاسم عمر بن أحمد، عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش، عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان.

وقال: البزار: حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيدة العصفري، قالا: حدثنا يحيى بن كثير حدثنا إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش، عن أبي وائل عن حذيفة قال: قال: رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل، فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء قال: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها قال: قلت: وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة قال: قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة، أما شرفه وفضله في الدنيا، فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجى فيه، فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أوأمة مسلمة يسألان الله تبارك وتعالى فيها خيرا إلا أعطاهما إياه وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة، فإن الله تبارك وتعالى إذا صيّر أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله تبارك وتعالى مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أويخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل، في كثبان من المسك. قال: فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت قال: فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحا تدعى المثيرة فتثير عليهم**

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٧)، حديث (٦١١٧)، والمحاملي في أماليه (ص ١١٥)، حديث (٧٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٨٣)، حديث (٨١٣)، وهو صحيح، وانظر ظلال الجنة.

المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لودفع إليها كل طيب على وجه الأرض لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى.

قال: ثم يوحي الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني وصدقوا رسلي واتبعوا أمري؟ فسلوني، فهذا يوم المزيد قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: ربنا رضينا عنك فارض عنا.

قال: فيرجع الله تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة إني لولم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فسلوني، فهذا يوم المزيد قال: فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا. قال: فيرجع الله عز وجل في قولهم أن يا أهل الجنة إني لولم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فهذا يوم المزيد فسلوني. قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك أرنا ننظر إليه قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره قال: ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى فإذا صاروا إلى منازلهم تراد النور وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها قال: فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها؟ قال: فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم، قال: فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا. قال: وذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»[(١)].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن مسلم بن نذير السعدي عن حذيفة في قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: النظر إلى وجه الله عز وجل.

قال الحاكم: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع.

فصل

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان، عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال: قال: رسول الله ﷺ: **«ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها**

(١) أخرجه البزار في مسنده (٧/ ٢٨٨)، حديث (٢٨٨١)، وهو ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٤٥).

في الدنيا وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال: من أنت فأقول: أنا محمد فآتي ربي وهوعلى كرسيه أو قال: على سريره فيتجلى لي ربي فأخر له ساجدا» [1] ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال: عن أبي سعيد بدل ابن عباس، وقال أبوبكر بن أبي داود: حدثنا عمي محمد بن الأشعث حدثنا ابن جبير قال: حدثني أبي جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوا**».

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: الصغاني حدثنا صدقة أبو عمرو المقعد قال: قرأت على محمد بن إسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه عبد الله بن عمرو، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم - وهو أمير المدينة - قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا، فإن منهم لملائكة قياما صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة سجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك [2].

فصل

وأما حديث أبي بن كعب فقال الدارقطني: حدثنا عبد الصمد بن علي حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال: حدثني قحطبة بن غدانة حدثنا أبو خلدة، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قال: النظر إلى وجه الله عز وجل.

وأما حديث كعب بن عجرة فقال محمد بن حميد: حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: الزيادة: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى [3].



---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٨١)، حديث (٢٥٤٦)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٨٦-٤٨٧)، حديث (٨٤٣)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٨٠-١٨١)، حديث (١٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/٢). (٣) تقدم تخريجه.

فصل

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال: عثمان بن سعيد القرشي حدثنا محمد بن المهاجر، عن ابن حلبس، عن أبي الدرداء أن فضالة - يعني ابن عبيد - كان يقول: **«اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»** [١].

فصل

وأما حديث عبادة بن الصامت ففي مسند أحمد من حديث بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: **«قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»** [٢]. وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ فقال: الصغاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور، قال: سمعت عدي بن أرطأة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكانا، ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت وتعال بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار، ثم سألا الكرة ولقد سمعت فلانا - نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **«أن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكا يسبح الله تعالى قال: وملائكة سجود منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك أن نعبدك»** [٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣١٩)، حديث (٨٢٥)، والأوسط (٦/ ١٦٥)، حديث (٦٠٩١)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٩١)، حديث (٨٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٨٦)، حديث (٤٢٧)، وهو صحيح، وانظر ظلال الجنة.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث (٤٣٢٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٢٤)، حديث (٢٢٨١٦)، والبزار في مسنده (٧/ ١٢٩)، حديث (٢٦٨١)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٨٥)، حديث (١١٥٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٤٨)، حديث (١٠٠٧)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٩١)، حديث (٨٤٨)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٤٥٩)، والمشكاة (٥٤٨٥).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٩٣-٩٩٤)، حديث (٥١٥)، والخطيب في تاريخه (١٢/ ٣٠٦).

فصل

وهاك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم.

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قال أبو إسحاق: عن عامر بن سعد قرأ أبوبكر الصديق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: ثنا علي بن ميسرة الهمداني، حدثنا صالح بن أبي خالد العبدي، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق الهمداني عن عمارة بن عبد، قال: سمعت عليا يقول: من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته (١).

قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: حدثنا وكيع عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عن مسلم بن نذير عن حذيفة قال: الزيادة: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد الله بن عكيم، قال: «**سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذا المسجد - مسجد الكوفة - يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال: والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال: فيقول: ما غرك بي يا ابن آدم، ثلاث مرات؟ ماذا أجبت المرسلين ثلاثا؟ كيف عملتَ فيما علمت** (٢).

وقال ابن أبي داود: حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبي عن عكرمة قال: قيل لابن عباس: كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل؟ قال: نعم.

وقال أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود: الزيادة: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

قول معاذ بن جبل: قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: أنبأنا إسحاق بن أحمد الخراز حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال: كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له: أبوعفيف فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال: بلى. سمعته يقول: يحشر الناس يوم القيامة في

---

(١) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٩٦)، حديث (٨٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٨٢)، حديث (٨٨٩٩)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٩٦)، حديث (٨٦٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٩٨)، حديث (١١٥٢)، وابن المبارك في الزهد (ص ١٣)، حديث (٣٨).

صعيد واحد فينادى: أين المتقون؟ فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمرون إلى الجنة [١].

قول أبي هريرة رضي الله عنه: قال ابن وهب: أخبرني ابن لهيعة، عن أبي النضر أن أبا هريرة كان يقول: لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت [٢].

قول عبد الله بن عمر: قال حسين الجعفي: عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أدناه كما يرى أقصاه وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين [٣].

قول فضالة بن عبيد: ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر، عن ابن حلبس، عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول: اللهم إني اسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك. وقد تقدم [٤].

قول أبي موسى الاشعري: قال وكيع: عن أبي بكر الهذلي، عن أبي تميمة، عن أبي موسى قال: الزيادة: النظر إلى وجه الله [٥]، وروى يزيد بن هارون وابن أبي عدي عن التيمي عن أسلم العجلي، عن أبي مُراية، عن أبي موسى الأشعزي أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم فقال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة [٦].

قول أنس بن مالك: قال ابن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن يمان حدثنا شريك، عن أبي اليقظان عن أنس بن مالك في قوله عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قال: يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة.

قول جابر بن عبد الله: قال مروان بن معاوية: عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن عن جابر قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها، ثم يأتون الجبار، فإذا تجلى لهم خروا له سجدا فيقول يا أهل الجنة ارفعوا رءوسكم، فقد رضيت عنكم لا سخط بعده [٧].

---

(١) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٩٨)، حديث (٨٦٤).
(٢) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٩٩)، حديث (٨٦٥).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه. (٥) تقدم تخريجه.
(٦) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٩٨)، حديث (٨٦٢)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٣٠٥٦).
(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٥٣٤)، حديث (١٥٢٣).

قال الطبري: فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا منهم: عليّ وأبوهريرة وأبوسعيد وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبي بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدي بن حاتم وأبو رزين العقيلي وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبي ﷺ.

وقال الدارقطني: أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد بن الأزهر حدثنا مفضل بن غسان، قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح.

وقال البيهقي: روينا في إثبات الرؤية، عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولوكانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك إلينا كما أنهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نُقِل اختلافهم في ذلك إلينا، وكما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار في الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين.

فصل

وأما التابعون نَزَك الإسلام وعصابة الإيمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل.

قال سعيد بن المسيب: الزيادة: النظر إلى وجه الله. رواه مالك عن يحيى عنه.

وقال الحسن: الزيادة: النظر إلى وجه الله. رواه ابن أبي حاتم عنه، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: الزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى. رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقال عامر بن سعد البجلي: ذكره سفيان، عن أبي إسحاق عنه.

وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه جرير عن ليث عنه. وقاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وكعب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه وبها رافقوا أنبياءه وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة.

وقال الحسن: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا (١).

وقال الأعمش وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية (٢).

وقال كعب: ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلك فزادت ضعفا على ما كانت حتى يأتيها أهلها، وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئا إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفا، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك.

وقال هشام بن حسان: إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. وقال طاوس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة (٣).

وقال شريك: عن أبي إسحاق السبيعي: الزيادة: النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى. وقال حماد بن زيد: عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا فيقول الله عز وجل لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء، فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى.

وقال علي بن المديني: سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى خالقه فليعمل عملا صالحا ولا يخبر به أحدا (٤)، وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عز وجل أحدا عنه إلا عذبه، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞﴾ [المطففين: ١٥-١٧]. قال: بالرؤية (٥)

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٦٣)، حديث (٤٨٦)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥٠١)، حديث (٨٦٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٩).
(٢) أخرجه هناد في الزهد (١/ ١٣٢)، حديث (١٧٢)، عن الأعمش، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٦٣)، حديث (٤٨٧) عن سعيد بن جبير.
(٣) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥٠٠)، حديث (٨٦٨).
(٤) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥١٠)، حديث (٨٩٥).
(٥) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥١٠)، حديث (٨٩٤).

ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إسحاق عن نعيم.

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له: يا أبا عبد الله إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا**»، و«**إن أهل الجنة يرون ربهم**» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا (١).

وقال عقبة بن قبيصة: أتينا أبا نعيم يوما فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس في وسطها كأنه مغضب فقال: حدثنا سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يُرى يعني - بشر المريسي (٢).

فصل

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم ومناهجهم.

ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس: قال أحمد بن صالح المصري حدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم (٣).

وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سئل مالك بن أنس عن قوله عز وجل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] أتنظر إلى الله عز وجل؟ قال: نعم، فقلت: إن أقواما يقولون: تنظر ما عنده، قال: بل تنظر إليه نظرا وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] (٤) وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك بن أنس: إنهم يزعمون أن الله لا يرى فقال مالك: السيف السيف (٥).

ذكر قول ابن الماجشون: قال أبوحاتم الرازي: قال أبوصالح كاتب الليث: أملي عليَّ عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فقالوا:

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٧٣)، حديث (٥٠٩).
(٢) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥٠٧)، حديث (٨٨٧).
(٣) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥٠١)، حديث (٨٧٠).
(٤) المرجع السابق (٣/ ٥٠١)، حديث (٨٧١). (٥) المرجع السابق (٣/ ٥٠٢)، حديث (٨٧٢).

لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا، والله أفضل كرامته التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضّر بها وجههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم [1].

ذكر قول الأوزاعي: ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهما وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده أولياءه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه [2].

ذكر قول الليث بن سعد: قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة، قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا: تمرُّ بلا كيف [3].

قول سفيان بن عيينة: ذكر الطبري وغيره عنه أنه قال: من لم يقل أن القرآن كلام الله وأن الله يرى في الجنة، فهو جهمي [4]، وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يصلي خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول: لا يرى ربه يوم القيامة.

قول جرير بن عبد الحميد: ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه الله، فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه [5].

قول عبد الله بن المبارك: ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه أن رجلا من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن خدا رابان جهان جون ببيند، ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين [6].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن إسحاق، قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عنه أحدا إلا عذبه، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝﴾ [المطففين: ١٥-١٧] قال ابن المبارك: بالرؤية. قول وكيع بن الجراح: ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال: يراه تبارك وتعالى

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٥٠٢)، حديث (٨٧٣).
(٢) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥٠٣)، حديث (٨٧٤).
(٣) أخرجه اللالكائي (٣/ ٥٠٣)، حديث (٨٧٥).
(٤) أخرجه اللالكائي (٣/ ٥٠٣-٥٠٤)، حديث (٨٧٦).
(٥) أخرجه اللالكائي (٣/ ٥٠٥)، حديث (٨٨٠).
(٦) أخرجه اللالكائي (٣/ ٥٠٥)، حديث (٨٨١).

المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون (١).

قول قتيبة بن سعيد: ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة والإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية (٢).

قول أبي عبيد القاسم بن سلام: ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال: هي عندنا حق، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا، إلا أنَّا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا: لا نفسر منها شيئا ولكن نمضيها كما جاءت.

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد: قال المروزي: حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها بالطلاق وبالمشي أنها حق.

قول محمد ابن إدريس الشافعي: قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال: في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، قال الربيع: فقلب يا أبا عبد الله وتقول به؟ قال: نعم، وبه أدين الله، ولولم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده، وقال: ابن بطة حدثنا ابن الأنباري حدثنا أبوالقاسم الأنماطي صاحب المزني قال: قال: الشافعي رحمه الله ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم.

قول إمام السنة أحمد بن حنبل: قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد: أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح، قال ابن منصور: وقال إسحاق بن راهويه: صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي.

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وقيل له: تقول بالرؤية: فقال: من لم يقل بالرؤية، فهو جهمي، قال: وسمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال: أن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبا شديدا، ثم قال: من قال: إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقال أبو داود: سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب، وقال: من قال أن الله لا يرى فهوكافر.

وقال أبو داود: وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له في رجل يحدث بحديث، عن رجل،

---

(١) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥٠٥)، حديث (٨٨٢).
(٢) المرجع السابق (٣/ ٥٠٦)، حديث (٨٨٦).

عن أبي العطوف: أن الله لا يُرى في الآخرة، فقال: لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال: أخزى الله هذا.

وقال أبوبكر المروزي: قيل لأبي عبد الله: تعرف عن يزيد بن هارون، عن أبي العطوف، عن أبي الزبير عن جابر: إن استقر الجبل فسوف تراني، وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة، فغضب أبو عبد الله غضبا شديدا حتى تبين في وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال: أخزى الله هذا ولا ينبغي أن يكتب، ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدّث به وقال: هذا جهمي كافر خالف ما قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢-٢٣] وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين :١٥] أخزى الله هذا الخبيث. قال أبو عبد الله: ومن زعم أن الله لا يُرى في الآخرة، فقد كفر.

وقال أبو طالب: قال أبو عبد الله: قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة :٢١٠] ، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر :٢٢] ، فمن قال: إن الله لا يُرى، فقد كفر. وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سمعت أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية، فهو جهمي، والجهمي كافر.

وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان: قيل لأبي عبد الله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال: نعم ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاء.

قال حنبل ابن إسحاق: سمعت أبا عبد الله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم، ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتم على هذا حتى سمعت مقالاتهم، قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة، فهو جهمي، فقد كفر وردَّ على الله وعلى الرسول، ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، فقد كفر وردَّ على الله قوله. قال أبو عبد الله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقرُّ بها ونمرُّها كما جاءت.

وقال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يقول: فأما من يقول إن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي. قال أبو عبد الله: وإنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا. وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذب بها، فهو زنديق.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئا - أحاديث الرؤية - وكانوا يحدثون بها على الجملة يُمرُّونها على حالها غير منكرين لذلك، ولا مرتابين.

وقال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى:٥١] فكلم الله موسى من وراء حجاب فقال: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] ولا يكون حجاب إلا لرؤية، أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد: يراه، والكفار لا يرونه. قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى - حديث جرير بن عبد الله وغيره -: «**وتنظرون إلى ربكم**» أحاديث صحاح وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] النظر إلى وجه الله تعالى.

قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنها حق: أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة، لا نشك فيه ولا نرتاب، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة، فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: في أحاديث الرؤية، فقال: هذه صحاح نؤمن بها ونقرُّ بها، وكلما روى عن النبي ﷺ إسناده جيد أقررنا به.

وقال أبو عبد الله: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

قول إسحاق بن راهويه: ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال: يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء، فإن يكونوا في هذه عدولا، وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع، فقال: شفاك الله كما شفيتني أو كما قال.

قول جميع أهل الإيمان: قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

قول المزني: ذكر الطبري في السنة عن إبراهيم، عن أبي داود المصري قال: كنا عند نعيم بن حماد جلوسا فقال نعيم للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول: إنه كلام الله، فقال: غير مخلوق؟ قال: وتقول: إن الله يرى يوم القيامة؟ قال: نعم، فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد الله شهرتني على رءوس الناس فقال: إن الناس قد أكثروا فيك

فأردت أن أُبرئك .

قول جميع أهل اللغة : قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا يقول في قوله تعالى ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣-٤٤] أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظرا بالأبصار ، وحسبك بهذا الإسناد صحة .

واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم، وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكل أحاديث اللقاء صحيحة : كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة : «**إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا**» [١] .

وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود : «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**» [٢] وحديث أنس : «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله**» [٣] وحديث أبي ذر : «**لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة**» [٤] وحديث أبي موسى : «**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة**» [٥] وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي أطردت كلها بلفظ واحد .

فصل في وعيد منكري الرؤية

وقد تقدم قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين :١٥] وقول عبد الله بن المبارك : ما حجب الله عنه أحدا إلا عذبه ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞﴾ [المطففين: ١٦-١٧] قال : بالرؤية .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال : «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟**» قالوا : لا ، قال : «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟**» قالوا : لا ، قال : «**فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، فيلقى العبد فيقول : أيْ فُلْ : ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول : بلى أي رب فيقول : أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني فيقول : أيْ فُلْ ، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس**

(١) أخرجه البخاري، حديث (٤٠٩١)، ومسلم، حديث (٦٧٧) .
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٠٧)، ومسلم، حديث (٢٦٨٣) .
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٤٣٣١)، ومسلم، حديث (١٠٥٩) .
(٤) أخرجه مسلم، حديث (٢٦٨٧)، وابن ماجه، حديث (٣٨٢١) .
(٥) أخرجه البخاري، حديث (١٢٩) .

وتربع فيقول: بلى أي ربي، فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول: ههنا إذا، ثم يقال: الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه ويقال: لفخذه: انطق فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه» [1].

فاجمع بين قوله: «فإنكم سترون ربكم»، وقوله: لمن ظن أنه غير ملاقيه: **«فإني أنساك كما نسيتني»**.

وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء: المعاينة بالأبصار، يحصل لك العلم بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد، ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث: باب في الوعيد لمنكري الرؤية كما فعل شيخ الإسلام وغيره وبالله التوفيق.

فصل

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الاسلام وأهل الحديث عصابة الاسلام ويزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة - وأن له والله حق الحقيقة - فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أوخلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة - كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية - بطل الشرع والقرآن، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة والذي بلغها هو الذي بلغ الدين فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها: إنكارها والشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ أبدا.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كان لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق. والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر.

والثاني: من يزعم أنه لا يرى في الآخرة ألبتة ولا يكلم عباده، وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين، وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٩٦٨).

الباب السادس والستون
في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة
وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧] وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٤] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا. إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال: يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون، وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة، وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم وتقدم تفسير النبي ﷺ لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية: وإنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول: سلام عليكم يا أهل الجنة فيرونه عيانا [1] وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها.

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سوق الجنة وقول النبي ﷺ: **«ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة، فيقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا»** [2] الحديث. وتقدم حديث عدي بن حاتم **«ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة»** [3] وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه: يقول الرب تبارك وتعالى للعبد: **«ألم أكرمك وأسودك»** [4] الحديث، وحديث بريدة: **«ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب»** [5] الحديث، وحديث أنس في يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مرارا، وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم.

قال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة. وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به والله المستعان.



---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) تقدم تخريجه.

الباب السابع والستون
في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

هذا مما يعلم بالاضطرارا أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: مقطوع. ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] واختلف السلف في هذا الاستثناء فقال معمر عن الضحاك: هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة، يقول سبحانه وتعالى: أنهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض إلا مدة مُكثِهم في النار، قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء.

والثاني: وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص بالمذكورين هو في الاستثناء، وما دل عليه. وأحسن من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف وعلى هذا فلا يبقى في الآية تخصيص. وقالت فرقة أخرى: هو استثناء استثناه الرب تعالى ولا يفعله كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنتَ لا تراه بل تجزم بضربه.

وقالت فرقة أخرى: العرب إذا استثنت شيئا كثيرا مع مثله، ومع ما هو أكثر منه؛ كان معنى «إلا» في ذلك ومعنى الواو سواء، والمعنى على هذا: سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض. هذا قول الفراء وسيبويه: يجعل إلا بمعنى سوى، لكن قالوا ونظير ذلك، أن تقول: لي عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها أي: سوى الألفين. قال ابن جرير: وهذا أحبُّ الوجهين إليَّ، لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولا إلا ما شئت أي: سوى ما شئت من الزيادة عليه.

وقالت فرقة أخرى: هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة، ثم هو خلودُ الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بمقدار إقامتهم في البرزخ.

وقالت فرقة أخرى: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلى أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاما لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته وهذا كما قال لنبيه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله:

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس :١٦] ونظائره يخبر عباده سبحانه، أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقالت فرقة أخرى: المراد بمدة دوام السموات والأرض في هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه. ولعل هذا قول من قال: إنّ «إلا» بمعنى «سوى» ولكن اختلفت عبارته، وهذا اختيار ابن قتيبة، قال: المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم.

وقالت فرقة أخرى: ما بمعنى مَنْ قوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء :٣] والمعنى: إلا مَنْ شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء، والفرق بين هذا القول وبين أول الأقوال: أن الاستثناء على هذا القول من المدة وعلى هنا القول من الأعيان.

وقالت فرقة أخرى: المراد بالسموات والأرض: سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبدا وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود :١٠٧] إن كانت «ما» بمعنى «مَنْ» فهم الذين يدخلون النار، ثم يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت، فهو مدة احتباسهم في البرزخ والموقف، قال الجعفي: سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء فقال: سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يقضي بين الناس.

وقالت فرقة أخرى: الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا.

وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه، عن خلودهم في الجنة كل وقت، إلا وقتا يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف يوم القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة، وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود :١٠٨] محكم، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص :٥٤]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد :٣٥]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر :٤٨] وقد أكد الله سبحانه وتعالى خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان :٥٦] وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود :١٠٧] تبين لك المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها وبالله التوفيق.

وقد تقدم قول النبي ﷺ: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت**» [1]

---

(١) تقدم تخريجه.

وقوله ﷺ : «ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن تشبُّوا فلا تهرموا أبدا وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا» [(١)] .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : **«يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ، ويقال : يا أهل النار فيطلعون فرحين ، فيقال : هل تعرفون هذا؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، فيذبح بين الجنة والنار ، ويقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت»** [(٢)] .

فصل

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الجنة والنار ، فانيتان غير أبديتين بل كما هما حادثتان ، فهما ، فانيتان .

والقول الثاني : أنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبدا .

والقول الثالث : أن الجنة باقية أبدية والنار فانية ، ونحن نذكر هذه الأقوال ومَنْ قالها وما احتج به أرباب كل قول ، ونرد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله .

فأما القول بفنائهما : فهو قول قاله : جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الأرض كما ذكره عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال : كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾[الرعد :٣٥] وهم يقولون : لا يدوم ، ويقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص :٥٤] ، وهم يقولون : ينفد ، ويقول الله عز وجل : ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾[النحل :٩٦] قال شيخ الإسلام : وهذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده : وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التى استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث ما لم يحل من الحوادث . وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو ممتنع عليه في الماضي .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري ، حديث (٤٧٣٠) ، ومسلم ، حديث (٢٨٤٩) .

وأبو الهذيل العلاف - شيخ المعتزلة - وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئا بعد شيء فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة، وزعمت فرقة ممن وافقهم على امتناع حوادث لا نهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل، لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك وكأن هؤلاء لم يعلموا أن ما كان ممتنعا في العقل لا يجيء في الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ما هو ممتنع في العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول وجائزاتها فالسمع يجيء بالثاني لا بالأول فالسمع يجيء بما يعجز العقل عن إدراكه، ولا يستقل به، ولا يجيء بما يعلم العقل إحالته.

والأكثرون الذين وافقوا جهما وأبا الهذيل على هذا الأصل، فرقوا بين الماضي والمستقبل، وقالوا: الماضي قد دخل في الوجود بخلاف المستقبل، والممتنع إنما هو دخول ما لا يتناهى في الوجود، لا تقدير دخوله شيئا بعد شيء، قالوا: وهذا نظير أن يقول القائل: لا أعطيك درهما إلا وأعطيتك بعده درهما آخر، فهذا ممكن والأول نظير أن يقول: لا أعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما، فهذا محال، وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهى في الماضي محال ووجوده في المستقبل واجب، ونازعهم في ذلك آخرون فقالوا: بل الأمر في الماضي كهو في المستقبل ولا فرق بينهما بل الماضي والاستقبال أمر نسبي فكل ما يكون مستقبلا يصير ماضيا وكل ماض، فقد كان مستقبلا فلا يعقل إمكان الدوام في أحد الطرفين وإحالته في الطرف الآخر. قالوا: وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهولم يزل ربا قادرا فعالاً، فإنه لم يزل حيا عليما قديرا ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعا عليه لذاته، ثم ينقلب فيصير ممكنا لذاته من غير تجدد شيء، وليس للأزل حد محدود حتى يصير الفعل ممكنا له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعا عليه، فهذا القول تصوره كاف في الجزم بفساده ويكفي في فساده أن الوقت الذي انقلب فيه الفعل من الإحالة الذاتيه إلى الإمكان الذاتي إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أولا يصح.

فإن قلتم: لا يصحُّ كان هذا تحكما غير معقول وهو من جنس الهوس، وإن قلتم: يصح، قيل: وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية فما من زمن محقق أومقدر إلا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتعلق حمد الرب تعالى وربوبيته وملكه وهولم يزل ربا حميدا مَلِكًا قادرا لم تتجدد له هذه الأوصاف كما أنه لم يزل حيا مريدا عليما. والحياة والإرادة والعلم والقدرة تقتضي آثارها ومتعلقاتها فكيف يعقل حيّ قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيئا ألبتة؟ وكيف يجعل هذا أصل من أصول الدين ويجعل

معيارا على ما أخبر الله به ورسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها؟ فإذا كان، هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به.

وأما قول من فرق بأن الماضي قد دخل في الوجود دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه، فإن الذي يحصره الوجود من الحركات هو المتناهي، ثم يعدم فيصير ماضيا كما كان معدوما لما كان مستقبلا. فوجوده بين عدمين وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى فالذي صار ماضيا هو بعينه الذي كان مستقبلا، فإن دل الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئا قبل شيء، فهو بعينه دال على امتناعه شيئا بعد شيء.

وأما تفريقكم بقولكم: المستقبل نظير قوله: ما أعطيك درهما إلا وأعطيك بعده درهما، فهذا ممكن والماضي نظير قوله: ما أعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما، فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره أن يقول: ما أعطيك درهما إلا وقد تقدم مني إعطاء درهم قبله، فهذا ممكن الدوام في الماضي على حد إمكانه في المستقبل ولا فرق في العقل الصحيح بينهما ألبتة ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل وأتباعهما بين الأمرين فرقا قالوا بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم في الماضي.

وقال أهل الحديث: بل هما سواء في الإمكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه تعالى فعالا لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال، وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذي لا يمكنه الفعل إلا في وقت معين وليس من يخلق كمن لا يخلق ومن يحسن كمن لا يحسن ومن يدبر الأمر كمن لا يدبر وأي كمال في أن يكون رب العالمين معطلا عن الفعل في مدة مقدرة أومحققة لا تتناهى، يستحيل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه.

وإن أبيتم هذا الإطلاق وقلتم: إن المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه فجمعتم بين محالين: الحكم بإحالة الفعل من غير موجب لإحالته، وانقلابه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي من غير تجدد سبب، وزعمتم أن هذا هو الأصل الذي تثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامه الأبدان فجنيتم على العقل والشرع والرب تعالى لم يزل قادرا على الفعل والكلام بمشيئته ولم يزل فعالا لما يريد ولم يزل ربا محسنا.

والمقصود: أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين. والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفي الصفات وقد دل القرآن

والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحدُّ بأول، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف :١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان :٢٧] فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته، وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك.

وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن سليمان بن عامر، قال: سمعت الربيع بن أنس يقول: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ﴾ [لقمان :٢٧] الآية.

وقوله ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف :١٠٩] يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات الله، والشجرة كلها أقلام، لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شيء، لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي بل هو كما أثنى على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها.

فصل

وأما أبدية النار ودوامها فقال عنها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين.

وقلت: ههنا أقوال سبعة؛ أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد بإذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي، قال في فصوصه: الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثني عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم :٤٧] ولم يقل وعيده، بل قال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الأحقاف :١٦] مع أنه توعد على ذلك وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقد زال الإمكان في حق الحق لما فيه من طلب المرجح

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده	وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم	على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والأمر واحد	وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابا من عذوبة طعمه	وذاك له كالقشر والقشر صاين

وهذا في طرف، والمعتزلة الذين يقولون: لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب في طرف، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلا وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلا والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله عز وجل.

الثالث: قول من يقول: إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى في القرآن فيه فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤]

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به، وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] وقال ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة.

الرابع: قول من يقول: يخرجون منها وتبقى نارا على حالها ليس فيها أحد يعذب، حكاه شيخ الإسلام، والقرآن والسنة أيضا يردان على هذا القول كما تقدم.

الخامس: قول من يقول: بل تفنى بنفسها، لأنها حادثة بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار.

السادس: قول من يقول: تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا، لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهذا قول أبى الهذيل العلاف إمام المعتزلة، طردا لامتناع حوادث لا نهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم.

السابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه، ثم تفنى ويزول عذابها. قال شيخ الإسلام: وقد نقل هذا القول، عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد، وغيرهم. وقد روى عبد بن حميد - وهو من أجل أئمة الحديث - في تفسيره المشهور: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال: قال عمر: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه.

وقال: حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: (لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه) ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣]، فقد رواه عبد، وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين: سليمان بن حرب وحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الإسناد جلالة.

والحسن وإن لم يسمع من عمر، فإنما رواه عن بعض التابعين ولولم يصح عنده ذلك، عن عمر لما رواه وجزم به، وقال: قال عمر بن الخطاب. ولو قدر أنه لم يحفظ، عن عمر، فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد، مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلوكان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأئمة لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول، عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم، فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبا منه.

ولفظ: «**أهل النار**» لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم كما قال النبي ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون**»[1].

ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه، لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم تبق نارا ولم يبق فيها عذاب.

قال أرباب هذا القول: في تفسير علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨] قال: لا

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٨٥).

ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا[(١)] .

قالوا: وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصا بأهل القبلة، فإنه سبحانه قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٨-١٢٩] وأولياء الجن من الإنس يدخل فيه الكفار قطعا، فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١-٢٠٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النساء: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] فالاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار، فمن ههنا قال ابن عباس: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه. قالوا: وقول من قال أن «إلا» بمعنى سوى أي سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافرته للمستثنى والمستثنى منه، وإن الذي يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد «إلا» لما قبلها.

قالوا: وقول من قال: إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضا لا يساعد عليه وجه الكلام، فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فيقول لهم حينئذ: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] وفي قوله: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨]، نوع اعتراف واستسلام وتحسر، أي استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه وآثرنا الاستمتاع على طاعتك

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤)، وهو ضعيف منقطع، وإن كان معناه صحيحًا، وانظر رفع الأستار بتحقيق الألباني (ص ٧١).

وطاعة رسلك وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض . فتأمل ما في هذا القول من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته وهذا من نمط قولهم : ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك :١٠] وقوله : ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ [الملك :١١] وقوله : ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القصص :٧٥] ، ونظائره والمقصود أن قوله : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام :١٢٨] عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصا بهم أوشاملا لهم ولعصاة الموحدين، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له .

ولما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا : الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف وقد تبين ضعف هذا القول، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار . قالوا : والمعنى أنكم في النار أبدا إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها، وهو الزمهرير وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝﴾ [النبأ :٢١-٢٣]، قالوا : والأبد : لا يقدر بالأحقاب .

وقد قال ابن مسعود في هذه الآية : ليأتين يوم على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا [١]، وعن أبي هريرة مثله حكاه البغوي عنهما، ثم قال : ومعناه عند أهل السنة – إن ثبت – : أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان، قالوا : قد ثبت ذلك، عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وقد سأل حرب إسحاق بن راهويه عن هذه الآية فقال : سألت إسحاق، قلت : قول الله تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود :١٠٧] فقال : أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن .

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال : قال أبيُّ حدثنا أبونضرة عن جابر أو أبي سعيد أوبعض أصحاب النبي ﷺ قال : هذه الآية تأتي على القرآن كله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود :١٠٧][٢] .

قال المعتمر : قال : أتى على كل وعيد في القرآن، حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبيُّ حدثنا شعبة، عن أبي بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال : **«ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا»** [٣]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/١١٨). (٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/١١٨).

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧/ ١٨٩)، وقال : «هذا منكر»، والبزار في مسنده (٦/ ٤٤٢)، حديث (٢٤٧٨).

حدثنا عبيد الله حدثنا أبيُّ حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: **«ما أنا بالذي لا أقول إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾** [هود:١٠٦] .

قال عبيد الله: كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين. حدثنا أبومعن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي، عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله أوبعض أصحابه في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] قال: هذه الآية تأتي على القرآن كله [١] .

وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال: وقال آخرون: عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها، ذَكَرَ مَنْ قال ذلك، ثم ذَكَرَ الآثار التي نذكرها.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن التيمي عن أبيه، عن أبي نضرة عن جابر أوأبي سعيد أوعن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] ، قال: **«هذه الآية تأتي على القرآن كله، يقول: حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه»** قال: وسمعت أبا مجلز يقول: جزاؤه جهنم فإن شاء الله تجاوز عن عذابه [٢] وقال بن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره. وقال وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] ، قال: لا يموتون وما هم منها بمخرجين ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك قال: **«استثنى الله قال: أمر الله النار أن تأكلهم»** قال: وقال ابن مسعود: **«ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقابا»** [٣]، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال: **«جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا»** [٤].

وحكى ابن جرير في ذلك قولا آخر فقال: وقال آخرون: أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] ، وأنها في الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قالوا: ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة، وجائز أن تكون في النقصان» حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] ، فقرأ حتى بلغ ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] ، فقال أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال: ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] ، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار [٥].

---

(١) تقدم قريبًا.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/١١٨).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/١١٨).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/١١٨).
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/١١٩).

وقال ابن مردويه في تفسيره: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا خير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان الخلال حدثنا أبو خليد حدثنا سفيان - يعني الثوري - عن عمرو بن دينار عن جابر قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧] قال رسول الله ﷺ: «**إن شاء الله أن يخرج أناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل**» [١]، وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافا لمن زعم أنه لما قبل الدخول، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار، وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها وأنهم يعذبون فيها دائما ما دامت كذلك وما هم منها بمخرجين، فالحديث دل على أمرين:

أحدهما: أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهي نار فعل، وأن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله، وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء: إلا ما شاء ربك من الأشقياء، فإنهم لا يخلدون فيها.

ويكون الأشقياء نوعين: نوعًا يخرجون منها، ونوعا يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولا، ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في وقتين، قالوا: وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَآءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝﴾ [النبأ:٢١-٢٨]، فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين بآياته ولا يقدر الأبد بهذه الأحقاب ولا غيرها كما لا يقدر به القديم، ولهذا قال عبد الله بن عمرو فيما رواه شعبة، عن أبي بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا [٢].

فصل

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع؛ فكثير من الناس يعتقد أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثاني: أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه وتعالى أخبر أنه عذاب مقيم وأنه لا يُفتّر عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذابا، وأهم خالدين فيها أبدا، وما هم بخارجين

(١)ذكره الألباني في الضعيفة (٥٣٨٠)، وقال: «موضوع».
(٢)تقدم تخريجه وهو ضعيف الإسناد وانظر رفع الأستار بتحقيق الألباني (ص ٨١).

من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراما، أي: مقيمًا لازما. قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلوخرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس: أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار وهذا مبني على قاعدة وهي: أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أولا يعلم إلا بالسمع؟ فيه طريقتان لنظار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن في غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يُسوّى بين الأبرار والفجار في المحيا والممات، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثا وأنهم إليه لا يرجعون، وأنه يتركهم سدى أي: لا يثيبهم ولا يعاقبهم وأن ذلك يقدح في حكمته وكماله، وأنه نسبه إلى ما لا يليق به، وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وإرادتها صفة لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أوكراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨]فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لوردوا لعادوا كفارا كما كانوا، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع.

قال أصحاب الفناء: الكلام على هذه الطرق يبين الصواب في هذه المسألة، فأما الطريق الأول: فالإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الإجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع فيها قديما وحديثا، بل لو كلف مدعي الإجماع أن ينقل عن عشرة من

الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال: إن النار لا تفنى أبدا لم يجد إلى ذلك سبيلا ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا، قالوا: والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة.

النوع الأول: ما يكون معلوما من ضرورة الدين: كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثاني: ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه.

والثالث: أن يقول بعضهم القول، وينشر في الأمة ولا ينكره أحد فأين معكم واحد من هذه الأنواع؟ ولو أن قائلا ادعى الإجماع من هذه الطرق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالإجماع منكم.

قالوا وأما الطريق الثاني: وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك؟ نعم، الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدين في النار أبدا وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع في أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية؟ أو مما كتب الله عليه الفناء؟

وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها فالفرق بين من يخرج من الحبس - وهو حبس على حاله - وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث: وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك فهي حق لا شك فيه وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهي دار عذاب لم تفن، ويبقى المشركون فيها مادامت باقية والنصوص دلت على هذا. وعلى هذا.

قالوا: وأما الطريق الرابع: وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا على ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة وأما كونها أبدية لا انتهاء لها، ولا تفنى كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد

يدل على ذلك؟

قالوا: وأما الطريق الخامس: وهو أن في عقائد أهل السنة أن الجنة، والنار مخلوقتان لا يفنيان أبدا فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة، وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين، وأما فناء النار وحدها، فقد أوجدنا لكم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين؟ فقولكم: إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم.

قالوا: والقول الذي يُعَدُّ من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع الأمة، إما الصحابة أو من بعدهم، وأما قولٌ يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله، والباطل يجب رده على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول: **«الله حكم قسط هلك المرتابون إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول: قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع، فإن كل بدعة ضلالة وإياكم وزيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة وإن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به، فإن على الحق نورا، قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون: ما هذه؟ فاحذروا زيغته ولا تصدنكم عنه، فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق وأن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة»** (١)

والذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم هو الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها العذاب ولا يفتر عنهم وأنهم خالدون فيها، ومن ذكر منهم أن النار لا تفنى أبدا، فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها، قالوا: وأما حكم العقل بتخليد أهل النار فيها فإخبار عن العقل بما ليس عنده، فإن المسألة من المسائل التي لا تُعْلَم إلا بخبر الصادق وأما أصل الثواب والعقاب؛ فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان، لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالا وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع، ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده وإنما علم بالسمع، وقد دل

(١) أخرجه أبو داود، حديث (٤٦١١)، وهو صحيح موقوف، وانظر صحيح أبي داود.

السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين وأما عقاب العصاة، فقد دل السمع أيضا دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار، فهذا معترك النزال، فمن كان السمع من جانبه، فهو أسعد بالصواب وبالله التوفيق.

فصل

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا نفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وإنها مؤصدة عليهم وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأن عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر.

الوجه الثاني: أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها:

الأولى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

والثانية: قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

الثالثة: قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣].

ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناءين في الموضعين واحدا كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين، فإنه قال في أهل النار ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] فعلمنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلا لم يخبرنا به وقال في أهل الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبدا فالعذاب مؤقت معلق والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق.

الوجه الثالث: أنه قد ثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيرا قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار، وأما النار فلا يدخلها من لم يعمل سوءا قط، ولا يعذب إلا من عصاه.

الوجه الرابع: أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشئ للجنة خلقا آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار، وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخاري من قوله: **«وأما النار فينشئ الله لها خلقا آخرين»** [1]، فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه

(١) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٤٩).

الحديث وإنما هو ما ساقه البخاري في الباب نفسه: «**وأما الجنة فينشئ الله لها خلقا آخرين**» [1] ذكره البخاري رحمه الله مبينا أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا فذكر هذا وهذا، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة في التأبيد مع هذه الفروق. يوضحه:

الوجه الخامس: أن الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده موضوع على العرش: أن رحمتي تغلب غضبي**» [2] وإذا كان رضاه قد سبق غضبه، وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعا. يوضحه:

الوجه السادس: أن ما كان بالرحمة وللرحمة، فهو مقصود لذاته قصد الغايات، وما كان من موجب الغضب والسخط، فهو مقصود لغيره قصد الوسائل، فهو مسبوق ومغلوب مراد لغيره وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه. يوضحه:

الوجه السابع: وهو أنه سبحانه وتعالى قال للجنة: «**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**» وقال للنار: «**أنت عذابي أعذب بك من أشاء**» وعذابه مفعول منفصل وهو ناشئ عن غضبه، ورحمته ههنا هي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فههنا أربعة أمور رحمة هي: وصفه سبحانه، وثواب منفصل هو ناشىء عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ عنه، فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة يوضحه:

الوجه الثامن: أن النار خلقت تخويفا للمؤمنين وتطهيرًا للخاطئين والمجرمين فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم، فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم تحتج إلى تطهير هناك، وقيل لها مع جملة الطيبين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وإن لم تتطهر في هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار، والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فلو خلوا وفطرهم لما نشئوا إلا على التوحيد ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيرها ولهذا كان نصيب النار أكثر من

(١) أخرجه البخاري، حديث (٤٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٠٤)، ومسلم، حديث (٢٧٥١).

نصيب الجنة وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا الله، فأرسل الله رسله وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذي أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها، فمنعتهم الشرعة المنزلة والفطرة المكملة أن تكتسب نفوسهم خبثا ونجاسة ودرنا يعلق بها ولا يفارقها، بل كلما ألمّ بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبه وأثره وكمّل لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أويكرهون تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكانا قابلا مستعدا لها ليس فيه شيء يدافعه، فقال: هاهنا أمرت، وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير فاحتاجوا في إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار فأتاح لهم آيات أخر وأقضية وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار، فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضى الرحمة لا معارض له.

فإن قيل: هذا حق ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضا كمعاصي الموحدين، أما إذا كان لازما: كالكفر والشرك، فإن أثره لا يزول كما لا يزول السبب وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك وإنها غير قابلة للإيمان أصلا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم، فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] وهذا يدل على أنه ليس فيهم خير يقتضي الرحمة ولوكان فيهم خير لما ضيع عليهم أثره ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك، أيضا قوله: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير**»[1] فلو كان عند هؤلاء أدنى أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٢٢)، ومسلم، حديث (١٨٤).

قيل: لعمر الله إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به في المسألة وإن الأمر لكما قلتم وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ولا ريب أنهم في الآخرة في عمى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا والعذاب مستمر عليهم دائم ما داموا كذلك ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم، زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتي وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه فطر عباده على الحنيفية وأن الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده.

فإذا كان هذا الحق الذي قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى ولا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التي هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم، فإن العذاب لم يكن سدى وإنما كان لحكمة مطلوبة، فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتفي بعذاب عباده كما يشتفي المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له وإن تألم به غاية الألم كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها.

وقد سمى الله سبحانه وتعالى الحد عذابا وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل داء دواء يناسبه ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية والطبيب الشفيق يكوي المريض بالنار كيا بعد كي ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة، وإن رأى قطع العضو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الألم، فهذا قضاء الرب وقدره في إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد، فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإراداته؟

وإذا تأمل اللبيب شرع الله تبارك وتعالى وقدره في الدنيا وثوابه وعقابه في الآخرة وجد ذلك في غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض، فإن مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابغة وهو سبحانه الملك الحق المبين وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل.

الوجه التاسع: أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته ولا لمنفعة تعود إليه ولا لدفع

مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة. بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص، ولا هي عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة، فإنه أيضا يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه، فإما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبائه وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم أو لهذا ولهذا.

وعلى التقادير الثلاث: فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات، والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها، ونعيم أوليائه ليس متوقفا في أصله ولا في كماله على استمرار عذاب أعدائه ودوامه ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام والاستمرار وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم.

الوجه العاشر: أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**» [1]، فإذا كانت رحمته غلبت غضبه، فإن رضا نفسه أعلى وأعظم، فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها، وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا، وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان. والناس لهم في صفة الغضب قولان:

أحدهما: أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله، والثاني: أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به. وعلى القولين، فليس كالحياة والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها له، والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سُعِّرَت النار إلا بغضبه، وقد جاء في أثر مرفوع: «**إن الله خلق خلقا من غضبه وأسكنهم بالمشرق ينتقم بهم ممن عصاه**» [2] فمخلوقاته سبحانه نوعان: نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة، ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب، فإنه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد، فإذا زال غضبه سبحانه وتعالى، وتبدل برضاه، زالت عقوبته وتبدلت برحمته، فانقلبت العقوبة إلى رحمة بل لم تزل رحمة،

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٧٢٦)، والترمذي، حديث (٢٥٥٥)، والنسائي، حديث (١٣٥٢)، وابن ماجه، حديث (٣٨٠٨)، من حديث جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

(٢) لم أجده هكذا، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٠٩)، حديث (٤١٦٣)، وأبو نعيم في «الفتن» (٢/ ٢٣٥)، حديث (٦٥٨)، عن خريم بن فاتك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ولا يموتوا إلا هما وغما»، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (١٨١١)، والضعيفة (١٣).

وإن تنوعت صفتها وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة، وإخراجهم من النار رحمة، فتقلبوا في رحمته في الدنيا وتقلبوا فيها في الآخرة، لكن تلك الرحمة يحبونها وتوافق طبائعهم، وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم، كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويلقي عليه المكاوي ليستخرج منه المواد الرديئة الفاسدة.

فإن قيل: هذا اعتبار غير صحيح، فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة، وأما عذاب هؤلاء، فإنه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهوعقوبة محضة. قيل: هذا حق، ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم وإن كان عقوبة لهم وهذا كإقامة الحدود عليهم في الدنيا، فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة، وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له ندا له وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته وهو ولي الإنعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق الذي اشتد مقته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كمال أسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه وتعالى. فالمعطلون نوعان:

أحدهما: عطل صفاته.

والثاني: عطل أحكامها وموجباتها. وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الأمران، فإذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغيير الطبيعة المقتضية لها في الجحيم بمرور الأحقاب عليها وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض يوضحه:

الوجه الحادي عشر: وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب، والفضل أحب إليه من العدل، ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره وتظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع، وقدرته سبحانه صالحة لكل شيء لا قصور فيها بوجه ما وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض وبيده سبحانه وتعالى الشفاء التام والأدوية الموافقة لكل داء وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطلق، وبالعبد أعظم حاجة إلى من يداوي علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة وقد عرف العبد أنه عليل وأن دواءه بيد الغني الحميد فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين

يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له وأن الحق كله له وانه هو الظلوم الجهول، وأن ربه تبارك وتعالى عامله ببعض عدله لا بكل عدله وأن له غاية الحمد فيما فعل به وأن حمده هو الذي أقامه في هذا المقام وأوصله إليه وأنه لا خير عنده من نفسه بوجه من الوجوه بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه، وأنه لا نجاة له مما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه، فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص وربه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح.

فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذي أوجب لهم ذلك، فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم في تلك الحال وقالوا: إن كان ما نحن فيه رضاك، فرضاك الذي نريد، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك، فأما إذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية ما نقصده وما لجرح إذا أرضاك من ألم وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا، ولك الحمد كله عاقبت أو عفوت، لانقلبت النار عليهم بردا وسلاما.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «**يأتي أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك من رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنَّهُ فيرسل إليهم: أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**»[1]
وفي المسند أيضا من حديث قتادة عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة مثله وقال: «**فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ومن لم يدخلها يسحب إليها**»[2] فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم وبادروا إليه لما علموا أن فيه رضا ربهم وموافقة أمره ومحبته انقلب في حقهم نعيما.

ومثل هذا ما رواه عبد الله بن المبارك، حدثني رشدين قال: حدثني ابن أنعم، عن أبي عثمان أنه حدثه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما. فقال الرب جل جلاله: أخرجوهما، فأخرجا فقال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٨٧)، حديث (٨٤١)، والضياء في «المختارة» (٤/ ٢٥٤- ٢٥٥)، حديث (١٤٥٤)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (١٤٣٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٤)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ١٢٣)، حديث (٤٢)، والضياء في «المختارة» (٤/ ٢٥٥)، حديث (١٤٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٤). وهو صحيح، وانظر الحديث السابق.

النار، قال فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه عليه بردا وسلاما، ويقوم الآخر فلا يلقي، فيقول له الرب تبارك وتعالى: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: رب إني أرجوك أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني منها فيقول الرب تعالى: لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعا برحمة الله» (١) .

وذكر الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: يؤمر بإخراج رجلين من النار، فإذا أخرجا ووقفا قال الله لهما: كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما؟ فيقولان: شرٌ مقيل وأسوأ مصير صار إليه العباد فيقول لهما: بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد قال: فيؤمر بصرفهما إلى النار، فأما أحدهما فيغدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيتلكأ فيؤمر بردهما فيقول للذي غدا في أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها: ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها؟ فيقول: إني خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانيا، ويقول للذي تلكأ: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول حسن ظني بك حين أخرجتني منها أن لا تردني إليها فيرحمهما جميعا ويأمر بهما إلى الجنة (٢) .

الوجه الثاني عشر: أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه وأما العذاب والعقوبة، فإنما هو من مخلوقاته لذلك لا يسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه، وهذا من مفعولاته حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] .

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ومثلها في آخر الأنعام فما كان مقتضى أسمائه وصفاته، فإنه يدوم بدوامها ولاسيما إذا كان محبوبا له وهو غاية مطلوبة في نفسها وأما الشر الذي هو العذاب فلا يدخل في أسمائه وصفاته وإن دخل في مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفني بخلاف الخير، فإنه سبحانه وتعالى دائم المعروف لا ينقطع معروفه أبدا وهو قديم الإحسان أبدي الإحسان فلم يزل ولا يزال محسنًا على الدوام وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال معاقبا على الدوام، غضبان على الدوام، منتقما على الدوام، فتأمل هذا الوجه تَأَمُّلَ فقيه في باب أسماء الله وصفاته يفتح لك باب من أبواب معرفته ومحبته. يوضحه:

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٩٩)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٨٥٩)، الضعيفة (١٩٧٧).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٢٦).

الوجه الثالث عشر: وهو قول أعلم خلقه به وأعرفهم بأسمائه وصفاته: «**والشر ليس إليك**» [١] ولم يقف على المعنى المقصود من قال: الشر لا يتقرب به إليك بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لا شر فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حسنى فكيف يضاف الشر إليه؟ بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهومنفصل عنه إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر، وإذا كان الشر مخلوقا منفصلا غير قائم بالرب سبحانه، فهو لا يضاف إليه وهو ﷺ لم يقل: أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله: وإنما نفى إضافته إليه وصفا وفعلا واسمًا وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها.

وأما الخير، فهو الإيمان والطاعات وموجباتها، والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه، ولأجلها خلق الله خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه وهي ثناء على الرب تبارك وتعالى وإجلاله وتعظيمه وعبوديته وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها، وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق فهي مفعولات قدرت لأمر محبوب، وجعلت وسيلة إليه، فإذا حصل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض.

الوجه الرابع عشر: أنه سبحانه وتعالى قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء فليس شيء من الأشياء إلا وفيه رحمته، ولا يتنافى هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له، فإن ذلك من رحمته أيضا كما تقدم.

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة رضي الله عنه آنفا وقوله تعالى لذينك الرجلين: «**رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار**» [٢] وقد جاء في بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال: اللهم ارحمه، يقول الرب تبارك وتعالى: كيف أرحمه من شيء به أرحمه [٣] فالابتلاء رحمة منه لعباده، وفي أثر إلهي يقول الله تعالى: أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل شكري أهل زيادتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا، فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا، فإنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم، حديث (٧٧١)، وأبو داود، حديث (٧٦٠)، والترمذي، حديث (٣٤٢٢)، والنسائي، حديث (٨٩٧)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٢) تقدم تخريجه. (٣) لم أجده.

المعايب [١]، فالبلاء والعقوبة قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها والنار هي الدواء الأكبر، فمن تداوى في الدنيا أغناه ذلك عن الدواء في الآخرة وإلا فلابد له من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله، من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده وتحببه إلى عباده وإرادة الإنعام عليهم وسَبْق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قبوله. يوضحه:

الوجه الخامس عشر: أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل فلا يفعل عبثا ولا جورًا ولا باطلا بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص. وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر، وإن كان لحكمة، فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبد الآباد بحيث يكون دائما بدوام الرب تبارك وتعالى، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم فليست مصلحتهم في بقائهم في العذاب كذلك وإن كانت المصلحة تعود إلى أوليائه، فإن ذلك أكمل في نعيمهم، فهذا لا يقتضي تأبيد العذاب، وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفا على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السرمد.

فإن قلتم: إن ذلك موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم ما لا يعقل، وإن قلتم: إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا يطلب له حكمة ولا غاية فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة، والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك.

والثاني: أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم في العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن في انقضائه ما ينافي كماله، وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب، وأنه لا نهاية له، وغاية الأمر على هذا التقدير: أن يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق، فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام. وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التي لا تعلل لم تقتضه أيضا. وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه.

الوجه السادس عشر: أن رحمته سبحانه سبقت غضبه في المعذبين، فإنه أنشأهم برحمته ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل إليهم الرسل برحمته. وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها فرحمته سبقت غضبه فيها وخلقهم على

---

(١) لم أجده.

خلقة تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته . ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته ، فمن رآهم رحمهم ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم ، فكانت هي السابقة إليهم ، ففي كل حال هم في رحمته في حال معافاتهم وابتلائهم .

وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية ، وإن عارضها أثر الغضب والسخط ، فذلك لسبب منهم وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه وتعالى فما منه يقتضي رحمتهم ، وما منهم يقتضي عقوبتهم ، والذي منه سابق وغالب وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى .

الوجه السابع عشر : أنه سبحانه وتعالى يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب يوم عظيم وعذاب يوم أليم ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا في موضع واحد .

وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة [1] والمعذبون متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم والله سبحانه جعل العذاب على ما كان في الدنيا وأسبابها وما أريد به الدنيا ولم يرد به وجه الله فالعذاب على ذلك وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه ، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهي إليه فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله ، فهو المعذب به ، وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة ، فقد أريد به ما لا يفنى ولا يزول فيدوم بدوام المراد به .

فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول ، لم يزل ما تعلق بها بخلاف الغاية المضمحلة الفانية فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد ، فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات وانقلب عذابا وآلاما لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم .

الوجه الثامن عشر : أنه ليس في حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقا يعذبهم أبد الآباد عذابا سرمدا لا نهاية له ولا انقطاع أبدا وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه وتعالى حكيم ، وأنه أحكم الحاكمين ، فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمة كما يوجب التعذيب والعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره ، فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداواته وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام ما تشهده العقول الصحيحة وفي ذلك من

(١) أخرجه مسلم ، حديث (٩٨٧) ، من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ . . .» .

تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على فقرها وضرورتها إلى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة ما لا يعلمه إلا الله .

ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ولهذا يحاسبون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة .

ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التي لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه لا تصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين ، فإذا عذبوا في النار عذابا يخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ، ولا ينافي الحكمة خلق نفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد ، فهذا معقول في الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة .

وأما خلق نفوس لا يزول شرها أبدا وعذابها لا انتهاء له فلا يظهر في الحكمة والرحمة ، وفي وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعنى ذواتا هي شر من كل وجه ليس فيها شيء من خير أصلا . وعلى تقدير دخوله في الوجود فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان وإحالتها وإحالة صفاتها ، فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها فالله سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة ويرحمها في النشأة الثانية نوعا آخر من الرحمة يوضحه :

الوجه التاسع عشر : وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشئ للجنة خلقا آخر يسكنهم إياها ولم يعملوا خيرا قط تكون الجنة جزاء لهم عليه ، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها ، فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد وأنه عدل فيها كل العدل وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل .

وشاء كتب العقوبة طلبا لموافقة رضاه ومحبته وعلم أن العذاب أولى بها وأنه لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى لم يكن في حكمته أن يستمر بها في العذاب بعد ذلك إذ قد تبدل شرها بخيرها وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها .

ولا ينتقض هذا بقوله عز وجل : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام :٢٨] ، فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول ، فإنه سبحانه

وتعالى قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨]، فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث، فأما إذا لبثوا في العذاب أحقابا والحقب كما رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«الحقب خمسون ألف سنة»** [1]، فإنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة في العذاب.

الوجه العشرون: أنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة: **«فيقول عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه»** [2] فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار بحيث صاروا حُمَما: وهو الفحم المحترق بالنار. وظاهر السياق أنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير، فإن لفظ الحديث هكذا: **«فيقول ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط»**، فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير، ومع هذا فأخرجتهم الرحمة ومن هذا رحمته سبحانه وتعالى للذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه في البر والبحر زعما منه بأنه يفوت الله سبحانه وتعالى، فهذا قد شك في المعاد والقدرة ولم يعمل خيرا قط ومع هذا فقال له: **«ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك وأنت أعلم»** [3] فما تلافاه أن رحمة الله فلله سبحانه وتعالى في خلقه حكم لا تبلغه عقول البشر.

وقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله عز وجل:**

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٤٤)، حديث (٧٩٥٧)، من حديث أبي أمامة مرفوعًا بلفظ: «لابثين فيها أحقابًا»، قال: الحقب الواحد ثلاثون ألف سنة. وهو موضوع، وانظر الضعيفة (٥٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٤٠)، ومسلم، حديث (١٨٣).

(٣) قصة الرجل الذي أوصى أهله أن يحرقوه ويذروه في البحر: أخرجها البخاري، حديث (٦٤٨٠)، ومسلم، حديث (٢٧٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام» [1] قالوا: ومن ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوما واحدا ولا خافه ساعة واحدة، ولا ريب أن رحمته سبحانه وتعالى إذا أخرجت من النار من ذكره وقتا ما، أو خافه في مقام ما فغير بدع أن تفنى النار، ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار.

الوجه الحادي والعشرون: إن اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف، المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلى ربه من كل وجه ويستعطف ربه تبارك وتعالى عليه ويستدعي رحمته له، وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه، ولاسيما إذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه وعلم الله أن ذلك داخل في قلبه وسويدائه، فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك.

وفي معجم الطبراني من حديث يزيد بن سنان الرهاوي عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرًا لبطن، كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه ويعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يا رب بلغ بي الجنة ونجني من النار فيوحي الله تبارك وتعالى إليه: عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك، فيقول العبد: نعم يا رب وعزتك وجلالك إن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي؛ فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار فيوحي الله إليه: عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبًا قط ولا أخطأت خطيئة قط، فيوحي الله إليه: عبدي إن لي عليك بينة فيلتفت العبد يمينًا وشمالاً فلا يرى أحدًا، فيقول: أي رب أرني بينتك فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد يقول: يا رب عندي وعزتك العظائم فيوحي الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة**»، ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، يقول: «**هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذي فوقه؟**» [2] فالرب تبارك وتعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذلة له والعزم على مرضاته، فما دام أهل النار فاقدين لهذه الروح فهم فاقدون لروح الرحمة، فإذا أراد عز وجل أن يرحمهم أو من يشاء منهم جعل في قلبه ذلك فتدركه الرحمة وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك،

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٠٠)، حديث (٨٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٤١)، حديث (٢٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٦٩- ٤٧٠)، حديث (٧٤٠)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٦٤٣٦)، ضعيف الترغيب (١٩٦٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٥٨)، حديث (٧٦٦٩)، وهو ضعيف، وانظر الضعيفة (٥٣٨٣).

وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته وقد أخبر أنه فعال لما يريد.

الوجه الثاني والعشرون: إنه سبحانه وتعالى أوجب الخلود على معاصي الكبائر وقيده بالتأبيد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهاؤه، فمنها قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ومنها قول النبي ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**» [(١)] وهو حديث صحيح.

وكذلك قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه: «**فيقول الله تبارك وتعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**» [(٢)] وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد مع انقطاعه قطعا بسبب من العبد وهوالتوحيد فكذلك الوعيد العام لأهل النار لا يمتنع انقطاعه بسبب ممن كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته كما في صحيح البخاري عنه ﷺ: «**خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة**» وقال في آخره: «**فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**» [(٣)]

الوجه الثالث والعشرون: أنه لوجاء الخبر منه سبحانه وتعالى صريحًا بأن عذاب النار لا انتهاء له وأنه أبدي لا انقطاع له لكان ذلك وعيدًا منه سبحانه وتعالى، والله تعالى لا يخلف وعده وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن إخلافه كرم وعفو وتجاوز، يمدح الرب تبارك وتعالى به ويثنى عليه به، فإنه حق له إن شاء تركه وإن شاء استوفاه والكريم لا يستوفى حقه فكيف بأكرم الأكرمين؟

وقد صرح سبحانه وتعالى، في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعده، ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده.

وقد روى أبو يعلى الموصلي ثنا هدبة بن خالد حدثنا سهيل بن أبي حزم ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من وعده الله على عمل ثوابًا، فهو منجزه، ومن أوعده على عمل عقابا، فهو فيه بالخيار**» [(٤)].

(١) أخرجه البخاري، حديث (٥٧٧٨)، ومسلم، حديث (١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٣٤٦٣)، ومسلم، حديث (١١٣) من حديث جندب بن عبد الله البجلي.

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٦٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٢٤٠)، حديث (٨٥١٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦/ ٦٦)، حديث (٣٣١٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٦٦)، حديث (٩٦٠) وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٢٤٦٣)، وظلال الجنة.

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: ثنا محمد بن حمزة ثنا أحمد بن الخليل ثنا الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله على عمله عقابًا أيخلف الله وعده عليه؟ فقال أبوعمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عارًا ولا خلفًا أن تعد شرًا، ثم لا تفعله، ترى ذلك كرمًا وفضلاً، وإنما الخلف أن تعد خيرًا، ثم لا تفعله، قال: فأوجدني هذا في كلام العرب، قال: نعم، أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي ... ولا أختشي من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي [(١)]

قال أبو الشيخ: وقال يحيى بن معاذ: الوعد والوعيد حق، فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله؟ والوعيد حقه على العباد قال ولا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا، فإن شاء عفا وإن شاء أخذ، لأنه حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم أنه غفور رحيم، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ فقال:

نبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

فإذا كان هذا في وعيد مطلق فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وهذا إخبار منه أنه يفعل ما يريد عقيب قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، فهو عائد إليه ولا بد، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده بل إما أن يختص بالمستثنى أو يعود إليهما وغير خاف أن تعلقه بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أولى من تعلقه بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ وذلك ظاهر للمتأمل وهو الذي فهمه الصحابة فقالوا: أتت هذه الآية في وعيد القرآن ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده، فإن الاستثناء مذكور في الأنعام أيضًا، وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وهذا التعقيب نظير قوله في الأنعام ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨] فأخبر أن عذابهم في جميع الأوقات ورفعه عنهم في وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل اذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك.

الوجه الرابع والعشرون: أن جانب الرحمة أغلب في هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه (١٢/ ١٧٤).

كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر :٤٥] .

فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم، ومع هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة، فإذا كان جانب الرحمة قد غلب في هذه الدار ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعي في مساخطته فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة على ما في هذه الدار تسعة وتسعين ضعفًا . وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه وانكسرت تلك النفوس وأنهكها العذاب وأذاب منها خبثًا وشرًا لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها، فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة وقوى جانب الرحمة أضعاف أضعاف أضعاف الرحمة في هذه الدار واضمحل الشر والخبث الذي فيها فأذابته النار وأكلته .

وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر وأكثر من أسماء الانتقام وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام، والرحمة أحب إليه من الانتقام، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم وهي التي سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ووسعت كل شيء، وما خلق بها فمطلوب لذاته، وما خلق بالغضب فمراد لغيره، كما تقدم تقرير ذلك، والعقوبة تأديب وتطهير والرحمة إحسان وكرم وجود والعقوبة مداواة والرحمة عطاء وبذل .

الوجه الخامس والعشرون: أنه سبحانه وتعالى لابد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين، ويظهر لهم حكمه الذي هو أعدل حكم في أعدائه وأنه حكم فيهم حكمًا يحمدونه هم عليه فضلا عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر :٧٥] فحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق، وإن ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه .

قال الحسن: لقد دخلوا النار وإن قلوبهم لممتلئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلاً، وهذا هو الذي حسن حذف الفاعل من قوله ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الزمر :٧٢] حتى كان الكون كله قائل ذلك لهم إذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده .

وأما أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر :٧٣] فهم لم يستحقوها بأعمالهم، وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله، فإذا أشهد سبحانه وتعالى ملائكته وخلقه كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة ووضعه العقوبة حيث

تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها، وأن ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته، وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لا يليق بها غير ذلك ولا يحسن بها سواه بحيث تعترف بها هي من ذواتها بأنها أهل ذلك وأنها أولى به؛ حصلت الحكمة التي لأجلها وجد الشر وموجباته في هذه الدار وتلك الدار، وليس في الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائمًا لا نهاية لها ولا انقطاع أبدًا فتكون هي والخيرات في ذلك على حد سواء، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب.

فإن قيل: فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة. قيل: إلى قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وإلى هذا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول الجنة أهل الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، بل وإلى هنا انتهت أقدام الخلائق، وما ذكرنا في هذه المسألة بل في الكتاب كله من صواب، فمن الله سبحانه وتعالى وهو المان به وما كان من خطأ، فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه وهو عند لسان كل قائل وقلبه.

الباب الثامن والستون
في ذكر آخر أهل الجنة دخولًا إليها

في الصحيحين من حديث أبي منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة؛ رجلاً يخرج من النار حبوًا، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك؟»** قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقول: **«ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»** [1].

وفي صحيح مسلم من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجًا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول:**

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٧١)، ومسلم، حديث (١٨٦).

نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا» فلقد رأيت رسول الله ﷺ: ضحك حتى بدت نواجذه»[1] وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن سعد بن يحيى الزرقي حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوي قال: حدثني أبي عن أبيه قال حدثني أبويحيى الكلاعي، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرًا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى، فيقول: يا رب بلغ بي الجنة ونجني من النار، فيوحي الله تبارك وتعالى إليه: عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك؟، فيقول العبد: نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي فيجوز الجسر، فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار فيوحي الله إليه: عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبًا قط ولا أخطأت خطيئة قط، فيوحي الله إليه: عبدي إن لي عليك بينة فيلتفت العبد يمينًا وشمالاً فلا يرى أحدًا فيقول: يا رب أرني بينتك فيستنطق الله جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد فيقول يا ربي عندي وعزتك العظائم فيوحي الله إليه عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة»** ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه يقول: **«هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذي فوقه؟!»**[2]

ورواه ابن أبي شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفي عن يزيد بن سنان به وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي على الصراط مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الله الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترتفع له شجرة، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم لعلي أن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله شيئًا غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترتفع له شجرة هي أحسن من الأولى.**

فيقول: يا رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟، فيقول: لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٩٠)، والترمذي، حديث (٢٥٩٦).

(٢) تقدم قريبًا وهو ضعيف.

فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: يا رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يرضيك مني؟ أيرضيك أني أعطيتك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين» فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألونني مم أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟ قال: ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله قال: «**من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين فيقول: لا أستهزئ بك ولكن على ما أشاء قادر**» [1].

وفي صحيح البرقاني، من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده، وهو بإسناد مسلم سواء قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل النار عذابًا منتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه، وإن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل، فقال: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها، فقال الله عز وجل: هل عسيت أن فعلت أن تسألني غيره؟ قال: لا وعزتك فقدمه الله إليها، ومثل له شجرة ذات ظلٍّ وثمر أخرى فقال: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها. قال: فقال: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ قال: لا، وعزتك فيقدمه الله إليها، فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء، فيقول: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة، فأكون في ظلها وآكل من ثمرها، وأشرب من مائها، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة، فيقول: أي ربِّ قدمني إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة - وفي رواية: تحت نجاف الجنة، أنظر إلى أهلها، فيقدمه الله إليها، فيرى أهل الجنة وما فيها، فيقول: أي ربِّ أدخلني الجنة فيدخله الجنة، فإذا دخل الجنة قال: هذا لي، فيقول الله له: تمنَّ قال: فيتمنى ويذكره الله: سل كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله، قال: ثم يدخل بيته، ويدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فيقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك فيقول: ما أعطى أحد مثل ما أعطيت**» [2].

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٨٧)، وأصله في البخاري، حديث (٦٥٧١).

(٢) أخرجه مسلم، حديث (١٨٨) مختصرًا، وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٧)، حديث (١١٢٣٢)، وابن عوانة في «مسنده» (١/ ١٤٢)، حديث (٤٢٤)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٨١٥)، حديث (٨٤٠) تامًّا.

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: **«سأل موسى ربه: من أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رضيت ربِّ، فيقال: ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: فأعلاهم منزلة قال: ذلك الذي أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ومصداقه في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة: ١٧][١].

الباب التاسع والستون

وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم ثنا صفوان بن صالح حدثني رواد ابن الجراح العسقلاني ثنا الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحلون»** [٢]

وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«لسان أهل الجنة عربي»** وقال عقيل: قال الزهري: **«لسان أهل الجنة عربي»** [٣]

فصل في احتجاج الجنة والنار

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«احتجت الجنة والنار، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت، عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها»** [٤].

وفي رواية أخرى: **«تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين**

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٨٩)، والترمذي، حديث (٣١٩٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٧١)، حديث (٢٤٥).
(٤) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٤٩)، ومسلم، حديث (٢٨٤٦).

وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم؟، فقال الله سبحانه للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع قدمه عليها فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها على بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأما الجنة، فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا» [1]

فصل في أن الجنة يبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقًا دون النار

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة» [2].

وفي لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة» [3].

وفي لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى مما يشاء» [4].

وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة: «وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول: هل من مزيد؟» [5] فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده، فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه، فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه الحجة وكذب رسله قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨-٩] ولا يظلم الله أحدًا من خلقه.

فصل في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون» [6] وذكر الطبراني من

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٤٨٥٠)، ومسلم، حديث (٢٨٤٧).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٧٣٨٤)، ومسلم، حديث (٢٨٤٨).
(٣) أخرجه مسلم الحديث (٢٨٤٨). (٤) انظر الحديث السابق.
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٤٢)، حديث (٨٨١٦)، والصيداوي في «معجم الشيوخ» (ص ٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ١٨٣)، حديث (٤٧٤٥) وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦٨٠٨) والصحيحة (١٠٨٧).

حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: سئل نبي الله ﷺ فقيل: أينام أهل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «**النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون**» (١).

فصل في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد: ثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنّى لي هذه، فيقول: باستغفار ولدك لك**» (٢).

فصل في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١]» قال: «**ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين**» (٣).

وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك: أظنه حكاه عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم، ثم تلا ابن عباس** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ [الطور: ٢١]» (٤) إلى آخر الآية، وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال واختلافهم مبني على أن قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ [الطور: ٢١] حال من الذرية والتابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٨٢)، حديث (٩١٩)، وهو صحيح وانظر الحديث السابق.

(٢) أخرجه ابن ماجه، حديث (٣٦٦٠)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٥٠٩)، حديث (١٠٦١٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٩٣)، حديث (٢٩٧٤٠) وهو حسن وانظر الصحيحة (١٥٩٨).

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٤) وقال: «رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف»، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٤٩٠).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٤٠)، حديث (١٢٢٤٨)، و«الصغير» (١/ ٣٨٢)، حديث (٦٤٠)، وهو موضوع، وانظر ضعيف الجامع (٤٨٥)، والضعيفة (٢٦٠٢).

ما أتوا به وألحقناهم بهم في الدرجات قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الطور: ٢١] فجعل الفعل في الإتباع لهم قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار كما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

قال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣].

وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] وهذا قول الكبار والعقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه**» [(١)] فهذا يدل على أنهم دخلوا الجنة بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وإن تقاصر عملهم عنها. قالوا: وأيضًا فالإيمان هو القول والعمل والنية وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقرارًا لعينه وتكميلاً لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعًا وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغارًا في الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما كان من أحكام البالغين، ويكون قوله: بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين أي وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: ويدل على صحة هذا القول البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم، ولوكان المراد بالذرية البالغين، لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم ويكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضًا أنه سبحانه جعلهم معهم تبعًا في الدرجة كما جعلهم تبعًا معهم في الإيمان، ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعًا بل إيمان استقلال قالوا: ويدل عليه أن الله سبحانه وتعالى جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين وأما الأتباع، فإن الله سبحانه وتعالى يرفعهم إلى درجة أهليهم، وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم،

(١) تقدم قريبًا وهو صحيح.

وأيضًا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم، وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت فرقة منهم الواحدي: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والأب كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١] أي آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي، فمن وقوعه على التبعي قوله ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] فلو أعتق صغيرًا أجاز، قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عيونهم، ثم قرأ هذه الآية [١] وقال ابن مسعود: في هذه الآية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك [٢].

وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا، وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة [٣] وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء أرفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء، وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئًا [٤]، وقال: ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين. فمن قرأ: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور: ٢١]، فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] ومن قرأ: (وأتبعناهم ذرّيتهم)، فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكمًا، فدلت القراءتان على النوعين، قلت: واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين بالسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته والله أعلم.

فصل في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: **«احتجت الجنة والنار»** [٥] وقوله: **«قالت الجنة يا رب قد اطردت أنهاري وطابت ثماري فعجل عليّ بأهلي»** [٦].

---

(١) تقدم قريبًا وهو صحيح.
(٢) لم أجده.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢٥).
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢٦).
(٥) تقدم تخريجه وهو صحيح.
(٦) تقدم تخريجه في أول الكتاب.

وقال إسماعيل ابن أبي خالد عن سعيد الطائي: (أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها: تكلمي فتكلمت فقالت: طوبى لمن رضيت عنه)[١]

وقال قتادة: «**لما خلق الله الجنة قال لها: تكلمي فقالت: طوبى للمتقين**».

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي، ثنا هشام بن خالد ثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون**»[٢].

فصل في أن الجنة تزداد حسنا على الدوام

قال عبد الله بن أحمد: ثنا خلف بن هشام ثنا خالد بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال: ما نظر الله إلى الجنة إلا قال طيبي لأهلك فتزداد ضعفا حتى يدخلها أهلها[٣].

فصل في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم في حديث معاذ بن جبل في ذلك، وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «**لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا**»[٤].

وحديث عكرمة عن النبي ﷺ في قول الحور العين: «**اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك**»[٥].

وذكر ابن أبي الدنيا، عن أبي سليمان الداراني قال: (كان شابٌّ بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلي، وإن أكلوا فهو صائم فصبر عليه رفيقه ذاهبا وجائيا فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصرا من قصور الجنة وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٦)، حديث (٣٤١٠٧)، وابن المبارك في «الزهد» (ص ٥٣٤)، حديث (١٥٢٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٨٤)، حديث (١١٤٣٩)، و«الأوسط» (١/ ٢٢٤)، حديث (٧٣٨)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٤٧٧١)، وضعيف الترغيب (٢٢٤٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٩)، حديث (٥٧١٩) وقال: «رواه ابن أبي الدنيا مرسلاً» وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٢٩).

وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة ينثني معها كلما تثنت فقالت: جد إلى الله في طلبي، فقد والله جددت إليه في طلبك، فهذا الذي تراه في طلبها)، قال أبو سليمان: هذا في طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟

فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت قال: فيؤمر به فيذبح قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»** ثم قرأ رسول الله ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩][(١)] متفق عليه.

وفي الصحيحين أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه»** [(٢)].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتي بالموت حتى يجعل بين النار والجنة، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»** [(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتي بالموت ملببا فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذي وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحًا على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت»** [(٤)] رواه النسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٤٧٣٠)، ومسلم، حديث (٢٨٤٩).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٤٤)، ومسلم، الكتاب والباب السابقين، حديث (٢٨٥٠).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٦٥٤٨)، ومسلم، الكتاب والباب السابقين، حديث (٢٨٥٠).
(٤) أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٨١)، حديث (١١٥٦٩)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٦٨)، حديث (٨٨٠٣)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٧٩٦)، حديث (٨١٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٨٠٢٥).

وهذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحا، وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلا عن أن يذبح وهذا لا يصح، فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صورًا معاينة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساما تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضا كما ينشئ سبحانه وتعالى من الأعراض أعراضا ومن الأجسام أجساما فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعا بين النقيضين ولا شيئا من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح. ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجسامًا ويجعلها مادة لها.

كما في الصحيح عنه ﷺ: **«تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان»** [1] الحديث فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه تعالى غمامتين.

وكذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر: **«إن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن»** [2] ذكره أحمد.

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها فيقول: (من أنت فيقول: أنا عملك الصالح وأنا عملك السيئ) [3].

وهذا حقيقة لا خيال ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة.

وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نورا يسعى بين أيديهم، فهذا أمر معقول لولم يرد به النص فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٨٠٤)، من حديث أبي أمامة الباهلي.

(٢) أخرجه ابن ماجه، حديث (٣٨٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٢٦٨)، والبزار في مسنده (٨/ ١٩٩)، حديث (٣٢٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٨٢)، حديث (١٨٥٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (١٥٦٨)، والصحيحة (٣٣٥٨).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥٤)، حديث (١٢٠٥٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٨٠)، حديث (٦٧٣٧)، والطيالسي في مسنده (ص ١٠٢)، حديث (٧٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٣)، حديث (١٠٧)، من حديث البراء بن عازب، وهو صحيح وانظر صحيح الجامع (١٦٧٦)، وصحيح الترغيب (٣٥٥٨).

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: **«إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له: من أنت؟ فوالله إنى لأراك امرأ الصدق، فيقول له: أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة، وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول: من أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ السوء فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار»** (١).

وقال مجاهد مثل ذلك.

وقال ابن جريج: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك فيجعل له نورًا بين يديه حتى يدخله الجنة، فذلك قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩] والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى يقذفه في النار (٢).

وقال ابن المبارك: ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٨-٥٩] قال: [illegible]وا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٨-٥٩] قيل: لا قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصافات: ٦٠] وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهنأ لهم في جوار الله طول المقام، ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته (٣).

فصل في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس»** (٤).

وفي رواية: «التسبيح والتكبير كما تلهمون» - بالتاء المثناة من فوق - أي: تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس.

فصل في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات: ٥٠-٥١]. وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٨). (٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٩).
(٣) ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٧٣). (٤) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٣٥).

﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝﴾ [الطور: ٢٥-٢٧].

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه: إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا وموضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا [(١)].

وإذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الأحاديث أولى وأحرى، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم، والله المستعان.

الباب السبعون

في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].

وقال تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ١١١٩)، حديث (٦١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٩)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الترغيب (٢٢٣٧)، والضعيفة (٥٠٢٩).

اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: ٢٢-٢٣] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٧] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] .

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣] .

وقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ﴾ [الحديد: ٢١] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] إلى قوله ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١] .

وفي المسند وغيره أن النبي ﷺ قال: «قد أنزلت عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم تلا ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] حتى ختم العشر آيات»[1] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] .

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٣١٧٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٤)، حديث (٢٢٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (ص ٣٤)، حديث (١٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧١٧)، حديث (١٩٦١)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٣٤٣)، (٤٧٠١)، والضعيفة (١٢٤٢).

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم :٦٣] .

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الصف :١٠-١٣] .

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن :٤٦] .

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات :٤٠-٤١] وهذا في القرآن كثير مقداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون مَنْ عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابة ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ .

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول في كل ما أخبر به وطاعته في جميع ما أمر به إيجابًا واستحبابًا كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال الشافعي -رحمه الله-: الحمد لله الذي هوكما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه وكأنه أخذ هذا من قول النبي ﷺ: «اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرًا مما تقول»[(١)] .

وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة من مقالات أهل السنة والحديث، التي أجمعوا عليها كما حكاه الأشعري عنهم، ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٣٥٢٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٦٤)، حديث (٢٨٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٤٦٢)، حديث (٤٠٧٣)، من حديث علي بن أبي طالب، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (١٢١٤)، والضعيفة (٢٩١٨).

عنهم بلفظه قال في مسائله المشهورة: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.

قال: وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسّنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم: إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسُّك بالسنة، والإيمان يزيد وينقص، ويستثنى من الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكًّا إنما هي سنة ماضية عند العلماء، فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. أو مؤمن أرجو. ويقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل، فهو مرجئ، ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع، فهو مرجئ، ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ومن غيّر الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة، فهو مرجئ، ومن زعم أن المعرفة في القلب وإن لم يتكلم بها، فهو مرجئ، والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل.

قضاء قضاه على عباده وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاؤه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم وهو عدل منه جل ربنا وعز.

والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصي كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وعلم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئة منه سبحانه وتعالى، فهوسبحانه قد علم من إبليس المعصية ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة وخلقهم لها، وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها فكلٌّ يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضى عليه لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته والله الفعال لما يريد.

ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب

من مشيئة الله تعالى وأي افتراء على الله أكبر من هذا؟

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد وهل مضى في سابق علمه؟ فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله خالقًا وهذا الشرك صراحًا.

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله وأي كفر أوضح من هذا؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه في خلقه وتدبيره فيهم، وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد، ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقماءة، ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء ولا بنص الشهادة ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله ولا لخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء على ما روي ولا بنص الشهادة.

والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والجمعة والعيدان والحج مع سلطان وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يدًا من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك، فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه ألبتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه، والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ولا تُعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن اكفف لسانك ويدك وهواك والله المعين.

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحدًا منهم بذنب ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديثًا كما جاء وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحوكفر من يستحل ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام فاتبع ذلك ولا تجاوزه والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا

ارتياب وهو أكذب الكاذبين .

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر، نسأل الله الثبات، وحوض محمد ﷺ حق، حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه، والصراط حق يوضع على سواء جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك، والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن، والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق، ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب والجنة والنار .

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من المقادير والقضاء، والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر، والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبدا وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار .

وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا، فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يَمتْن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبدا، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا، فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل .

وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والأرضين وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء ولا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به .

فإذا احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق :١٦]

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة :٧] ونحو هذا من متشابه القرآن فقل: إنما يعني بذلك العلم أن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان، ولله عز وجل عرش وللعرش حملة يحملونه والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد.

والله عز وجل سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، ولا يسهو، قريب لا يغفل، ويتكلم وينظر ويبسط ويضحك ويفرح ويحب ويكره ويبغض، ويرضى ويغضب، ويسخط ويرحم ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد.

وخلق آدم بيده على صورته والسموات والأرض يوم القيامة في كفه ويضع قدمه في النار فتنزوي ويخرج قوما من النار بيده وينظر إلى وجهه أهل الجنة يرونه فيكرمهم ويتجلى لهم وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلي ذلك غير الله عز وجل.

والقرآن كلام الله الذي تكلم به وليس بمخلوق، فمن زعم أن القرآن مخلوق، فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول، ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة والقرآن كلام الله، فهو جهمي وكلم الله موسى تكليما منه إليه وناوله التوراة من يده إلى يده.

ولم يزل الله عز وجل متكلما والرؤيا من الله وهي حق إذا رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغثا فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيا فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء، وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام، وقد روى عن النبي ﷺ: **«أن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده»** (١). وقال: **«إن الرؤيا من الله»** (٢).

وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم والكف عن ذكر مساوئهم التي شجرت بينهم.

---

(١) أخرجه الضياء في المختارة (٨/ ٢٧٥)، حديث (٣٣٧)، من حديث عبادة بن الصامت، وهو ضعيف وانظر ضعيف الجامع (٣٠٧٨).

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٥٧٤٧)، ومسلم، حديث (٢٢٦١).

فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدًا منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو عاب أحدا منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم بها فضيلة وخير الأمة بعد النبي ﷺ، أبو بكر وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساوئهم، ولا أن يطعن في واحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع. ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ، فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق، ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل، فإن قولهم بدعة.

ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه، فقد جهل وأخطأ وخالف بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله ﷺ فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب، فهو مخالف والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضا حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار ولا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف إلى أن قال: فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه.

قلت: حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق وله عنهما مسائل جليلة وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي وهذه الطبقة، وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقا لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مرارا وقد جمعت منه في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سِفْرًا متوسطا، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولا وعملا واعتقادا وبالله التوفيق.

فصل ونختم الكتاب بما ابتدانا به أولا، وهوخاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠].

قال حجاج عن ابن جريج: أخبرت أن قوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠] قال: إذا مر بهم الطير ليشتهونه قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠]، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [ابراهيم: ٢٣] قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [1].

قال سعيد عن قتادة: قوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠] يقول: ذلك دعاؤهم فيها وتحيتهم فيها سلام [2].

وقال الأشجعي: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم فيأتيهم ما دعوا به ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به.

وذكر سفيان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال: سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله فقال: «**تنزيه الله عن السوء**» [3].

وسأل ابن الكواء عليًا عنها فقال: كلمة رضيها الله تعالى لنفسه [4].

وقال حفص بن سليمان بن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال: «**هو تنزيه الله عن كل سوء**» [5] فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئا قالوا: سبحان الله وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم هو قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ومعنى الآية أعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة.

وفي الحديث «**أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين**» [6]، فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٨٩).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٠).
(٣) انظر المصدر السابق.
(٤) انظر المصدر السابق.
(٥) انظر المصدر السابق.
(٦) أخرجه الترمذي، حديث (٣٣٨٣)، والنسائي في «الكبرى» حديث (٦/ ٢٠٨)، حديث (١٠٦٦٧)، وابن ماجه حديث (٣٨٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٢٦)، حديث (٨٤٦)، والحاكم في المستدرك (١/

أهل الجنة فأخبر سبحانه عن أوله وآخره، فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النَّفَس.

وفي هذا إشارة إلى أن التكاليف في الجنة تسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها وفي لفظ «اللهم» إشارة إلى صريح الدعاء، فإنها متضمنة لمعنى يا الله فهي متضمنة للسؤال والثناء وهذا هو الذي فهمه من قال: إذا أرادوا شيئا قالوا: سبحانك اللهم. فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به، فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء وليس في الآية ما يدل على ذلك بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشيء وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية، فهو لا يليق بحالهم، والله تعالى أعلم بالصواب.



---

٦٧٦)، حديث (١٨٣٤) من حديث جابر بن عبد الله وهو حديث حسن وانظر صحيح الجامع (١١٠٤)، وصحيح الترغيب (١٥٢٦).

الفهرس